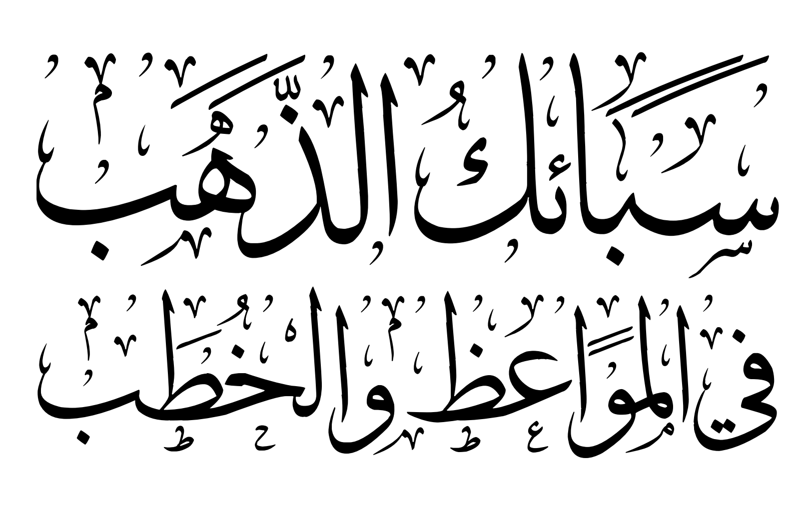


سبائك الذهب
في المواعظ والخطب

الجزء الأول



جمعها ورتبها
أبو زيد
أحمد أحسن الشملان

[١]- الحث على العمل

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي اصطفى محمداً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لرسالتِهِ، وارتضاه لدينِهِ، وائتمنهُ على وحيِهِ، وابتعثَهُ رحمةً للعالمين، فكشفَ به الظُّلَم، وأوْضَحَ به البُهَم، وفتح به أَعْيُناً عُمياً وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غُلفاً، وأتمَّ برسالتِهِ النعمةَ، وأكملَ بنهجِه الرحمةَ، فله تعالىٰ أكملُ الحمدِ وأوفاهُ، وأتمهُ وأنماهُ، وأعلاهُ وأرضاهُ.

وأشهد ألَّا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له ولا مثيلَ ولا شبيهَ، واحداً أحداً، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولم يكن له كفؤاً أحد.

وأشهدُ أن سيدَنا ومولانا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ بلَّغَ رسالاتِ ربِه، وصبر على حكمِه وأُوذِيَ في جنبِه، وجاهدَ في سبِيله، ونصحَ لأُمّتِه حتى أتاهُ اليقين، فصلوات الله عليه دائماً سرمداً من يومنا هذا إلى يوم الدين وعلى آله الطاهرين وسلمَ تسليماً كثيراً.

وبعد:

عبادَ الله: أُوصيكم ونفسيَ أوّلاً بتقوى اللهِ، وإتباعِ أمرِه والسيرِ على نهجِه، والاستقامَةِ على هداه امتثالاً لأمرِه تعالى القائل: ﴿وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾.

واعلموا **عبادَ الله**: بأن ليسَ هناكَ من الأحياءِ أغفلُ مِمَنْ ضَلَّ عنِ الهدى واتبعَ هواهُ أولئكَ كالأنعامِ بلْ هم أضلُّ سبيلاً لهم أعينٌ لا يُبصرون بها، ولهم آذانٌ لا يَسمعون بها ولهم قلوبٌ لا يَعقلون بها.

هل تعلمُ عبدَ الله بأنَّكَ في رِحلةٍ طويلةٍ وعلى سفرٍ بعيد، رحلةٍ لها بدايةٌ وموعدُ نهاية، وأنت بين هذا وذاكَ من ضِمْنِ أفرادِ الرحلة.

ولا بُدَّ في يومٍ من الأيام أن تُدْعَى فتُجيب ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء:٥٢].

إنَّ خُطواتِكَ معدودةٌ فإذا انقضتْ فقد آنَ الرحيلُ، وإنّ أنفاسَك محسوبةٌ فإذا نَفدَتْ جاءك النذير، وإنَّ دقاتِ قلبِك محدودةٌ فإذا بلغتَ الحدَّ ونَفِدَ العددُ، توقفَ القلبُ عن النبضِ، ووهنتْ القوى وشحُبَ الوجهُ، وغارت العيونُ وذبلتِ الشفاهُ وانتهتِ الحياة.

عبدَ الله أتعلمُ أين أنتَ؟ أتعلم لماذا أنتْ هنا؟ أتعلم من أين أتيت؟ وإلى أين أنت ذاهب؟

أنت هُنا في دارِ بلاءٍ وامتحان.

وأتيتَ هنا للتزودِ من دارِ البوارِ لدارِ القرارِ وجمعِ الزادِ ليومِ المعاد.

وأنتَ على موعدٍ مع رحلةٍ طويلةٍ بعيدة، وسفرٍ شاقٍ موحشٍ يحتاجُ للزادِ الكافي.

قد يكونُ كلٌّ مِنَّا يعلمُ ذلك كلَّهُ وكم رأينا وَلَكم نرى من مُسافرين ودّعناهم في رِحلَتِهم وشيّعناهم في سفرِهم إلى مثواهُمُ الأخير.

ولكن لماذا نصرفُ هَمَّنَا مِنَ الشيءِ الأهمِّ إلى التافِهِ الحقيرِ من هذه الحياة؟!

أين المتزودون للسفرِ المتأهبونَ للرحيل؟

أين اليَقِظُونَ المتنبِّهون إلى نداءِ الوداعِ وناعي الفراق؟ أين المُعِدُّون الزادَ والمدخرون العَتَادَ ليومِ الحشر والمعاد؟ أين مَن عَمَدَ إلى قلبِه فغسله بالتوبةِ ونقّاه بالاستغفارِ من آثار الحسدِ والحقدِ والغلِ والكفرِ والنفاقِ والعداوةِ والبغضاءِ ليلقى اللهَ صافياً نقيّاً سليماً استعداداً ليومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنونَ إلا مَنْ أتى اللهَ بقلبٍ سليم.

عبادَ الله: انظروا كم الفرقُ بينَ هؤلاءِ وبينَ مَنْ سخروا حياتَهم في إشباعِ الرغباتِ ونيلِ الطَلِباتِ، واللهثِ وراءَ الشهواتِ والملذاتِ؟

منهم من قضى حياتَهُ في إشباعِ بطنهِ وتغذيةِ بِدِنهِ بأنواع الأطعمةِ وأصنافِ

المأكولاتِ فَثَقُلَ جِسمهُ، وكَبُرَ بطنُه، وذهبت فطنتُهُ، فأخلدَ إلىٰ النومِ والكسلِ، وضيعَ حقوقَ اللهِ وانتهك محارمَه.

ماذا يُجدي كبرُ الأجسادِ وانتفاخُ البطونِ مادامت ستصبح غذاءً للدودِ في ظلماتِ اللحودِ.

وهناكَ مَنْ قضىٰ حياتَهُ في خدمةِ مظهرِهِ وتزيينِ منظرِه وإفسادِ مخبرِه، ينفقُ الأموالَ الطائلَةَ، والأوقاتَ الطويلةَ في تنعيمِ جسمِهِ وتسريحِ شعرِه وحلقِ عارضَيهِ وفي غسلِ وكيِّ ثيابِه، إن رأىٰ شيباً نتفه أو عيباً غيبه.

ومنهم مَن همه الذي في سبيلِه قضىٰ حياتَهُ وضحىٰ بأَنْفَسِ ما لَدَيهِ، وهو وقتُه الذي سيبكي ندماً يوماً عليه، السعيُ لإشباعِ شهواتِهِ وإطفاءِ نزواتِهِ، مَثَلُه كمثلِ الحيوانِ لا يردعُه رادعٌ ولا يردُّه رادٌ عن إدراكِ غايتِه من حرامٍ أو من حلال.

ومنهم من قضىٰ حياتَهُ يجمعُ الأموالَ ويكنـزُها من حِلِّها وغيرِ حِلِّها ألهاهُ التكاثرُ عنِ اليومِ الآخرِ يباهي بها الأقرانَ ويتكبرُ بها علىٰ إخوانِه ويتطاولُ بها علىٰ الضعفاءِ والمساكينِ، تراه يجلسُ في مجالسِ الفقراء يخاطبُ الضعفاءَ بقولِهِ اشتريتُ هذا بكذا، وبعتُ كذا بكذا، وهكذا في كل يومٍ يُلْهِبُ قلوبَ المساكينِ بسياطِ الحسرةِ والأسىٰ، ولسانُ حالهم: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

ابنَ آدم: إنك غريبٌ، راحلٌ لا محالةَ عن هذهِ الدارِ، ومن حقِّ الغريبِ أن يُسخِّر وقتَهُ وجهدَهُ فيما يستطيع نقلَه إلىٰ دارِ قرارِه ومستقرِّه، فإنَّ الغريبَ المرتحلَ لا يبني الدورَ ويشيدُ القصورَ في دارٍ هو عنها راحلٌ، واللهُ تعالىٰ يقولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

عبادَ الله: كلٌّ مِنّا يسائلُ نفسَهُ ما هو الزادُ الذي أعَدَّهُ لسفرِه؟

كم من النوافلِ صلىٰ من غيرِ الواجبِ؟

كم من الأيامِ صامَ في غيرِ شهرِ رمضانَ؟

كم من الأموالِ أنفقتَ من غيرِ الزكاةِ الواجبةِ؟

كم مصحفاً تلوتَ من كتابِ الله؟

كم مرةً بكيتَ من خشيةِ الله؟

كم مرةً أمرتَ بمعروفٍ ونهيتَ عن منكر؟

عبادَ الله: إن لحظةً تمرُّ على الإنسانِ لم يستغلها في طاعةِ اللهِ لا بُدَّ أن يندمَ عليها ولاتَ حينَ مندمٍ في يومِ التغابنِ يومَ ينادون ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون:١٠٦] ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة:١٢].

لا بدَّ لابنِ آدمَ مِن أن يُسْأَلَ سؤالاً ويا لَهُ من سؤال، قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسْأَلَ عن أربعٍ: عمرِه فيم أفناه، ومالِه من أينَ اكتسبَهُ وفيم أنفقَه، وعن علمِه ما عَملَ فيه، وعن حبِّنا أهلَ البيتِ)).

فإذا كانَ ولا بُدَّ من هذه الأسئلةِ فهل أعددتَ لها يا عبدَ الله الجوابَ؟

أجب نفسَكَ بنفسِكَ ما دُمتَ في مهلةٍ من عمرِكَ وحاسِبْ نفسَكَ قبلَ أن تُحاسَبَ وأجب:

في أي شيء أفنيتَ عمرَكَ؟ هل في خِدمةِ اللهِ أم في خدمةِ الدنيا؟

شبابَكَ فيمَ أبليتَه؟ هل في اللهو واللعب أم في العبادةِ وطلبِ العلم؟

مالك ومعاشك وما يقتاته أهلك وعيالك من أين اكتسبتَه، ومِن أي مصدرٍ جلبتَه، أَمِنْ حلالٍ مصفّى، أم من غِشٍّ ورِبا؟

عبادَ الله: إن المصيبةَ التي أُصِبنا بها هي ما نقتاتُه وما به قوامُ أجسادِنا، فالله تعالى طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً، فمن نما جسمُهُ مِن حرام فالنارُ أولى به، ألا وإن الحرامَ لا يُثمرُ إلا علقماً فالشوكُ لا يُثمرُ العنبَ، بل إنَّ أكثرَ مشاكلِ اليومِ التي

تقعُ بينَ الأخِ وأخِيه والابنِ وأبيِه، وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام هي ثمرةُ الحرامِ الذي نمتْ عليه الأجسامُ ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾[الأعراف:٥٨].

عبادَ الله: إن الرسولَ قد حرمَ أكلَ ما أُخِذَ بوجه حياءٍ، فما بالكَ بِمَن يأكُل الحرامَ ويلبسُ الحرامَ ويسكنُ الحرامَ ويركبُ الحرامَ، ثم يدعو اللهَ فأنى يستجابُ له، فقد رُوِيَ أن سعداً سألَ رسولُ اللهِ ﷺ أن يسألَ اللهَ تعالى أن يجعلَه مجابَ الدعوةِ، فقالَ له رسولُ اللهِ ﷺ: ((أطبْ مطعمَك تُسْتَجَب دعوتُك))، وعنه ﷺ أنه قال: ((رُبَّ أشعثَ أغبرَ مشردٍ في الدنيا بالأسفارِ، مطعمُه حرامٌ وملبسُهُ حرامٌ وغذيَ بالحرامِ، يرفعُ يدَيهِ فيقولُ: يا ربِّ يا ربِّ فأنى يُستجابُ له))، وقد ذكرَ اللهُ الأكلَ قبلَ العملِ في قوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾ [المؤمنون:٥١] فقدمَ اللهُ في الآيةِ الأكلَ الطيبَ الحلالَ على العملِ وقد يكون ذلك لأهميةِ الغذاءِ في قبولِ العملِ، وفي الخبرِ عن النبيِّ ﷺ: ((كلُّ لحمٍ نبتَ من الحرامِ فالنارُ أولى به)).

وفي حديثِ ابنِ عباسٍ: ((إن للهِ ملَكاً على بيتِ المقدسِ ينادي كلَّ ليلةٍ مَن أكلَ حرَاماً لم يُقبل منه عدلاً ولا صرفاً))، أي لا فرضاً ولا نافلةً.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧].

عبادَ الله: إذا كنا في هذه الدنيا في دارِ مُهلةٍ استخلَفَنَا اللهُ فيها لنعملَ ونجدَّ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس]، فلا ينبغي لذي عقلٍ أن يقفَ مكتوفَ الأيدي، لا بُدَّ له مِنْ العملِ والمثابرةِ حتى يلقى اللهَ تعالى كما قال عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾ [الإنشاق:٦].

إنَّ كلَّ تعبٍ ونَصَبٍ وبلاءٍ نالَ الإنسانَ في سبيلِ طاعةِ ربهِ فلن يُضيعَهُ اللهُ، وإن يكُ مثقالُ حبةٍ من خردلٍ، إن اللهَ لا يُضيعُ عملَ عاملٍ منكم من ذكرٍ أو أنثى بعضُكُم من بعضٍ، ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ فعلينا **عبادَ الله** بالمسارعةِ والمسابقةِ في مضمارِ الطاعةِ كما حثَّ اللهُ سبحانَه على ذلك بقوله: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [الحديد:٢١] إنَّ اللهَ قد أثنى على المسابقين في الطاعةِ والمستكثرينَ من العبادةِ في أكثرِ من آيةٍ من القرآنِ، في حينِ ذمَّ الكُسالى والْمُقِلِّينَ من الذكرِ والعبادةِ وأبانَ بأنهم إلى النفاقِ أقربُ منهم للإيمانِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [النساء:١٤٢] فاللهُ سبحانه يدعونا ويرغبُنا فيما فيه صلاحُنا وفلاحُنا وقد حثنا على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦] فذكرَ اللهُ الجنةَ وما أعدَّ اللهُ فيها لأوليائِه من الثوابِ والنعيمِ العظيمِ وَخَتَمَها بالحثِّ على المنافسةِ في طلبها لا في طلبِ غيرِها من دنيا زائلةٍ نحن عنها راحلون.

عبادَ الله: إنَّ من أعجبِ العُجابِ أنْ نسمعَ آياتِ اللهِ تُتلى ثم نُعرضَ عنها مستكبرينَ كأنْ لم نسمَعْها. يحثُّنَا اللهُ على المسارعةِ والمسابقةِ في طلبِ الجنةِ، ثم نُعرضُ بوجوهِنا عن فحوى خِطابِه لننكبَّ على الدنيا مسارعينَ ومسابقينَ ومتنافسينَ ليلاً ونهاراً، الأخُ يحثُ أخاهُ والأبُ يحث أبناءَه، وكلما حاولَ أحدُهم أنْ يتكاسلَ أو يتثاقلَ أو يتوانى زجرُوه ووبَّخُوه وعاتبُوه كأنَّ اللهَ أمرَ بالمسابقةِ فيها والمنافسةِ عليها.

وأما الجنةُ فقد انقطعَ حبلُ وصلِها، وقَلَّ العملُ لها، فلم يبقَ من سبيلٍ لنيلِها إلا بالصلاةِ عندَ بعضِ الناسِ ينقرها في طرفةِ عينٍ وقلبُه عنها غافلٌ مُبعدٌ.

عبادَ الله: هل رأيتُم في حياتِكم أحداً يعاتِبُه أهلُهُ على كثرةِ العملِ، وعلى تعبِه وإجهادِ نفسهِ في الدنيا؟ مع أنه يعملُ فيها ليلاً ونهاراً.

وأما إذا ذهبَ ليؤديَ الصلاةَ وتأخر عادَ إلى أهلِه وكلُّهم يوبِّخُهُ ويلومُه ويعاتِبُه، لماذا تأخرتَ؟ ما هذه الصلاةُ؟ ما هذا الدينُ؟ ما هذا التثاقُلُ؟ وهذِهِ واللهِ مصيبةٌ فإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعون.

يستكثرونَ لله عشرَ دقائقَ، ولا يستكثرونَ للدُّنيا أربعاً وعشرينَ ساعةً!! لقد أصبحَ أمرُ الآخرةِ والدينِ وتكليفِ الإسلامِ عبئاً كبيراً على الناسِ، أصبحتِ العباداتُ في نظرِ الكثيرِ مشقةً وثقيلةً على أنفسِهِم فهم يؤدونَها لا حُبَّاً فيها ولا رغبةً إليها ولكنْ لِيتخلصوا منها ولِيسقطوا الواجبَ عنهم لا غير فاللهُ المستعانُ على ما وصلتْ إليهِ حالُنا، وصدقَ اللهُ القائل: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة].

عبادَ الله: كلُّ واحدٍ مِنَّا قد تَعِبَ ونصب في الكدِّ والنكدِ من أجلِ لقمةِ عيشٍ أو لذةٍ عاجلةٍ، بل هُناكَ مَنْ بَلَغَ به الجهدُ حتى تأخذَه الغيبوبةُ، ومنهم مَنْ تقيأَ الدمَّ ونحوَ ذلك. ولكنْ مَنْ مِنَّا قد أتعبَ نفسَهُ وأجهدَها ولو مرةً واحدةً في طلبِ الجنةِ؟ إنها جنةٌ غاليةٌ ثمنُها بذلُ النفسِ والنفيسِ والغالي والرخيصِ. ﴿إِنَّ اللَّه اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١]

أفلا يَحِقُّ لنا أنْ نتعبَ لأجلِها، وأنْ نُرهِقَ أبدانَنَا لِنيلِها؟! ومِنْ أجلِ اجتيازِ العقبةِ الكؤودِ التي قال اللهُ عنها: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴿١٤﴾ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد] إذا كُنْتَ لا تحصلُ على لقمةِ عيشِكَ إلا بالتعبِ ولا

تنالُ غايَتك إلا بالجُهْدِ، فكيفَ بَلَغَ بِكَ الطمعُ أن تنالَ الجنةَ، بِحُورِها ونورِها وخمرِها وقصورِها وذهبِها ودرِّها وعسلِها وجميعِ ما تشتهيهِ الأنفسُ فيها بكلمةِ السلامةِ وبمجردِ الأماني ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ* كَلَّا﴾ [المعارج:٣٨].

كلّا، كيفَ ذلك واللهُ تعالىٰ يقولُ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾ [الشرح:٧] أي إذا أتممتَ صلاتَكَ وقضيتَ فرضَكَ فأَتْعِبْ نفسَكَ في طلبِ رِضوانِ اللهِ ونعيمِهِ، وعلىٰ رَبِّك فأقْبِلْ بالتضرُّعِ إليهِ بالقبولِ كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُواْ اللَّه قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً﴾ [النساء:١٠٣] .

إنَّ العارفينَ باللهِ الطامعينَ في نعيمِه المصدقينَ بوعِده لم يكتفوا بتَعَبِ أجسادِهم ونَصَبِ أبدانِهم في طاعةِ الله حتىٰ قَدَّمُوا أموالَهم وفلذاتِ أكبادِهِم قرابينَ، يَرجونَ بها رحمةَ اللهِ، ثم ختموا ذلكَ كلَّه بأنْ قدَّموا رقابَهم وأنفسَهم ثمناً للجنةِ التي وعدها الله عبادهَ المتقين.

جَعَلَنا اللهُ وإياكُم ممن سَمِعَ فوعىٰ، واتعظَ فارعوىٰ، ومِن الذين يرثونَ الفردوسَ هم فيها خالدونَ إنّه قريبٌ مجيبُ الدعاءِ، وهو حسبُنا ونِعمَ الوكيلُ.

أقولُ ما تسمعونَ، واستغفر اللهَ العظيمَ الجليلَ لي ولكم مِن كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

 ﴿وَالْعَصْرِ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ۝٣﴾.

۞۞۞۞۞

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الليلَ والنهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أرادَ أن يَذَّكَّر أو أرادَ شُكورا، نحمدُه على الهِدَايةِ والتوفيقِ إلى أوضحِ طريق، ونشهد ألا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، غافرُ الذنبِ وقابلُ التوبِ شديدُ العقابِ ذو الطولِ، لا إله إلا هو العزيزُ الحكيم.

ونشهدُ أن سيدَنا وسَنَدَنا محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ رحمةً للعالمين، ونقمةً على الظالمين، صلى الله عليه وعلى عِترَتِهِ الأنجبينَ من يومِنا هذا إلى يومِ الدين.

أما بعد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥]، واطلبوا ما يقرِّبُكم إليه، وما هُناكَ مِنْ شيءٍ أفضلُ قربةٍ مِنَ العملِ بطاعةِ اللهِ وامتثالِ أمرِه، والتزودِ ليومِ المعادِ، كما تزودَ أولو الرشادِ من العبادِ، فلا نبخلْ على أنفُسِنا بما جادَ به المتقونَ، وعلى رأسِهم مَنْ غُفِرَ له ما تقدمَ من ذنبِه وما تأخرَ سيدنا محمدُ بنُ عبدالله ﷺ الذي قامَ يعبدُ اللهَ حتى تورَّمتْ قَدَمَاه فأنزلَ اللهُ تعالى عليهِ: ﴿طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه:١:٢] فَمَنْ أَحَقُّ بالعملِ نحنُ أم هو؟

عبادَ الله: إنَّ الإنسانَ قد يركبُهُ العمى والضلالُ، فيصبحُ عبداً لنفسِه وهواه يُسيِّرُه كيف شاءَ، يؤثرُهُ على طاعةِ ربِهِ، ويُسَخِّر حياتَه وجميع ما وهبَهُ الله مِن المِنَحِ والمواهبِ في خدمةِ نفسهِ وشهواتِهِ، ويتركُ التشميرَ في طاعةِ اللهِ تعالى الذي خلقَهُ وسَوَّاهُ وربَّاه ورَعَاه.

فإذا وعظتَه قال لكَ: (ساعةٌ للقلبِ وساعةٌ للربِّ) وليتَ الأمرَ كما قال، ولكنَّ الساعاتِ قد غدتْ كلَّها في طاعةِ النفسِ والهوى، وليس للهِ من ساعاتِهِ

سوى نصفِ ساعةٍ يجعلُ لكلِّ فرضٍ منها خمسَ دقائقَ بالكثيرِ، تلكَ إذاً قِسْمَةٌ ضِيزى ظالمةٌ جائرةٌ غيرُ عادلةٍ.

عبدَ الله: لا ينبغي لعبدٍ أن يُؤثرَ نفسَهُ أو هواهُ على طاعةِ ربِّهِ، فكثيرٌ منا يسهرُ إلى قربِ منتصفِ الليلِ، ورُبَّما واصلَ سَهرَهُ إلى مطلعِ الفجرِ، يتسامرُ مع رُفقائِه في القِيلِ والقالِ، أو في روابعِ القاتِ وأحلامِ الهوى، أو على مُتابعةِ المُسَلْسَلاتِ ومشاهَدةِ القنوات.

ومعَ كلِّ ذلكَ فإنه يَبخلُ ولو بليلةٍ واحدةٍ بينَ يَدَي اللهِ، يُتْعِب بها بدنَه، ويغذِّي بِهَا رُوحَهُ يقضيها في الصلاةِ أو في تلاوةِ القرآن، امتثالاً لقولِه تعالى لِرَسولِه: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا۝ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا۝﴾ [المزمل] وقولِه تعالى واصفاً حالَ المؤمنين: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات] فأينَ المُؤثِرونَ على أنفسِهم؟ المضحونَ بشهواتِهم المقدِّمونَ رضاءَ اللهِ على رِضاءِ أنفسِهم أمثال الإمامِ عليٍّ عليه السلام الذي رُوِيَ عنه أنه قال: (لو خُيِّرْتُ بينَ صلاةِ ركعتينِ ودخولِ الجنةِ لاخترتُ الركعتينِ) فقيلَ لَهُ في ذلِكَ، فقال: (إنَّ في الصلاةِ رضا ربي، وفي دخول الجنة رضا نفسي، وأنا أؤثرُ رضا اللهِ على رضى نفسي) فهو يرى بأنَّ رضا اللهِ فوقَ كلِّ رِضا. وهذا الإمامُ زيدٌ عليه السلام يقولُ مُقْسِماً: واللهِ لو علمتُ أن رضا اللهِ عز وجل في أنْ أقدحَ ناراً بيدي حتى إذا اضطرمت رميت بنفسي فيها لفعلت ..إلخ.

عبادَ الله: إن المؤمنَ المجدَّ في طاعةِ ربِه، لنْ يعدمَ وسيلةً تُقَرِّبُهُ إلى ربِّه، فالعالِمُ يتقربُ إلى اللهِ بعلمِهِ، يعملُ به ويعلِّمُ الناسَ، وكبيرُ القومِ بجاهِهِ ومكانتِهِ يُصْلِحُ بين الناسِ وبسلطانِهِ يُحِقُّ الحقَّ ويأمرُ بالعدلِ والإنصافِ ويأمر بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ، ويُعينُ الضعيفَ وينصرُ المظلومَ، ويُعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، والغنيُّ بمالِه يتصدقُ على الأرامِلِ ويواسي المساكينَ، ويعولُ اليتيمَ والفقيرَ، والعاقلُ

الحكيمُ بإبداءِ المشورةِ والنصحِ، والمُعْدِمُ الفقيرُ يتقربُ إلى ربِّه بالصلاةِ والصومِ والدعاءِ، وتلاوةِ القرآنِ، والحضِّ على طعامِ المسكينِ، والذي لم يتعلم بما أمكنَه مِنْ العملِ بالتهليلِ والتكبيرِ والاستغفارِ والتسبيحِ، والصبيُّ المميز بما تيسرَ مِن الأذكارِ والأورادِ ولو على سبيلِ التعليمِ، وكلُّ شيءٍ عندَ اللهِ بمقدار ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، إنَّ اللهَ لا يُضيعُ عملَ عاملٍ مِنكم مِن ذكرٍ أو أُنثى بعضُكم من بعضٍ وإنْ تَكُ حسنةً يُضاعِفْها ويؤتِ من لدنهُ أجراً عظيماً.

عبادَ الله: إنكم في يومٍ عظيمٍ ويومِ عيدٍ كريمٍ شرفَه اللهُ وكرمَهُ على سَائِرِ الليالي والأيامِ، فأكثروا فيه من الصلاةِ والسلامِ على نبيِّكم خيرِ الأنامِ امتثالاً لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهم صلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ وترحمْ على عبدِكَ ونبيِّكَ وخيرتِكَ مِن خلقِك أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ.

وصلِّ اللهمَّ وسلمْ على أخيه وابنِ عمه وبابِ مدينةِ علمِه أشجعِ طاعنٍ وضاربٍ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وعلى زوجتِهِ الحوراءِ خامسةِ أهلِ الكساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ.

وصلِّ اللهمَّ وسلمْ على وَلَدَيها الإمامينِ الأعظمينِ أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ الله الحسينِ.

وصلِّ اللهمَّ وسلمْ على الوليِّ ابن الوليِّ الإمامِ زيدِ بنِ عليٍّ، وصلِّ اللهمَّ وسلمْ على الإمامِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بن إبراهيمَ.

وصلِّ اللهمَّ وسلمْ على سائرِ أهلِ بيتِ نبيئكَ المطهرينَ دعاةً منهم ومقتصدين.

وارضَ اللهمَّ عنِ الصحابةِ الأخيارِ من المهاجرينَ والأنصارِ وعَنَّا معهم بفضلِكَ ومَنِّك يا كريم.

اللهم إنا نسألُكَ رِضَاكَ ورِضا الوالدينِ والجنةَ، ونعوذُ بِكَ من سخطِك وسخطِ الوالدين والنار.

اللهم إنا نسألُكَ التوفيقَ والسدادَ والعونَ والرشادَ ونعوذُ بِكَ من الجُبْنِ والبخلِ والكبرِ والكسلِ وسوءِ العملِ وسُوءِ المنقلَبِ في الأهلِ والمالِ والولدِ.

اللهم إنا نعوذُ بِكَ مِن عيشِ الشقاءِ وحياةِ التعساءِ وموتِ البؤساء ونعوذُ بِكَ مِن عيشةٍ في شدةٍ وموتٍ على غير عُدَّة.

اللهمَّ احيِينا ما كانتِ الحياةُ خيراً لنا، فإذا كانتْ حياتُنا مرتعاً للشيطانِ فاقبِضْنا إليكَ غيرَ خزايا ولا مفتونين.

اللهمَّ انصرِ الإسلامَ والمسلمينَ واخذُلْ أعداءَك أعداءَ الدينِ من اليهودِ والنصارى والملحدينَ ومَن أرادنا بسوء في دُنيانا والدين.

اللهم أهلك الكفرةَ والملحدينَ والمفرقينَ بين المسلمينَ، والصادِّينَ عن ذِكرِك والمخربينَ لدينِك والمتقطعينَ في سبيلِك، والمعادِين لأوليائِك أينما كان كائنُهم.

اللهم فَرِّقْ جمعَهُم وشتتْ شملَهُم واقطعْ دابِرَهُم وأهلِكْ أوَّلَهم وآخِرَهُم، واكْفِ المؤمنين شرَّهُم وضُرَّهُم، واجعلهم غنيمةً للمؤمنينَ يا ربَّ العالمين، اللهم احفظ لنا علماءَنَا العامِلِين والدعاةَ والمرشدينَ وطلبةَ العلمِ أجمعين، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكرْكُم، واشكروه على نعمِه يزدْكُم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

❁❁❁❁❁

[٢]- فرصة العمر

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي شرعَ لنا مِن أحكامِ دينِه، ما هو كفيلٌ بالسعادة، وضاعفَ للعاملينَ بالحسنى وزيادة، نحمدُه على نِعمِه المتواليةِ، وآلائهِ المتتاليةِ، ونشكرُهُ على كلِّ حالٍ، ونعوذُ بهِ من سوءِ المآل.

ونشهدُ ألّا إله إلا الله الكبيرُ المُتَعَالُ، عظيمُ النَّوَالِ.

ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه المجتبى، والمبعوثُ للناسِ أجمعين، صلوات الله عليه وعلى عترتِه الطاهِرين، مِن يومِنا هذا إلى يومِ الدين.

أما بعد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

واعلموا رحمني اللهُ وإياكم أنَّ اللهَ لم يخلقْنا عبثاً ولن يتركَنَا سُدى قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ لقد خَلَقَنا اللهُ للعبادةِ وألزَمَنا كلمةَ التقوى، وأوجبَ علينا السمعَ والطاعةَ، أبانَ اللهُ لنا معالمَهُ لنلزمها، وأوضحَ لنا شعائرَه لنعملَها، وحذرَنَا محارمَه لنجتنبَها، وبيَّنَ لنا حدودَهُ فلا نتعدَّاها.

لهذا خَلَقَنا اللهُ، خَلَقَنا للعبادةِ وأوجدَنا للطاعةِ والإنابةِ، لا وقتَ لِلّهْوِ واللعبِ، ولا مكانَ للعبثِ والفوضى في هذهِ الحياةِ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ لا مكانَ للهزلِ ولا وقتَ للمزاحِ، الأمرُ جدٌّ، والخطبُ جسيمٌ، والوقتُ ضيقٌ، والعمرُ قصيرٌ، العمرُ يَمُرُّ مَرَّ السحابِ، والدقائقُ تنقضي، والساعاتُ تذهبُ، والأيامُ تمرُّ، والأعوامُ تنصرمُ، فإلى متى الغفلةُ والتكاسلُ؟ إلى متى الغرورُ والتخاذلُ؟ متى سنفيقُ؟ متى سنعملُ؟ متى سَنَجِدُّ ونجتهدُ؟

وجدنا أطفالاً نلعبُ ونلهو، تزوجنا وأنجبنا وصرنا آباءً، توالت الأيامُ دون أن نشعر، ودارت رحى الزمانِ دون أن ننتبهَ، نما الشيبُ في رؤوسنا وخالطَ لِحَانَا، مات آباؤُنا وتغيَّرَ كلُّ شيءٍ مِن حولِنا، تحولتِ الأمورُ، وذهبَ جيلُنا، ونما بعدنا أجيال.

كلُّ شيءٍ تغيرَ إلا نحنُ لم تُغيرنا تقلباتُ الليالي والأيامِ، ولم تُنبِّهنا توالي السنواتِ والأعوامِ، ولم نتذكر الرحيلَ، ولم تُوْقِفْنا من غفلتنا الأحداثُ التي تمرُّ حوالينا، وأعمارُنا التي تنصرمُ وكأنها حلمٌ في منام.

نداءاتٌ يترددُ صداها من حوالينا تُنَبِّهُنا، تُوَقِّفُنا، ولكن دون جدوى وبِلا فائدةٍ.

ناداكَ الشَّعَرُ في عارِضَيكَ: لقد كبرت، انتبه!

ناداكَ الشيبُ وقد اشتعلَ في رأسِكَ: لقد بلغتَ أشدَّكَ وانتهى شبابُك فلَمْ تُفِق، بل تردُّ هازِئاً: فلان أكبرُ مِني، ثم يُنكر طولَ عمرِه بقوله: أنا ما زلت صغيراً، الشيبُ لا عبرة به، إنما هو وراثةٌ أو لأجلِ مرضٍ في المعدةِ أو قرحةٍ، أو نحوِ ذلك!!

نادَاك الأولادُ مِن حينٍ إلى آخر: يا أبتاه يا عماه، لقد ذهب عُمُرُك، ومضى جيلُك أتى مِن بعدِك جيلٌ، فلم تنتبه!!

ناداك تَجَعُّدُ جسمِك، وتساقطُ أسنانِك: أنت الآن تُنْكَسُ في الخلقِ فاغتنم شبابَكَ قبل هرمِك، وصحتَكَ قبل سقمِك.

ناداكَ ضعفُ قوتِك، وثِقْلُ سمعِك، وضعفُ بصرك: أنت الآن على حافةِ

قبرِكَ انتبه؛ فلم تنتبه ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾.

نادااك أحفادُك بِأَعلىٰ أصواتهم: يا جداه أنت قد كبرتَ وعجزتَ وثَقُلَ سمعُكَ سوفَ ترحلُ عنا عن قريب، وأنت لا تنتبه.

نادااك أهلُك وعشيرتُك قالوا لك: ذهبَ رفاقُك وأصحابُك ومَنْ هم في سِنِّكَ، مات كلُّ من شبيتَ معهم، لم يبقَ أحدٌ منهم، لقد حان وقتُك وأتىٰ دورُك انتبه لنفسِك، استيقظْ من غفلتِك، ولكنْ لا مجيب؛ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾، ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً﴾.

عبادَ الله: إنها الحياةُ تمرُّ علىٰ الأخضرِ واليابسِ، تعصفُ بالكبيرِ والصغيرِ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

هكذا تمرُّ بنا سفينةُ الحياةِ، وهكذا يمضي مشوارُ العمرِ، وهكذا بدأَ التنكيسُ في الخَلْقِ إلىٰ أن يُرَدَّ المرءُ إلىٰ أرذلِ العمرِ لكي لا يعلمَ مِن بعدِ علمٍ شيئاً، هذه هي سُنةُ الحياةِ، وهذا مصيرُ كلِّ مخلوقٍ إذا طالَ به العُمُرُ، فلا مجالَ للمغالطةِ، ولا مكانَ للتهربِ من الحقيقة.

إنَّ العمرَ قد مضىٰ مِنه ما مضىٰ وذهب وانقضىٰ، وعَظَّمَ اللهُ أجرَ الجميعِ فيما فاتهم من أعمارِهم وما خسرُوه من أوقاتِهم، والفرصِ التي ذهبتْ سُدىً بدونِ فائدةٍ أو عملٍ.

عبادَ الله: لا بدَّ من محاسبةِ النفسِ، ومراجعةِ الحساباتِ، واسترجاعِ الماضي، وسؤالِ النفسِ أين ذهبَ العمر؟ أين ذهبتْ قوةُ الشبابِ وزهرةُ العمرِ؟ ما الذي حصدناهُ في حياتِنا؟ ما الذي جنيناهُ في سنواتٍ مضتْ وانقضتْ من أعمارِنا؟ هذا ما سيسألُنا عنهُ اللهُ ولا بُدَّ أن نُعِدَّ لهذا السؤالِ جواباً.

يقولُ الرسولُ ﷺ: ((لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسأَلَ عن عُمُرِهِ فِيمَ أفناهُ، وعن شبابِهِ فيمَ أبلاهُ، وعن مالِهِ ممَ اكتسبَهُ؟ وفيمَ أنفقهُ؟ وعن حبِّنا أهلَ البيت)).

إنَّ اللهَ قد جَعَل الليلَ والنهارَ خِلْفَةً لَمنْ أرادَ العملَ والتكسبَ ليوم فقرِه وحاجتِه، ليومِ جوعِهِ وشدّتِهِ، ليومٍ لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنونَ، إلا مَنْ أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ.

إنَّ اللهَ قد أمرَنَا بالتزودِ ليومِ المعادِ بقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ وأمرَنَا أن نُحاسبَ أنفسَنَا وذلكَ بالنظرِ إلى ما قدمناه، قال تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

احْسِبْ محصولَك؟ واجمعِ القوتَ الذي وفَّرْتَه، وانظر هل يكفيك لرحلةِ الموتِ والسفرِ الطويلِ الذي مقدارُه خمسونَ ألفَ سنةٍ؟

عبادَ الله: إنَّ اللهَ سيُحاسبُنا على كلِّ لحظةٍ مضَتْ من أعمارِنا سيَسألُنا عن حياتِنا، وما فرطْنا فيهِ من شبابِنا، وعن معاشِنا ونفقاتِنا من أي مصدرٍ اكتسبْناها.

إنَّ خمسين ألفَ سنةٍ للمحاكمةِ، وقتٌ طويلٌ سيتسعُ لكلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ، وكلِّ شاردةٍ وواردةٍ، لا مجالَ لاختلاقِ الأعذارِ والمبرراتِ وتلفيقِ التهمِ للآخرين، ولا وقتَ للمماطلةِ والإنكارِ والتهربِ من تحملِ المسؤوليةِ.

﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾.

حوالي ستينَ سنةً أمهلَنَا اللهُ فيها لنعملَ، عشراتُ السنين مكنَنا اللهُ فيها بالقوةِ ومتعَنا بالصحةِ والعافيةِ لنعبدَه ونشكرَه فما الذي عملناه؟ ما الذي شغَلَنا عن العملِ؟ ما الذي ألهانا؟ مهما قُلنا: ربَّنا غلبتْ علينا شقوتُنا، شغلتنا أموالُنا وأهلونا، إنا كنا مستضعفين في الأرض. فهذا لن يشفعَ لنا بين يدي اللهِ، إنَّ اللهَ

قد فَصَّل الأمرَ بقولِه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فلا يعتذرون بالأموال ولا يتعللون بالتكسب وطلب الرزق ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ۝ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾

ابنَ آدم: ما دُمتَ في دارِ الخيار، وما دام فيك عرقٌ ينبضُ بالحياةِ، فما زِلتَ إلى خيرٍ. ما زالَ بِوُسْعِكَ أنْ تعملَ الكثيرَ، ما زِلْتَ قادراً على تكفيرِ الخطايا، وتعويضِ الماضي ما زِلْتَ قادراً على تصحيحِ وضعِك وتدارُكِ ما فاتَك.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ بل إنَّ اللهَ يدعونا ويتألفُنا لنرجعَ إليه، ويرغبُنا في فضلِه وسعةِ جودِه ورحمتِه، وعظيمِ عفوِه ومغفرتِه. ويأمرُنا بالتوبةِ والإنابةِ مهما كانت ذنوبُنا، ومهما بلغت خطايانا فلا نيأسْ ولا نقنط، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ۝﴾.

المهمُّ هو أن نَصْدُقَ مع اللهِ، ومع أنفسِنا، وأن نُخلصَ التوبةَ للهِ، وأن نُعاهدَ اللهَ على أن لا نعودَ في معصيةٍ، وعلى أن لا نتركَ أوامرَه وفروضَه، مهما كانت الأسبابُ والمبرراتُ.

عبادَ الله: والآنَ ألا يكفي ما مضى، ألا يكفي عشراتُ السنينَ التي ضيعناها في الغفلةِ واللهوِ واللعبِ؟ منَّا من ذهبَ نصفُ عمرِه، ومنا من ذهبَ ربعُ عمرِه، وبعضُنا شارف على النهايةِ، ورجلُه على شفيرِ القبرِ، ما الذي حصلناه؟ وما الذي انتفعنا به؟ لا شيءَ، ملذاتٌ وشهواتٌ ذهبتْ لذاتُها وبقِيتْ تَبِعاتُها، وكأنها أحلامٌ.

عبادَ الله: يجبُ أن نتذكرَ (مَن نحن)؟ نحن للهِ وأعمارُنا للهِ، وواجبٌ علينا ألَّا نُضيعَ لحظةً واحدةً في غيرِ طاعتِه ومرضاتِه. انظروا وقلبُوا سيرَ المتقين والأولياءِ والصالحين، الذين اغتنموا فرصةَ الحياةِ. فلم يُفرطوا في لحظةٍ من أعمارِهم، بل لقد بلغَ بهمُ الحرصُ أنهم لم يكتفوا بعبادةِ النهارِ. ورأوا بأن ضياعَ نصفِ العمرِ في النومِ خسارةٌ لن تُعَوّض، فهبُّوا من رُقادِهم وشمَّروا عن سواعدِ الجدِّ وواصلوا عبادةَ الليلِ بعبادةِ النهارِ. ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ۝١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

نسألُ اللهَ أن يجعلَنا مِمِنْ سَمِعَ فوعى، وانتبه فارعوى إنه سميعٌ قريبٌ مجيبُ الدعاء، وهو حسبُنا ونعمَ الوكيل.

أقولُ ما تسمعونَ وأستغفرُ الله العظيمَ مِن كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

 ﴿وَالْعَصْرِ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ۝٣﴾.

❁❁❁❁❁

الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي جعلَ الليلَ والنهارَ خِلْفَةً لمن أرادَ أن يذكَّرَ أو أرادَ شكورا، نحمدُه على نعمةِ الإسلامِ، ونشكرُه على الصحةِ والأمانِ.

ونشهدُ ألّا إله إلا الله وليُّ الصالحين وغايةُ آمالِ العارفين.

ونشهدُ أن سيدَنا ورسولَنا محمدُ بنُ عبدِ الله الطاهرُ الأواه صلى الله عليه وعلى آلهِ الولاةِ سفنِ النجاةِ، وسلمَ تسليماً كثيراً.

وبعد:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

واعلموا **عبادَ الله**: بأنَّ اللهَ خلقَنا وربّانا ورعانا، ورزقَنا العقولَ، ومنحَنا القوةَ، ووهبَنا العافيةَ، ومَنَّ علينا بالأمنِ والأمانِ والسلامةِ في دينِنا ودنيانا، وتفضلَ علينا بنعمٍ سابغةٍ وفضائِلَ متواليةٍ، **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾** إن هذا الجسدُ الذي وهبَه اللهُ لَك يحوي من الكنوزِ ما لا حصرَ له، فلا الذهبُ يوازيهِ ولا الفضةُ والجواهرُ تساويهِ.

فكم تساوي نعمةُ البصرِ، وكم تساوي نعمةُ السمعِ؟ كم تساوي نعمةُ الكلامِ؟ بل كم تساوي نعمةُ العقل والشمِّ والذوقِ والصحةِ؟ كم وكم من النعمِ الظاهرةِ والخفيةِ التي منَّ اللهُ بها علينا، لو أَعطوا أحدَنا نصفَ الدنيا مقابلَ نعمةِ النظرِ لرَفَضَها. لو أعطوه الملايين مقابلَ نعمةِ السمعِ لرفَضَها، لو عَرَضُوا عليهِ أحمالَ الذهبِ والفضةِ مقابلَ نعمةِ اللسانِ ما قبلها. لو مَلَّكوه ما على وجهِ الأرضِ مقابلَ عقلهِ لَسَخِرَ منهم ولردَّهم خاسئين.

عبادَ الله: كلُّ واحدٍ مِنَّا يحوي كنـزاً، ويملِكُ ثروةً كبيرةً من النعمِ والمواهبِ، فما هناك من شيءٍ في ابنِ آدم إلا وله ثمنٌ وللهِ علينا فيه مِنّة، من الشعرةِ الصغيرةِ إلى الروحِ التي تنبضُ بالحياةِ. هذا كلُّه مِن مواهبِ اللهِ ومنحِه وعطاياه، مَنَّ بها علينا لنستعينَ بها على طاعتِه، ونتقوّى بها على مرضاتِه، فكفرْنا بنعمةِ اللهِ وجحدْنا فضلَه، وأنكرنا جودَه ونسينا شكرَه. إنَّ الإنسانَ لظلومٌ كفَّار، منحَنا اللهُ النعمَ في أجسادِنا والعافيةَ في أبدانِنا، لننهضَ لعبادتهِ وشكرِه على ما أَوْلانا وما أسداهُ إلينا ولكنَّنا كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً﴾.

تجاهلنا أوامرَ اللهِ، وتهاونَّا وتساهلْنا بحقِّه، تباعدْنا عن الربِّ القويِّ الذي له علينا كلُّ فضلٍ ومنَّة، واتجهنا نحوَ المخلوقِ الضعيفِ لنعملَ معه ونطيعَ أمرَه، ونفني أعمارَنا في خدمتهِ، كأنّه المنعمُ علينا والمتفضلُ بالإحسانِ إلينا.

﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ لُعِنَ ابنُ آدامَ ما أجحدَه لنعمةِ اللهِ وما أنكرَه لفضلِه، ما إنْ يشبُّ ويستوي ويقوى ساعِدُهُ حتى يصعِّرَ خَدَّهُ نحوَ مولاهُ وخالِقِه ويتوجَّهُ صوبَ المخلوقين يُذلُّ نفسَه ويهينُ كرامتَه يعملُ بجهدٍ وغيرِ جهدٍ لخدمتِهم وطلبِ رضاهم ولو على حسابِ رضى الله.

يفعلُ كلَّ ذلك مقابلَ أُجْرَةٍ زهيدةٍ وثمنٍ بخسٍ دراهمَ معدودةٍ، باع بها دينَه بدنيا غيرِه وخسرَ البيعَ.

واللهُ يناديه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ما الذي أغرَّاكَ، مَنْ الذي ألهاكَ؟ مَنْ الذي خدعَك وأغواك؟ ما الذي أبعدكَ عن ربِّك الكريمِ الوهابِ؟ الذي خَلَقَكَ فسوَّاكَ وبنعمتِه غذَّاك وربَّاك؟

ماذا عَمِلوا لك؟ وما الذي أعطوك؟ وبأيِّ شيءٍ أغروكَ؟ وبأيِّ ثمنٍ شَرَوْكَ؟ مَن الذي خلقك فسواك؟ هل هُمْ أم اللهُ؟ مَنْ جعلَ لك السمعَ والبصرَ والفؤادَ، هل هم أم الله؟ مَن الذي عافاكَ ورعاكَ وفي ظلماتِ الأرحامِ غذَّاكَ وحماكَ؟ عُدْ

إلى اللهِ؛ ارجعْ إلى ربِّك فهو خيرٌ لك منهم.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ اعمل مع اللهِ بنصفِ الجهدِ الذي تعملُ معهم ولك منه الجنةُ، أطعْ ربَّك وأخلِصْ له مثلَ إخلاصَكَ معهم ولك عليه الجنة.

هكذا أرادَ اللهُ مِنَّا أن نكونَ، فالعجبُ العجابُ مِن قومٍ يُقَدِّمون طاعةَ الخَلْقِ على طاعةِ الخالق، ويُؤثرونَ رِضاهُم على رِضاه، يخشون الناسَ أشدَّ خشيةً من اللهِ ويحبون الناسَ كحبِّ اللهِ أو أشدَّ حبّاً.

عبادَ الله: لقد وصلَ الناسُ إلى درجةِ العبوديةِ لبعضِهم البعض، هناكَ مَن يراعي مشاعرَ المخلوقين ويهتمُ بما يقولون عنه. أهَمُّ شيءٍ عندَه أن يحفظَ منزلتَه ومكانتَه في قلوبِ الخلقِ، ولا يهمُهُ في أي سجلٍّ يُكتبُ اسمُه عند اللهِ، لا يعنيه أيُكْتَبُ في سجينٍ أم في عليين.

إذا ما وقع بين أمرينِ أحدِهما رضا للخلقِ ومسخطٌ للخالقِ، آثرَ رضى الخلقِ على رضى اللهِ، يأكلُ الغلولَ ويمنعُ المواريثَ عن الأرحامِ لئلا يعيّبَه الناسُ، يتركُ التديُّنَ والعبادةَ لئلا يشمتَ بِهِ الناسُ، يحضر عند من يستمعُ إلى الغناءِ وهو يعلمُ أنه حرامٌ فلا ينهى لئلا يسخرَ منه المخلوقون.

هل مثلُ هذا الصنفِ من الناسِ مدينٌ للهِ بالعبودية؟ أمثلُ هذا النوعِ من البشرِ عبدٌ لله أم عبدٌ للناسِ؟ لقد أصبحَ يعيشُ لإرضاءِ الناسِ، همُّه ما يقولون وما يتوعَّدون، هل رَضوا عنه أم هم عليه ساخطون؟

يقول الرسولُ ﷺ: ((من أسخطَ اللهَ في رضا الناسِ سَخِطَ اللهُ عليه، وأسخطَ عليه مَن أرضاهُ في سخطِه، ومَنْ أرضى اللهَ في سخطِ الناسِ رضي اللهُ عنه، وأرضى عنه من أسخطَه في رضائه)).

عبد الله: اسمع قولَ اللهِ جَلَّتْ قدرتهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾ فاللهُ تعالىٰ قد عَرضَ ثمناً لنفسِك هو الجنةُ، فإن كنتَ ممن يبيعُ فلا ترضىٰ بدونِ ما عرضَهُ اللهُ.

عبادَ الله: هذه هي مجملُ حياةِ كثيرٍ من الناسِ، هذا هو موجزٌ لأنباءِ أعمارِ كثيرٍ من الخلقِ يومَ يُسألون عن أعمارِهم فيما أفنوها، يومَ يُسألون عن زهرةِ شبابِهم كيف قضوها وأمضوها؟! هل في طاعةِ اللهِ وخدمةِ الدينِ أم في خدمةِ المستكبرين والمترفين ليس لله منها شيء.

بأيِّ وجهٍ سيُلاقي أمثالُ هؤلاء ربَّهم؟! وبأيِّ حجةٍ سيُقابلون ربَّ السمواتِ والأرضِ، ما حالُ هؤلاءِ بينَ يدي مَن لا تخفىٰ عليهَ خافيةٌ، ما حالَهم يومَ يُقالُ لهم: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً ﴿٥٦﴾﴾.

ما حالَهم يومَ يُنادُون كبراءَهم قائلين: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ﴾ فيردون عليهم: ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾.

حقّاً إنها لحسرةٌ؛ وأعْظِمْ بها علىٰ أهلِها من حسرةٍ أجارَنا اللهُ منها، ووقانا شرَّها وضرَّها، إنَّ ربي وليُّ النعماءِ، وكاشفُ الضرِّ والبلاءِ، وهو حسبُنا ونعمَ الوكيل.

عبادَ الله: إنكم في يومٍ عظيمٍ ويومِ عيدٍ كريمٍ شرَّفَه اللهُ وكرمه علىٰ سائرِ الليالي والأيامِ. فأكثروا فيه من الصلاةِ والسلامِ علىٰ نبيِّكم خيرِ الأنامِ امتثالاً لأمر اللهِ القائلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلايِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهم فصلِّ وسلمْ وباركْ وترحمْ علىٰ عبدِك ونبيِّك وخيرتِك من خلقِك أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وصلِّ اللهمَّ وسلِّم علىٰ أخيه وابنِ عمه وبابِ مدينةِ علمِه أشجعِ طاعنٍ وضاربٍ عليِّ

بنِ أبي طالبٍ، وعلى زوجتِه الحوراءِ خامسةِ أهلِ الكساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ.

وصل اللهم وسلم على ولديها الإمامينِ الأعظمينِ أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ الله الحسينِ، وصل اللهم وسلم على الوليِّ بنِ الولي الإمامِ زيدِ بنِ علي.

وصل اللهم وسلم على الإمام الهادي إلى الحقِ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيمَ.

وصل اللهم وسلم على سائرِ أهلِ بيتِ نبيِّكَ المطهرينَ دعاةً منهم ومقتصدين، وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من المهاجرين والأنصارِ وعنَّا معهم بفضلِك ومَنِّك يا كريم.

ـ اللهم انصرِ الإسلامَ والمسلمين، واخذلْ أعداءَك أعداءَ الدين واليهودَ والنصارى أجمعين.

ـ اللهم أهلك الكفرةَ والملحدينَ والمفرقينَ بينَ المسلمينَ، والصادِّينَ عن ذكرِك والمخربينَ لدينِك والمتقطعين في سبيلِكَ، والمعادين لأوليائِك أينما كان كائنُهم.

ـ اللهم فرق جمعَهم وشتت شملَهم واقطع دابرَهم واهلك أولَهم وآخرَهم، واكفِ المؤمنينَ شرَّهم وضرَّهم، واجعلهم غنيمةً للمؤمنين يا ربَّ العالمين، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكرْكم، واشكروه على نعمِه يزدْكم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.



[٣]- القرآن بين النظرية والتطبيق

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾.

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ القرآنَ وجعلَه خيرَ وسيلةٍ إلىٰ سبيلِه سبيلِ السلام، فأبانَ به الحلالَ والحرامَ، وأكملَ به نعمةَ الإسلامِ علىٰ كلِّ الأنامِ، فقال جلَّ جلالُه: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾.

ونشهدُ ألَّا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، الملكُ القدوسُ السلامُ المؤمنُ، الذي لا تُدْرِكُه الأبصارُ وهو يُدْرِكُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الخبيرُ.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ رحمةً للعالمين والداعي إلىٰ الله بإذنِه السراجُ المنيرُ صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله قرناءِ القرآن، والحجَجِ علىٰ كلِّ الأنامِ وسلمَ تسليماً كثيراً.

أما بعد:

عبادَ الله: فإنَّ المتأملَ لحالِ المسلمين في هذا الزمان، وحالِ ارتباطِهم بالقرآن، ليرىٰ ما يدهشُ العقولَ ويحير الألبابَ، إذ قد قستْ القلوبُ، وجمدتِ العيونُ، وهُجِرَ القرآنُ، وإن قُرِئَ قرئ بقلوبٍ غافلةٍ وألسنةٍ لاغيةٍ جُعِلَتْ البركةُ في مجردِ تلاوتِه وسماعِه، والمفاخرةِ بحسنِ ترتيلِه وتجويدِه، وتُرِكَتْ بركتُه الحقيقيةُ التي هي في تدبرِ معانيه واتباعِ أوامرِه، وإحلالِ حلالِه وتحريمِ حرامِه، وتحكيمِه في كلِّ أمورنا امتثالاً لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

عبادَ الله: إن للقرآنِ عظمةً لا توازيها عظمةٌ، فهو كلامُ اللهِ ووحيُه إلى نبيِه، جعلَه اللهُ مهيمناً على كلِّ الكتبِ، وتحدى اللهُ بِهِ معشرَ الثقلين، من الجنِّ والأنسِ على أن يأتوا بسورةٍ مِن مثلِه. ولقد كانت له منزلةٌ عظيمةٌ في صدورِ السابقين، فما سمعه بشرٌ إلا تابَ وأنابَ، وأذعنَ إلى الملكِ الوهابِ، إلا مَن رَكِبَهُ الكبرُ واتبعَ هواه، إذا تُلِيَتْ عليه آياتُنا مرَّ مستكبراً كأنْ لم يسمعْها، أمَّا المؤمنون فإنهم إذا تُلِيَتْ عليهم آياتُه زادتْهُم إيماناً، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً﴾، ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾، حتى مردة الجانِّ أذعنوا للهِ واتبعوا أمرَه، ولم يرتكبوا متونَ زجرِه، بمجردِ أن سمعوا آياتِه ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً﴾.

كلُّ مخلوقٍ على وجهِ هذهِ الأرضِ أهدى مِن ابنِ آدم وأسرعُ منه في إجابةِ نداءِ ربِه، والامتثالِ لأمرِه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

عبادَ الله: إنَّ الجنَّ ليسوا بأشدَّ من بني آدمَ غلظةً وفظاظةً، بل إنهم قد يكونون أسرعَ في تَقَبُّلِ الحقِّ، إذا وضحتْ لهم أعلامُ الهدى أتوا إليها مذعنين غيرَ آنفين ولا مستكبرين، كما أخبر اللهُ تعالى عنهم بقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ۝٢٩ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

حتى الجمادات بما آتاها اللهُ من القوةِ والصلابةِ لو أُنزِلَ عليها القرآنُ للانت وخشعت وتفجَّرت بالأنهار، كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

نشكوا إلى اللهِ تلك القلوبَ التي قست ورانَ عليها كسبُ تلك المآثمِ

من خشيةِ المولى هوى الجبلُ الذي في الطورِ لانت قسوةُ الأحجارِ

أولم يأنِ وقتُ الخشوع فلا تغرنَّ الحياةُ سوى مغرارِ

عبادَ الله: أما آن الأوانُ لأن تخشعَ هذه القلوبُ وتذعنَ وتلينَ لآياتِ اللهِ وبيناتِه، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

إن المؤمنين بطبعِهم مستجيبون للهِ تنفعُهم العظةُ، وتردعُهم العبرةُ، كما قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حتى معَ آياتِ اللهِ إذا سمعوها لم يخروا عليها صُمّاً وعُمياناً، بل تهزُّ كيانَهم وتنفُذُ إلى أعماقِ ضمائرِهم، فتخبتَ لها قلوبُهم، وتزدادَ بها قوةً ويقيناً، كما قال تعالى في وصفِهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

ما أعظمَ الفرقَ وأبعدَ ما بينَ أولئكَ وهؤلاءِ الذين يهربون من كلامِ اللهِ ويَضِيْقُون به ذرعاً، وتقسوا قلوبُهم وتضيقُ مِن ذكرِ اللهِ، ولا يزيدهم إلا رجساً

كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

فأينَ هؤلاءِ من قساةِ القلوب؟ الذين رانت عليها الذنوبُ والآثامُ، فأصبحت كالحجارةِ أو أشد قسوةٍ حتىٰ إننا لنظلمُ الحجرَ إذا شبهنا قلبَ الفاجرِ بها، فـ ﴿إِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

إنهم لم يتركوا للقرآنِ مقرّاً في قلوبِهم، بل نبذوه وراءَ ظهورِهم، واستبدلوا بوحي الله وحيَ الشياطين، قال تعالىٰ: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾.

إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد أصبحت القلوبُ القاسيةُ التي أبتْ أن تكون مقراً لوحيِ اللهِ مستودعاً لوحيِ الشياطين. ولذا فقد توعد اللهُ هذا الصنفَ من قساةِ القلوب بقولِه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.

عبادَ الله: إن مِن صفاتِ أولياءِ اللهِ أن إذا سَمِعُوا آياتِ الله تُتلىٰ خرُّوا سجداً وبُكيّاً، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾.

فاللهَ اللهَ **عبادَ الله** في كتابِ ربِّكم، خذوه بقوةٍ واذكروا ما فيه واتبعوه، وأحِلُّوا حلالَه وحرموا حرامَه، فإنما هلك من كان قبلَكم بتضييع حدودِه وركوبِ متونِ زجرِه.

عبادَ الله: كلٌّ مِنَّا يقرأُ القرآنَ، ولكن هل من متدبرٍ ربطَ حياتَه بالقرآنِ قولاً وعملاً؟ يُقْبَلُ عليه تلاوةً وتفسيراً وتدبراً، منه ينطلقُ، وإليه يرجعُ، امتثالاً لقولِه تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾.

إن وقفةً واحدةً مع آياتِ اللهِ العظمى لتبني النفوسَ بناءً لا يتزلزلُ ولا يحيفُ، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً۝٦٦ وَإِذاً لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّـا أَجْراً عَظِيماً۝٦٧ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾.

عبادَ الله: ليس المقصودُ من القرآن أن نتعبدَ بتلاوتِه، وأن نزينَ به جدرانَ بيوتِنا ومساجِدِنا فحسب، بل إنه لا بُدَّ من الإيمانِ والتصديقِ بما جاءَ به، والعملِ بِه كما قالَ تعالىٰ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وإحلالِ حلالِه، وتحريمِ حرامِهِ، وكلُّ مَنْ تهاونَ بأمرٍ مِنْ أوامرِه، أو تعدىٰ حدّاً من حدودِهِ فليس من الله في شيء، وقد استحقَّ بذلك العذابَ، واستوجب سخطَ اللهِ.

لا يليقُ بالمؤمنِ أن يتظاهرَ بالطاعةِ، ويزعمَ أنه من أهلِ التقوىٰ وأهلِ المغفرةِ، وهو يمشي علىٰ غير صراطِ اللهِ، ومنهاجِه الذي شرعه في كتابِه، فيعمل من القرآن ما وافقَ هواهُ، وينبذُ ما دونَ ذلك خلفَ ظهرِه؛ فيكون ممن يشكوهم رسولُ اللهِ إلىٰ ربه بقوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾.

عبادَ الله: إن المتأملَ في آياتِ القرآنِ، وما حوتْ من الشرائعِ والأحكامِ لتأخذُه الدهشةُ والعجبُ، ويقف حائراً مدهوشاً مما يرىٰ، حيث أصبحنا من القرآنِ بمنزلة الثرىٰ من الثريا، أحكامُه في جانبٍ، ونحنُ في جانبٍ، فلا أحللنا حلالَه ولا حرمنا حرامَه، نتلو آياتِه ونتركُ العملَ بأحكامِه (وكم من قارئٍ للقرآنِ والقرآنُ يلعنُه).

عبادَ الله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾، مَن جعله أمامَه قادَهُ إلىٰ الجنةِ ومن جعلَه خلفَه ساقَهُ إلىٰ النارِ، فكم من أمرٍ انتهكناه، وكم من حكمٍ تركناه.

فأصبحنا كما قال ﷺ: ((ما بالُ أقوامٍ يشرِّفون المترفين، ويستخفون بالعابدين، ويعملون بالقرآنِ ما وافقَ أهواءَهم، وما خالفَ أهواءَهم تركوه، فعند ذلك يؤمنون ببعضٍ ويكفرون ببعضٍ)) وذلك قولُ الله:

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

عبادَ الله: إن مَن قرأَ القرآنَ ولم يعملْ بما فيه سوف يحشرُه اللهُ يومَ القيامةِ أعمى كما قالَ تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾.

ومَن قَرأَه وحَكَّمَهُ في جميعِ أمورِه كانَ لَهُ نوراً في قبره، وأنيساً في وحشتِه، ونوراً في حشرِه ونشرِه. قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((يَأْتِي الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ لِسَانٌ طَلْقٌ ذَلْقٌ قَائِلاً مُصَدَّقاً، وَشَفِيعاً مُشَفَّعاً، فَيَقُولُ: يَارَبِّ جَمَعَنِي فَلَانٌ عَبْدُكَ فِي جَوْفِهِ؛ فَكَانَ لَا يَعْمَلُ فِيَّ بِطَاعَتِكَ، وَلَا يَجْتَنِبُ فِيَّ مَعْصِيَتَكَ، وَلَا يُقِيمُ فِيَّ حُدُودَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: صَدَقْتَ؛ فَتَكُونُ ظُلْمَةٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأُخْرَى عَنْ يَمِينِهِ، وَأُخْرَى عَنْ شِمَالِهِ، وَأُخْرَى مِنْ خَلْفِهِ تَبْتَزُّهُ هَذِهِ وَتَدْفَعُهُ هَذِهِ حَتَّى تَذْهَبَ بِهِ إِلَى أَسْفَلِ دَرْكٍ فِي النَّارِ.

قَالَ: وَيَأْتِي فَيَقُول: يَارَبِّ جَمَعَنِي فُلَانٌ عَبْدُكَ فِي جَوْفِهِ؛ فَكَانَ يَعْمَلُ فِيَّ بِطَاعَتِكَ، وَيَجْتَنِبُ فِيَّ مَعْصِيَتَكَ، وَيُقِيمُ فِيَّ حُدُودَكَ، فَيَقُولَ: صَدَقْتَ، فَيَكُونُ لَهُ نُوراً يَصْدَعُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ فَلَكَ بِكُلِّ حَرْفٍ دَرَجَةٌ فِي الْجَنَّةِ حَتَّى تُسَاوِي النَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءَ هَكَذَا وَجَمَعَ بَيْنَ الْمُسَبِّحَةِ وَالْوُسْطَى)).

عبادَ الله: لقد أصبحنا في الزمن الذي نبأنا به رسولُ الله ﷺ حينَ قال: ((يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمُه ولا من القرآنِ إلا رسمُه)).

فلم يبقَ من عظمةِ القرآنِ في صدورِ الناس غيرُ رسمِ حروفِه، وأَشْكَالِ حركاتِه وسكناتِه.

اشتغلنا بالشكلِ عن الجوهرِ، وبالقالَبِ عن القلبِ، وباللفظِ عن المعنى، وتمسكنا بالقشورِ وتركنا اللبَّ، جعلنا أكبرَ همِّنا حفظَ الآياتِ، وتحسينَ التلاوةِ، وتركنا ما هو أهمُّ من ذلك، وهو العملُ به وتطبيقُ أحكامِه وأوامِره، وإني والله لأخشى أن نصبح في زُمرة مَنْ قال الله فيهم: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

عبادَ الله: تأملوا معي بعضَ آياتِ القرآنِ وأحكامِه، وموقفَ الناسِ منها اليوم، فانظر إلى مَن يأكلُ المواريثَ وغلولَها، ونسيَ قولَ اللهِ في كتابه: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾ ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمّاً وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً﴾.

أينَ قاطعُ الصلاةِ من تهديدِ اللهِ بقولِه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾؟!

أين القاذفون للمحصنات -الذين يقولون فلانةٌ فعلت كذا وكذا- بلا دليلٍ ولا بينةٍ- مِن قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾؟!

إنها مجردُ أوهامٍ وظنونٍ كاذبةٍ استحقوا بموجبِها اللعنةَ والحكمَ عليهم بالفسقِ والخروجِ من رحمةِ اللهِ، والردَّ لشهاداتِهم مدةَ حياتِهم، وذلك لاستجابتِهم لشكوكِهم الكاذبة، وتركِهم للعملِ بأحكامِ القرآنِ، حتى وإن كان ذلك حقّاً، فالواجبُ السكوتُ؛ لأن القذفَ جرمٌ عظيمٌ، ولذا فإن البيِّنةَ لا تقومُ إلا بأربعةِ شهداء، بينما يُقْبَلُ في القتل شاهدان، فلو أن ثلاثةً شهدوا على امرأةٍ بالزنا لوجب جلدُهم ولا تُقْبَلُ شهادتُهم إلا إذا بلغوا أربعةً عدولاً، فالمسألةُ عظيمةٌ، ليست مجردَ ثرثرةٍ، وتقطيعَ وقتٍ بالهتك لحرماتِ المؤمنين، هذا وإن نجا

القاذفون في الدنيا، ولم يعاقبْهم أحدٌ فلن ينجوا يومَ تجتمعُ الخصومُ بين يدي اللهِ في يومِ القيامةِ وهو القائلُ عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

عبادَ الله: أين المتشاجرون والمتخاصمون مِن قولِ الله: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

أين مَنْ عُرِضَ عليه حُكْمُ اللهِ، أو قولُ عالمٍ وحكم كتابِ اللهِ فرفض- من قول الله: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾؟

أين المغتابون- من قولِه تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾؟

أين الهمازون اللمازون من قوله تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾.

أين المرابون بأموالِهم، والمتعاملون مع البنوكِ الربوية، بالتقصيدِ الربوي، والقروضِ الربحيةِ من قولِ الله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾؟

أين من يأكلون مهورَ زوجاتِهم التي استحلوا بها فروجَهن- من قولِه تعالىٰ: ﴿وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾؟

أين مَن يعِدُ ويُخلفُ وعدَه، ويعاهد وينكثُ عهده، من قولِ اللهِ تعالىٰ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾، وقولِه تعالىٰ: ﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾؟

يستدين ثم يعدُ بالوفاءِ في يومٍ كذا فيأتي الوعدُ، ولا يردُّ الدينَ، ولم يعتذرْ.

يوعد صاحبَه في الليلِ على الذهابِ إلىٰ أيِّ مكانٍ ثم يأتي في الصباح فيتهربُ مِن وعدِهِ ويخونُ.

هل هذه أخلاقُ القرآنِ وأحكامُه التي ربىٰ عليها المؤمنين في الوفاءِ، وصدقِ الحديثِ حتىٰ مع المرءِ نفسِه، وما بينه وبين ربِّه؟!!

فهناكَ مَن يعاهدُ اللهَ، ويقطعُ وعداً إن شفىٰ اللهُ مرضَه أن يصليَ ويتقي اللهَ، وهناك مَن وعدَ إن أصلحَ اللهُ زرعَه وثمرَه أن يبنيَ مسجداً أو نحوَه، ومنهم من يعاهدُ اللهَ أن يوفي بما عليه من الدين إذا أيسرَ اللهُ عليه، ومنهم من يعاهدُ اللهَ إذا آتاه رزقاً أن يتصدقَ منه، ومنهم من دعا اللهَ إن وهبَه سيارة أن يسخرَها في حاجةِ الضعفاءِ والمحتاجين، وتراهم حين يمنُّ اللهُ عليهم ينكثون ويخلفون ويخونون، قالَ تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَخُونُواْ اللَّه وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّه عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

أولم يقرؤوا حكمَ اللهِ، وما ذكره في القرآن من هذه المسائل؟

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّه لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللَّه مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّه يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّه عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ، ونَفَعَني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ إنه تعالىٰ جوادٌ ملكٌ برٌ رؤوفٌ رحيمٌ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي هدانا للإسلامِ، وجَعَلَنا من أمةِ القرآنِ، فأبانَ لنا بِه الأحكامَ، وعرَّفنا به الحلالَ والحرامَ.

نحمدُه على ما هدانا وأولانا، ونسألُه السدادَ في أُخرَانا، والتوفيقَ في المآلِ، والرشادَ في كلِّ حال.

ونشهدُ ألَّا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصالحين، وناصرُ المظلومين.

ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ رحمةً للعالمين، أرسلَه بالهدى والدينِ، ليخرجَ الناسَ من الظلماتِ إلى النورِ، ولو كَرِهَ الكافرون، فصلواتُ اللهِ عليهِ دائماً أبداً وعلى آله أربابِ الهدى ومصابيحِ الدجى وسلَّم تسليماً كثيراً سرمدياً من يومنا هذا إلى يومِ الدين.

أما بعد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

عبادَ الله: إن اللهَ قد أبانَ لكم شعائرَه فالزموها، وقد حذَّركم محارمَه فاجتنبوها، وعلمكم حدودَهُ فلا تعتدوها ومَن يتعدَّ حدودَ الله فقد ظلمَ نفسَه.

ألا وإن الدينَ عبادةٌ للهِ ومعاملةٌ مع خلقِه، ولا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ إلا بإقامتهما فمن أقامهما فقد أقامَ الدينَ، ومن هدمهما فقد هدمَ الدينَ ((ألا إنَّ الدينَ المعاملةُ، ألا إنَّ الدينَ المعاملةُ)) فمن أساءَ معاملتَه مع إخوانِه المؤمنين، ولم يَقُمْ بما أمرَه اللهُ بإقامتِه من الحقوقِ، فليس مِن اللهِ في شيءٍ وإن صلى وإن صامَ وزعمَ أنه مؤمنٌ.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ

وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

فليس البرَّ والفلاحَ بمجردِ الصلاةِ والتنسكِ في المسجدِ، ثم يخرجُ فيشتمُ هذا ويذمُّ هذا، ويشهدُ الزورَ، ويسعى بين الناسِ بالهمزِ واللمزِ والغيبةِ والنميمةِ، وإثارةِ المشاكلِ بين الناسِ، فليس هذا هو الدينُ الذي أرادَه اللهُ، وليس هذا هو الإيمانُ، إنما الإيمانُ دينٌ وعملٌ عبادةٌ ومعاملةٌ وحسنُ خُلُقٍ ورحمةٌ ومودةٌ وألفةٌ وإخاءٌ وتعاونٌ وتناصحٌ وإحسانٌ.

عبادَ الله : إياكم ومجاوزةَ الحدودِ التي رسمَهَا اللهُ لكم في كتابِه وعلى لسانِ نبيِّه، وما أكثرَها وما أقلَّ من يحذرُها، وأبلغُ مثالٍ على ذلك، طاعةُ الوالدين التي قرنها اللهُ بطاعتِه في أكثرِ من آيةٍ من القرآنِ الكريمِ، حيثُ يقولُ عز من قائلٍ: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾، وقوله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾.

وما أكثرُ الناسِ العاقين لهما والظالمين لهما والمستخفين بحقِّ اللهِ فيهما: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾﴾.

لقد جعل اللهُ للوالدين حقاً عظيماً ومقاماً كريماً، لا يجوز تجاهلُه؛ فإن مِن حقِّ الوالدين أن تطيعَهما، ولا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرْهُما وقل لهما قولاً كريماً.

فأين مَن يسبُّ أمَّه ويشتمُ أباه- مِن قولِه تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾؟

وأين مَن يهجرُهما ويضربُهما- مِن قولِه تعالى: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾؟

وأين مَن يُبْكِيهما في الصباحِ والمساءِ- مِن قول الله: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾؟

أين من يُؤذيهما ويكرههما- مِن أمرِ اللهِ القائلِ: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾؟ وقولِه تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؟

عبادَ الله: لقد تعدى كثيرٌ من الخلقِ حدودَ اللهِ، وانتهكوا حرماتِه وهتكوا ما نهاهم عنه من الأستار، وقطعوا ما أمر اللهُ به أن يوصلَ، وكيف لِمَن هذا حاله أن يشمَّ رائحةَ الجنةِ وقد رُوِيَ عن النبيِّ ﷺ: ((الجنةُ يوجدُ ريحُها مِن مسيرةِ خمسمائةِ عامٍ ولا يجدُ ريحَها عاقٌّ ولا قاطعُ رحمٍ)).

إن الإيمانَ ليس بالتحلي ولا بالتمني، ولكنَّه ما وقرَ في القلبِ، وصدَّقَهُ العملُ، إنه نورٌ يشعُ في الجوانحِ، تَبِيْنُ آثارُه على الجوارحِ بالعملِ الصالحِ.

قال رسولُ اللهِ ﷺ: ((لا إيمانَ لِمَن لا أمانةَ لَهُ ولا دينَ لمن لا عهدَ له، والذي نفسُ محمدٍ بيدِه لا يستقيمُ إيمانُ عبدٍ حتى يستقيمَ لسانُه، ولا يستقيمُ لسانُه حتى يستقيمَ قلبُه، ولا يدخلُ الجنةَ مَن خافَ جارُه بوائِقَه)) قيل: وما بوائقُه يا رسولَ الله؟ قال: ((غشمُه وظلمُه)).

وقال ﷺ: ((لا يؤمنُ أحدُكم حتى يُحبَّ لأخيهِ ما يُحبُّ لنفسِه)).

عبادَ الله: إنَّ الدينَ دينُ رحمةٍ وسماحةٍ وخُلُقٍ، وهذا رسولُنا الكريمُ يبينُ لنا المنهاجَ السويَّ الذي ينبغي أن نسيرَ عليه، والذي ينبغي أن نتحلى به حيثُ قالَ ﷺ: ((مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتعاطُفِهم وتراحُمِهم كمثلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الأعضاءِ بالسهرِ والحمى))، وقالَ رسولُ اللهِ ﷺ ((المؤمنون كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضا)).

فأين نحنُ من هذه الوصايا؟! وأينَ نحن من قولِه ﷺ -مقسماً-: ((لا تدخلوا الجنةَ حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ قالوا: بلى يا رسولَ الله، قال: أفشوا السلامَ وتواصلوا وتباذلوا)).

مَن منا يحبُّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه ويكرَهُ لأخيه ما يكرهُه لنفسِه؟! مَن هو المسلمُ الذي سَلِم الناسُ من لسانه ويدِه؟ من منّا صفّى قلبَه من الحقدِ والغلِّ والحسدِ على اخوانِه؛ فنجا وفازَ في يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنونَ إلا مَن أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ -أي: خَالٍ من النفاقِ والحسدِ وغيرها من الموبقات-.

أليست الغيبةُ والنميمةُ والنظرُ إلى ما حرَّمَ اللهُ، والهتكُ للأعراضِ، والغناءُ والفسوقُ، مِنْ التعدي لحدودِ اللهِ، والتمادي في الباطلِ؟

إن اللهَ قد ذمَّ في كتابِه- الكلامَ المباحَ الذي لا فائدةَ ولا طائلَ من ورائِه حيثُ قالَ تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾، وذمه الرسول ﷺ في قوله: ((مَن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر فليُقل خيراً أو ليصمت)) فإذا كان هذا حكمَ اللهِ ورسولِه في الكلامِ المباحِ فما بالك بما فيه المساسُ بمشاعرِ الآخرين والنيلُ مِن أعراضِهم والهتكُ لحرماتِهم؟

عبادَ الله: لا نكنْ من الخاسرين الذين نبأنا اللهُ مِن أخبارِهم بقولِه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾.

عبادَ الله: إن يومَكم هذا يومٌ مبارك ميمونٌ فَضَّله الله على سائرِ الأيامِ والشهورِ، وجعلَه يومَ عيدٍ للمسلمين فأكثروا فيه من الصلاةِ على نبيِّكم الكريمِ امتثالاً لأمرِ ربكم حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهم فصلِّ وسلمْ وباركْ وترحمْ على عبدِك ونبيِّك وخيرتِك مِن خلقِك وصفوتِك من بريتِك أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وبَلِّغْ روحَه مِنَّا في هذه الساعةِ الطيبةِ المباركةِ أبلغَ الصلواتِ وأتمَّ التسليمِ برحمتِك يا كريمُ.

وصل اللهم على أخيهِ ووصيهِ وبابِ مدينةِ علمِه أشجعِ طاعنٍ وضاربٍ مولانا أميرِ المؤمنينَ علي بنِ أبي طالبٍ.

وصل اللهم على زوجتِه الحوراءِ سيدةِ النساءِ وخامسةِ أهلِ الكساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ.

وعلى ولديهما السيدينِ الشهيدينِ، والقمرينِ النيرينِ أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ الله الحسين.

وعلى مولانا الوليِّ بنِ الوليِّ، صاحبِ اللواءِ والمنهجِ الجليِّ الإمامِ زيدِ بنِ علي.

وعلى الفاتحِ لما انغلقَ معلنِ الحقَّ بالحقِّ الهادي إلى الحقِ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيمَ.

وعلى سائرِ أهلِ بيتِ نبيك المطهرين دعاةً منهم ومقتصدين.

وارض اللهم عن صحابةِ نبيِّك الأخيارِ، من المهاجرينَ والأنصارِ، والتابعينَ لهم بإحسانٍ من يومنِا هذا إلى يومِ الدينِ، وارضَ عنا معهم بفضلِكَ ومنِّك يا أرحمَ الراحمين.

اللهم لا تردنا مِن هذا المقامِ خائبينَ، ولا مِن بابِ دعوتِك مطرودين، ولا بالسيئاتِ معاقبين.

اللهم اجعل القرآنَ ربيعَ قلوبِنا، ونورَ أبصارِنا، وشفاءَ صدورِنا، وجلاءَ حزنِنا وذهابَ همِّنا وغمِّنا، وارزقنا حقَّ تلاوتِه على النحوِ الذي يرضيك، وأعنا على العملِ بما أوجبتَه علينا فيه، واجعله قائداً لنا إلى الجنةِ لا سائقاً لنا إلى النارِ.

اللهم انصرِ الإسلامَ والمسلمين، وأَلِّفَ بين قلوبِهم واجمع شملَهم، ووحد صفَّهم، وأعلِ رايتَهم، وأيدهم بنصرِك، وأنزل عليهم السكينةَ وأثبهم فتحاً قريباً يا أرحمَ الراحمين.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، وانصرهم على من عاداهم يا كريمُ، وأثبهم فتحاً قريباً إنك أنت القويُّ العزيز.

اللهم وأذلَّ الشركَ والمشركين، ودمّر أعداءَك أعداءَ الدين، ومزق شملَ الظالمين وانكس كبرَتَهم، واجعلهم غنيمةً للمسلمين. وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله رب العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكرْكم، واشكروه على نعمِه يزدْكم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.



[٤]- كيف نتأثر بالقرآن؟

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي أنزلَ القرآنَ شفاءً، وجعله لنا إماماً، يهدي به اللهُ من اتبع رضوانَه سبلَ السلامِ، ويخرجهم من الظلماتِ إلى النورِ بإذنه، ويهديهم إلى صراطٍ مستقيم، مَن جعله أمامَه قادَه إلى الجنةِ، ومن جعله خلفَه ساقَهُ إلى النارِ.

وأشهد ألّا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَه، أنزلَ على عبدِه الكتابَ ولم يجعلْ له عِوجاً، قيّماً لينذرَ بأساً شديداً من لدنه، ويبشرَ المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم أجراً حسناً.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، وأمينُه على وحيه، بلغَ رسالَة ربِه، وصبرَ على حكمِه، وأُوذيَ في جنبِه، وجاهدَ في سبيلِه، ونصحَ لأمتِه حتى أتاه اليقينُ صلواتُ اللهِ عليه وعلى آلِه قرناءِ القرآن وحملةِ الفرقان وسَلَّمَ تسليماً كثيراً.

أما بعد

عبادَ الله: إن المتأملَ لحالِ المسلمينَ في هذا الزمانِ، وحالِ ارتباطِهم بالقرآنِ لتأخذُه الدهشةُ والحيرة، مما يراه في أمةِ القرآنِ.

إذ قد قستِ القلوبُ، وتجمدتِ العيونُ، وهُجِرَ كتابُ علامِ الغيوبِ، بل قُرِئَ والقلوبُ ساهيةٌ لاهيةٌ، في لججِ الدنيا وأوديتِها سابحة، بل جُعِلَت البركةُ في مجردِ حملِهِ وتلاوتِه والتفاخر بحسن تجويدِه وقراءتِه، وتُرِكَت بركتُه الحقيقيةُ المتمثلةُ في اتباعِه وتحكيمِه، وجعله دستوراً ومنهاجاً نسيرُ على خطاه امتثالاً لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿وَهَـٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

نزينُ بآياتِه جدرانَ مساجِدِنا ومجالِسِنا، ولم نزينْ به حياتَنا قولاً وعملاً.

عبادَ الله: إننا بحاجةٍ لأن نَقِفَ مع أنفسِنا وقفةً جادةً صادقةً، وأن نحاسِبَها محاسبةً دقيقةً عادلةً، وأن نمعنَ النظرَ والتفكيرَ في مسألةٍ هامةٍ وخطيرةٍ، أَلَا وهي

في علاقةِ هذه النفسِ بالقرآنِ، ومقدارِ الصلةِ التي بينها وبين كتابِ اللهِ، وما سببُ عدمِ تأثرِها بكلامِ اللهِ؟

إننا إذا ما عدنا إلى الوراءِ، إلى زمنِ هبوطِ الوحيِ، ووقتِ نزولِ القرآنِ، ونظرنا في أحوالِ أولئك القومِ، ومدى ارتباطِهم بالقرآن، وقوةِ تأثرِهم به فسوفَ نرى ما يُذهلُ العقولَ ويحيرُ الألبابَ، نرى أنه نزل على قوم أُمِّيين جُهلاء، وقريبي عهدٍ بالجاهليةِ، ومع ذلك فقد كانتْ لآيات القرآن أشدُّ الوقعِ في قلوبهم، وأبلغُ الأثرِ في نفوسِهم، وما إن قرعت آياتُه أسماعَهم حتى هزت مشاعِرَهم، وأخذت بمجامِعِ قلوبِهم، واستولت على أحاسيسِهم، وعلى الرُّغْمِ من غلظةِ قلوبِهم وقسوتِها إلّا أنها لم تلبث أن تضعضعتْ أمامَ وقعِ آياتِه، حتى الكفرُ والشقاقُ الذي رانَ على قلوبِهم لم يصمدْ أمامَ تلك الآياتِ، ولم يلبثْ أن تصدَّعَ وتفتتَ، لم يحلَّ بينهم وبين التأثر بالقرآن حائلٌ- لا كفرٌ، ولا جهلٌ ولا أيُّ شيءٍ سوى الكبرِ الذي جعلهم ينكرون ما يسمعون...

فهذا القرآنُ جَعَلَ قلبَ جُبيرِ بنِ مُطعم يكادُ يطيرُ عندما استمع إلى بعضِ آياتِه كما رُوِيَ أنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأُ في المغربِ بالطورِ وذلك أولُّ ما وقرَ الإيمانُ في قلبي.

حتى لقد صدعوا بالشهادةِ بذلك رغمَ كفرِهم ولجاجِهم، ولا يلبثُ المشركُ بعد سماعِه إلا أن يُعلنَ كلمةَ التوحيدِ، وأن ينقادَ مُذعناً إليه، إلا مَن رَكِبَهُ الكبرُ، واتبع هواه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، مع أنه في قرارةِ نفسِه قد أيقن بصدقِها، وصدَّق مَن جاء بها.

قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾، ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾.

وأبلغ شاهد على ذلك ما رُوِيَ أن الوليدَ بنَ المغيرةِ لما سَمِعَ النبيَّ يقرأُ ﴿حم۝١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ۝٢ غَافِرِ الذَّنْبِ﴾... إلخ- انطلق حتى أتى مجلسَ قومِه بني مخزوم، فقال: والله لقد سمعتُ من محمدٍ آنفاً كلاماً ما هو من كلامِ الإنسِ ولا من كلامِ الجنِّ؛ وإن له لحلاوةً وإن عليه لطلاوةً، وإن أعلاهُ لمثمرٌ وإن أسفله لمغدقٌ، وإنه ليعلو وما يعلى عليه، ثم انصرف إلى منزِله، فقالت قريشٌ: صبأ واللهِ الوليدُ، -أي: آمن- واللهِ لتصبأنَّ قريشٌ كلُّها، وكان يقالُ للوليدِ ريحانةُ قريشٍ، فقال لهم أبو جهل: أنا أكفيكموه، فانطلق فقعد إلى جانب الوليد حزيناً، فقال: ما لي أراك حزيناً يا ابن أخي؟ قال: هذه قريشٌ يعيبونك على كِبَرِ سنِّك؛ ويزعمون أنك زَيَّنْتَ كلامَ محمدٍ، فقام مع أبي جهل حتى أتى مجلسَ قومِه، فقال: أتزعمون أنَّ محمداً مجنون؟! فهل رأيتموه يخنق قط؟! فقالوا: اللهم لا، قال: أتزعمون أنه كاهن؟! فهل رأيتم عليه شيئاً من ذلك؟! قالوا: اللهم لا، قال: أتزعمون أنه شاعرٌ؟! فهل رأيتم أنه ينطق بشعرٍ قط؟! قالوا: اللهم لا، قال: أتزعمون أنه كذابٌ؟! فهل جَرَّبتم عليه شيئاً من الكذب؟! فقالو: اللهم لا، وكان يُسمى الصادق الأمين قبلَ النبوةِ مِن صِدْقِه؛ فقالت قريشٌ للوليد: فما هو؟ فتفكر في نفسه، ثم نظرَ وعَبَسَ، فقال: ما هو إلا ساحرٌ، أما رأيتموه يُفَرِّقُ بين الرجلِ وأهلِه وولدِه ومواليه، فهو ساحرٌ؛ وما يقولُه سحرٌ يُؤْثَر!!

﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً﴾.

عبادَ الله: لقد كان لكلامِ اللهِ تعالى مع أهلِ الشركِ، والجاهليةِ قِصَصٌ وحكاياتٌ ومواقفُ تهتزُّ لها النفوسُ، إذ كان عليهم أشدُّ وقعاً من ضربِ السيوفِ، يفعلُ فيهم فعلَ السحرِ، وما أصغى إليه أحدٌ فاستمَعَه إلا هدَّ أركانَه، ونفذَ إلى أعماقِه.

فكانوا من شدةِ تأثرِهم به يتجنبون سماعَه، ويسدونَ آذانَهم، ويغالطون أنفسَهم عندَ سماعِه بالصراخِ والتصفيقِ والصفيرِ خوفاً مِن أن تؤثرَ فيهم آياتُه.

لقد كانت قريشٌ على ثقةٍ من أن الذي يسمعُ القرآنَ يهتدي به، لذلك أوصى بعضُهم بعضاً ألّا يسمعوا القرآنَ، وإذا سمعوه فعليهم أن يصنعوا ضجيجاً يحولُ بينَ السامِع للقرآن وتدبرِه. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾.

إنهم واثقون أن القرآنَ يقهرُهم بالحجةِ ويُفْحِمُهم بالبيناتِ، وأنهم لو استمعوا إليه لوجدوا فيه حلاوةً وطلاوةً تستلُّ من قلوبِهم الجحودُ والنكرانُ، وكأنهم بذلك يشهدون أنَّ للقرآن أثراً في الفطرةِ الطبيعيةِ للإنسانِ، وهم أصحابُ الْمَلَكَةِ في البلاغةِ العربيةِ. ومع ذلك ظل الكافرون على عنادِهم بالرغمِ من عشقهم للأسلوبِ والبيانِ والأداءِ.

ولم يكتفوا بضلالِ أنفسِهم، بل أرادوا إضلالَ غيرِهم، كما حكى اللهُ عنهم في قولِه: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

إنهم يخافون إنْ سمعوا القرآن أنْ يتأثروا به فيؤمنوا؛ لذلك لا تسمعوه، بل شَوِّشوا عليه حتى لا يسمعه أحدٌ في هدوءٍ واطمئنانٍ فيؤمنَ بِه؛ لأنهم لا يستطيعون رَدَّ حُجَجِ القرآنِ ولا الثباتَ أمامَ إعجازيتِه ولا بلاغتِه ولا تأثيره على النفوسِ، فهُمْ لا يملكون إلَّا أنْ يصرفوا الناسَ عن سماعِه، والتشويشِ عليه، حتى لا يتمكّنَ من الأسماعِ، وينفذَ إلى القلوبِ، فيخالطَها الإيمانُ.

لكنهم مع عنادِهم، ومكابرتِهم يتلذذون بسماعِه، ويسعون بلا شعور ليشنفوا مسامعَهم بتلاوتِه.

فقد رُوِيَ أنه لما نزلتْ سورةُ (النجم) تلاها الرسولُ ﷺ على جمعٍ مِن قريشٍ، فأصغوا إليها أسماعَهم، وأسلموا أعِنَّةَ قلوبِهم، وانسابت مع آياتِ القرآنِ حتى تخدرتْ أجسامُهم، وذابتْ مِن حلاوةِ ألفاظِه وبلاغةِ آياتهِ، فلما بلغَ

النبيُّ ﷺ إلىٰ قولِه تعالىٰ: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ سجدوا لله تعالىٰ فتهاوت رؤوسُ أهلِ الشركِ من كلِّ جِهة، وتطأطأت أعناقُ الكبرِ راغمةً بغيرِ شعورٍ منهم، واندستْ الأنوفُ الشامخةُ ساجدةً للهِ حتىٰ تعفرت في الترابِ.

هكذا كانت تفعلُ آياتُ اللهِ، خدرت منهم الأعضاءَ، ونفذتْ إلىٰ صميمِ القلوبِ، فسَكِرَتْ من حلاوتِه، وطيبِ مذاقِه؛ فلما أفاقوا من وَقْعِ الصدمةِ قاموا، وقد تَعَفَّرَتْ وجوهُهم بالترابِ، يتلاومون ندماً علىٰ ما بدرَ منهم، ولم يجدوا لهم من عُذرٍ ولا ذريعةٍ يدفعون بها مَن لامَهم مِن بقيةِ قريشٍ، ويسترون به فضيحتَهم إلَّا أن نسبوا كذباً وزوراً إلىٰ رسولِ الله ﷺ أنه ذكر آلهتَهم، وأن شفاعتَها لتُرجىٰ.

ثم قرَّرُوا بعدَ ذلك مقاطعةَ القرآنِ، والامتناعَ عن سماعِه خوفاً مِن الافتتانِ به رغم شغفِهم وإدمانِهم علىٰ سماعِه، وتلذذِهم بِه.

ولكنهم علىٰ الرغمِ من التهديدِ، والوعيدِ لم يطيقوا الصبرَ عنه، ولم يحتملوا البعدَ عنه، فكانوا يخرجون في الليلِ خِلْسَةً يسترقون السمعَ إلىٰ رسول اللهِ وهو يصلي، وكل منهم يَظُنُّ بأنه وحدَه، ولكن لا يلبثون أن يكتشفوا أنهم قد خرجوا بأجمعهم لنفسِ الغايةِ و الغرضِ.

فيُرْوَىٰ أنَّ بعضَ كبارِ زعماءِ قريشٍ مثل: النضرِ بنِ الحارثِ، وأبي سفيانَ، وأبي لهبٍ كانوا يتسلَّلُون بعدَ أن ينامَ الناسُ ممن كانوا يقولون لهم: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَذَا الْقُرْآنِ والْغَوا فِيهِ﴾ كانوا يذهبون إلىٰ البيتِ الحرامِ يتسمَّعون لمحمدٍ وهو يقرأُ القرآنَ، ولماذا يحرمون أنفسَهم مِن سماعِ هذا الضربِ البديعِ من القولِ، وقد حرموا مواجيدَهم وقلوبَهم منه، فكانوا عند انصرافِهم يرىٰ بعضُهم بعضاً مُتسلّلاً مُتخفّياً، فكانوا مرةً يكذبون علىٰ بعضِهم بحججٍ واهيةٍ، ومرةً يعترفون بما وقعوا فيه من حُبٍّ لسماعِ القرآنِ.

فقالَ تعالىٰ: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ..﴾ أي: بالحالِ الذي يستمعون عليه ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ بحال إعجاب. ثم: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى..﴾ من التناجي وهو الكلامُ سِرّاً.

عبادَ الله: هذه هي حالةُ أهلِ الشركِ مع القرآنِ، فقد كانَ مجردُ سماعِ أحدِهم للقرآنَ حجةً عليه، وكفيلاً بأن يؤثرَ فيه، وفي ذلك يقولُ الله تعالىٰ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ فكلامُ اللهِ تعالىٰ كان له أبلغُ الأثَرِ في نفوسِ القومِ آنذاك.

حتى الجن الذين منهم المردةُ والشياطينُ وهم أكثرُ شراسةً من البشرِ، لم يلبثوا بعدَ سماعِه مِن أن أخبتتْ له قلوبُهم، وأخذ منهم كلَّ مأخذٍ، فلم يكن منهم إلا أن أذعنوا إليه وأسلموا بين يَدَيهِ كما حكى اللهُ ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ بل لقد صَوَّرَ اللهُ تعالىٰ لنا حالَهم، وشدةَ تأثرِهم به أنهم آمنوا به فورَ سماعِه.

ولقد وصفوه بأنه من الشيءِ العجبِ الذي به الهداية إلىٰ طريقِ الرشادِ ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾.

بل لقد كانوا من شدةِ حرصِهم علىٰ سماعِه، وقوةِ شغفِهم به، أن تكالبوا علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ وازدحمُوا عليهِ كما صَوَّرَ اللهُ تعالىٰ ذلك بقولِه: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾ أي مجتمعين عليه كادوا أن يسقطوا عليه من شدةِ اجتماعِهم مِن حولِه، ولم يقفْ بهمُ الحدُّ عند ذلك، بل لقد أخذوا علىٰ أنفسِهم العهدةَ بأن ينقلوا هذا الكلامَ الطيبَ المباركَ إلىٰ وقومِهم، وجعلوا من أنفسِهم دعاةً إلىٰ قومِهم منذرين ومبلغين آياتِ اللهِ؛ كما وصف الله ذلك بقولِه: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

عبادَ الله: ليس غريباً ما سمعنا، وليس مبالغاً فيه، بل إن كلَّ ذلكَ قليلٌ في جنبِ عظمةِ القرآنِ الذي هو كلامُ اللهِ، فكلامُ اللهِ شيءٌ عظيمٌ، وأمرُه جليلٌ، فهو كلامُ ربِّ الأربابِ، الكبيرِ المتعالِ، ليس نتاجَ خيالِ آدمي، ولا فلسفةَ حكيمٍ، ولا نظمَ شاعرٍ، ولا مقالةَ أديبٍ ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ابتدعه الحقُّ المبينُ، ونزلَ به الروحُ الأمينُ فهو نورٌ من نورٍ، ونورٌ على نورٍ، وما هذا شأنُه فلا غرابةَ أن تتأثرَ به كائناتٌ لها قلوبٌ وعقولٌ ، وفيها روحٌ تنبضُ بالحياة.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

بل إن اللهَ قد أعلَمَنا بأن من شأنِ هذا القرآن أنه لو نزلَه على جبلٍ أصمٍ، وخاطبَ به صخوراً جامدةً لا روحَ فيها، ولا حياةَ لها؛ لما لَبِثَتْ أن تتصدعَ من وقعِ آياتِه، ولتصدعت لبيناتِه الصخورُ الصماءُ كما قالَ تعالىٰ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ إنه شيءٌ لا يمكنُ للعقلِ البشريِّ القاصرِ، أن يُدْرِكَ أبعادَه، ومدى قوةِ تأثيرِه، فهذا القرآنُ الذي بينَ أيدينا، له قوةُ تأثيرٍ هائلةٍ لا يمكنُ للعقلِ أن يُحيطَ علماً بها، ولقد ضَرَبَ اللهُ لنا بعضَ الأمثلةِ التي تُبينُ لنا ذلك لندرِكَ قيمةَ المعجزةِ التي بينَ أيدينا، ويبين لنا بأن لهذا القرآنِ من القوةِ والعظمةِ ما هو كفيلٌ بتسييرِ الرواسي الشامخات، ومحاكاة الجثثِ الهامدةِ التي فارقتْها الحياةُ فقال عزَّ مِن قائلٍ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً﴾ فجواب الشرط هنا محذوف وتقديره: لكان هذا التأثير لهذا القرآن.

فالآيةُ تخبرُنا بأنَّ القرآنَ قادرٌ -بإذنِ الله- على أن يحركَ الجبالَ مِن مكانِها، ويُقَطِّعَ الأرضَ، ويُكَلِّمَ الموتى.. فأيُّ قوةٍ هذه التي تستطيعُ أن تُزحزحَ جبلاً شامخاً مِن مَكانِه، ووتداً وتَّد اللهُ به هذه الأرضَ؟ وأيُّ قوةٍ بمقدورِها أن تُقطِّعَ الأرضَ، وتفصلها عن بعضِها البعض؟ بل وأيُّ قوةٍ لها القدرةُ على محاكاةِ جثثٍ هامدةٍ، لا حياةَ فيها، فتجيبُ وتنطقُ وهي جثةٌ هامدة؟

إنها بلا شكٍ قوةُ القرآنِ، ذلك الكلامُ العظيمُ والنظمُ المعجزُ الذي لا يمكنُ للعقلِ البشريِّ أن يحيطَ به أو يدركَ أبعادَه!

فإذا كان القرآنُ بهذه القوةِ والعظمةِ التي تقدرُ على ذلك كلِّه، فماذا عساها أن تفعلَ بي وبِكَ أيها المؤمنُ إذا دخلْنا تحت دائرةِ تأثيرِها، ونحنُ أحياءٌ لنا عقولٌ تعي وتفهمُ؟

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ۝٦٠ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ۝٦١ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾.

عبادَ الله: إذا كانت مكانةُ القرآنِ، وعظمةُ كلماتِ اللهِ، قد حازت مكانتَها واستحكمتْ بعظمتِها في نفوسِ بعضِ الكفرةِ، والمشركينَ، ونفراً من الجنِّ، ولها القدرةُ حتى على الجمادِ الذي لا يعقلُ؛ فكيف يا تُرى تكونُ منزلتُه في قلوبِ المؤمنينَ المحبين للهِ ورسولِه، وما مدى صلتِهم بِه، وكيفَ كانت علاقتُهم ومعاملتُهم مع آياتِه وبيناتِه.

لقد أنزلَ اللهُ سبحانَه وتعالى القرآنَ الكريمَ من السماءِ ليكونَ كتابَ هدايةٍ وشفاءٍ وتقويمٍ وتغييرٍ لكلِّ مَن يحسن الإقبالَ عليه ويدخلُ تحتَ دائرةِ تأثيرِه، فتأملْ معي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

فلقد بلغَ هدى القرآنِ ووقعُه على قلوبِ المؤمنين بأن كانت تصغي له

المسامعُ وتُسْكَبُ له المدامعُ خوفاً ورهبةً، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، وتقشعرُّ منه الجلودُ وتلينُ إلى سماعِه القلوبُ، فهؤلاءِ هم المؤمنون حقّاً كما وصفَهُم اللهُ في قولِه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّه وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [أقول ما سمعتُم] وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم من كل معصيةٍ وذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.



الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزلَ على عبدِه الكتابَ عبرةً للمعتبرين وموعظةً للمتقين ونبراساً منيراً للمُهتدين فكان شفاءً لما في الصدورِ ومصلحاً لجميعِ الأمورِ.

وأشهد ألّا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، الملكُ الحقُّ المبينُ.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفى على جميع النبيينَ صلى الله عليه وعلى آلِه الطيبين الطاهرين ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وسلَّم تسليما.

أما بعد:

عبادَ الله: عرفنا وسمعنا عن فضائلِ كلامِ اللهِ، وعن بعضِ آثارِهِ في قلوبِ السابقين، ولنا الآنَ وقفةٌ مع أنفسِنا وقفةُ محاسبةٍ واستجوابٍ.

ما السببُ في عدمِ تأثرِنا بالقرآنِ؟ وما هو الذي حالَ بينَنا وبينَ تَذَوُّقِ حلاوتِه؟ والتلذذِ بسماعِه؟

ما الذي حالَ بينَنا وبينَ الاستفادةِ منه والتأثرِ به؟

أليس هذا القرآنُ الذي بين أيدينا هو ذلك القرآنُ الذي صدَّعَ قلوبَ السابقين؟!

إن الكتابَ هو الكتابُ، والقرآنَ هو القرآنُ، ولكنَّ العيبَ هو فينا نحن، والتقصيرَ هو من قِبَلِ أنفسِنا.

نحن السببُ وراءَ هذهِ القسوةِ التي أصابتْ قلوبَنا؟

ولو حاولْنا أن نلخصَ أسبابَ ذلك لطالَ بِنا المقامُ، ولكنْ نأخذُ طَرَفاً من ذلك مستمدين من الله العونَ والتوفيقَ.

فأولُ تلك الأسباب: أننا جَهِلْنَا قيمةَ القرآنِ وعظمتَه، ونحنُ وإن لم نكن على قدرٍ كبيرٍ بمعرفةِ البلاغةِ التي وصلوا إليها وتأثروا بها إلّا أننا نستطيعُ أن نتأثرَ بالقرآنِ لأسبابٍ أخرى فنحنُ إذا عرفنا مصدرَ هذا القرآنِ ومِن أينَ جاءَ ومَن هو كلامُه وعلى مَن أُنزلَ وكيف أُنْزِلَ؟

فإن الإحاطةَ بكلِّ تلك الأمورِ مِن شأنِها أن تورثَ في النفسِ إدراكَ عظمةِ القرآنِ واستشعار قيمتِه، وذلك مما يزرعُ في القلوبِ الإجلالَ والتقديرَ له، فنحن قد نُعَلِّمُ أبناءَنا القرآنَ، وهذا شيءٌ نُحمدُ عليه، ولكن ما الذي يزرعُه الأبُ في قلبِ ابنِه عن القرآنِ؟ وما الذي يتعلمُه الطالبُ من شيخِه عن عظمةِ القرآنِ؟

نحن نُعَلِّمُه بأن يُجيدَ تلاوتَه، وأن يُحسنَ نطقَه، ونُفَهِّمه بأن لا يلحنَ فيه، ولا يغلط، نُعلّمه أحكامَ التجويدِ، والتلاوةَ لا غير، وإذا أتينا إلى تعريفِه، وترغيبِه في القرآنِ ذكرنَا له فضلَ تلاوتِه، وأجرَ تعليمِه، ولكننا نسينا شيئاً أهمَّ وأعظمَ؛ نسينا أن نزرعَ في قلوبِ هؤلاءِ الناسِ معنى القرآنِ، مكانةَ القرآنِ، جلالَ القرآنِ، عظمةَ القرآنِ، وأنه كلامُ ربِّ الأرضِ والسماءِ، وأنه أعظمُ من كونِه حروفاً وكلماتٍ، وأكبرُ من كونِه سوراً وآياتٍ، وأجلّ من كونه قصصاً وأحكاماً.

إنه نورٌ من نورٍ، ونورٌ على نورٍ، وشفاءٌ لما في الصدورِ.

وأنَّ وراءَ تلك الحروفِ والكلماتِ عظمةً، وقوةً جبارةً تُفَجِّرُ الأنهارَ، وتُزلزلَ الجبالَ، ويُسْتَسْقى بها غيثُ الغمامِ، وأنَّ بين كلماتِه أسراراً وأسراراً، واسمَ اللهِ الأعظمِ الذي تقومُ به السماواتُ والأرضُ.

وأن عرشَ بلقيسَ الجاثمَ في أرضِ سبأٍ قد صارَ في طرفةِ عين ماثلاً بينَ يدي سليمانَ عليه السلام في أرضِ فلسطين بقوةِ ذلك الاسمِ.

وليكن في حسبانِ القارئِ أن يعلمَ ويُشعرَ نفسَه بأنَّ الذي بينَ يديِه هو رسالةٌ مِن مالكِ السماواتِ والأرضِ لكلِّ عبدٍ خاصة، وأنه المعنيُّ بما فيها، والمخاطَبُ بما يسمعُ فيها، لينموَ في قرارةِ نفسِه بأن الله يكلِّمُه إذا قرأَ القرآنَ، وعلى هذا النهجِ بنى المصلحون أنفسَهم وربوا أبناءَهم فمما يُروى أن رجلاً كان كلما دخلَ على ولدِه سألَه: ما تفعل يا محمدُ؟ فيردُّ عليه: أقرأُ القرآنَ، وتكررَ السؤالُ، وتكررَ الجوابُ مدةَ ستِ سنين، حتى إذا وعى الابنُ وتفتحَ ذهنُه سألَه أباه: عن الحكمةِ من تكرارِ سؤالِه؟

فردَّ عليهِ الأبُ قائلاً: يا محمدُ اقرأ القرآنَ كأنه عليك أُنزل.

الله أكبرُ ما أعظمَها مِن عبارةٍ، وما أشدَّ وقعَها في نفوسِ العقلاءِ لو استشعروا معناها؛ فكيف بأثرِها في عقولٍ غضةٍ طريةٍ وفطرةٍ ما زالت في بدءِ النضوجِ؟

عبادَ الله: لو أننا عَظَّمْنا هذا القرآنَ في قلوبِ الأبناءِ وأعلينا شأنَه وغرسْنا في القلوبِ عظمتَه، وأنه الصادقُ الذي لا يكذبُ والقولُ الفصلُ- لَمَا رأينا مَن يترددُ في صدقِ وعدِ اللهِ ووعيدِه، ولا سمعنا بمَن يُشكِّكُ في مصدرِ رزقِه أو يتهاونُ بتهديدِه. ولم نَرَ أبناءَنا في المدارسِ يلقون بكتبِهم في الأرضِ ويمزقونها وهي مليئةٌ بآياتِ القرآنِ ويدوسونها تحتَ أقدامِهم ويُلقون بها في صناديقِ القمامةِ، كلُّ ذلك سببُه الجهلُ بالقرآنِ وبعظمةِ كلامِ اللهِ.

إن كتابَ اللهِ: هو مِن أعظمِ الشعائرِ والحرماتِ التي أمرَ اللهُ بتعظيمِها، وتقديسِها وتنزيهِها، وذلك في قلوبِنا، وفي قرارةِ أنفسِنا قبلَ أن تكونَ مجردَ أفعالٍ، وأقوالٍ خاليةٍ.

فالذي يرفعُ القرآنَ مِن الأرضِ ليس إلا ملتزماً ومُعَظِّماً لكلامِ اللهِ بفعلِه، والمطلوبُ كيف يكونُ ذلك التعظيمُ بدافعٍ من النفسِ وزاجرٍ من القلبِ، وذلك لا يتمُّ إلا بعد رسوخِ عظمةِ كتابِ اللهِ في النفسِ، وغرسِ حبه في القلوبِ.

إن الطفلَ الذي يمزقُ كتابَ اللهِ جاهلٌ لقدرِه، ولو أنه عرفَ قدرَ القرآنِ كما غرسَ في قلبِه قدرَ النقودِ لكان أشدَّ حفاظاً عليه منها، ولنا أن نقارنَ بين ما وصلنا إليه، وما كان عليه من سَبَقَنا من تعظيمِ لحرماتِ الله، وتقديسٍ لشعائرِه.

فمما يُروى بأن أحدَ الزهادِ المعروفين المشهورين بالعبادةِ والزهدِ كان أولَ حياته مسرفاً في الخطايا والذنوب، ولكنه كان يُحِبُّ اللهَ، ويعظمُ كلَّ ما له صلةٌ بالله، نزل ذاتَ يوم إلى السوقِ فوجدَ ورقةً ملقاةً على الأرضِ في مدخلِ أحدِ الأسواقِ مكتوباً عليها اسمُ اللهِ تبارك وتعالى، والناسُ يطأونها بأقدامِهم، عند دخولِهم وخروجِهم من السوقِ، وهم لا يشعرون.

فنظر إلىٰ ذلك القرطاسِ فانحنىٰ إليه، والتقطَهُ مِن الأرضِ، ونفضَ عنه الغبارَ، ونظرَ فيه فإذا اسمُ اللهِ فيه.

تأملَ خطَّه ودققَ النظرَ في فحوىٰ ما كُتب فيه؛ فإذا اسمُ الله تباركَ وتعالىٰ قد كُتِبَ فيه، فبكىٰ ذلك الرجل، نَعَمْ بكىٰ -لما قرأَها- رغمَ أنه كان مسرفاً مذنباً من أهلِ العصيانِ، وبالرغمِ من ذلك بكىٰ وقال: سبحانَ اللهِ؛ يُهانُ اسمُك هنا؟ لا واللهِ.

فرفعَ الورقةَ، وذهبَ بها إلىٰ البيتِ، وطيبَها، وعطرَها ومسحَ الترابَ عنها، ووضعَها في مكانٍ نظيفٍ، فلما أمسىٰ سَمِعَ هاتفاً ـ كما رُوِيَ يقول: يا مَن طيبَ اسمَ اللهِ وعظمَ اسمَ اللهِ ليعظمَنَّ اللهُ اسمَك.

وصدق اللهُ القائلُ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

فكانت هدايتُه بعدَ تلك الواقعةِ، وتابَ إلىٰ اللهِ توبةً نصوحاً، فأصبحَ من أكبرِ الزهادِ، ومن أعظمِ العبادِ الذين يُضْرَبُ بهم المثلُ وتُشَدُّ إليهم الرحال.

ومن المواقفِ التي تُعطينا الدروسَ وتمدنا بالعظةِ بكلِّ ماله صلةٌ بكتابِ اللهِ وتعظيمِه؛ ما رُوِيَ: بأن رجلاً مَرَّ ذات يومٍ، فوجد في طريقِه رجلاً قد سَكِرَ حتىٰ الثمالة، قد صُرِعَ علىٰ الأرضِ، وهو يتقيأُ ورائحةُ الخمر تفوحُ من فمِه، وهو يقرأُ القرآنَ، فرأىٰ ذلك الرجلُ ذلك المنظرَ، وقال في نفسِه: كيف يخرجُ كلامُ اللهِ الطاهرُ من ذلك الفمِ النجسِ، ومن بينِ تلك الرائحةِ العَفِنَةِ، فأخذ له دلواً من ماءٍ وأخذَ يصبُّه علىٰ فمِ ذلك السكرانِ ويغسلُه- تعظيماً لكلامِ اللهِ وإجلالاً وتقديساً لآياتِه المباركةِ. ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾.

عبادَ الله: إنكم في يومٍ عظيمٍ ويومِ عيدٍ كريمٍ شَرَّفَه اللهُ وكرمَه علىٰ سائرِ الليالي والأيامِ، فأكثروا فيه من الصلاةِ والسلامِ علىٰ نبيِّكم خيرِ الأنامِ امتثالاً لأمر اللهِ القائلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهم فصلِّ وسلمْ وباركْ وترحمْ على عبدِك ونبيِّك وخيرتِك مِن خلقِك أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ.

وصلِّ اللهم وسلمْ على أخيهِ وابنِ عمِّه وبابِ مدينةِ علمِه أشجعِ طاعنٍ وضاربٍ علي بن أبي طالب، وعلى زوجتِه الحوراءِ خامسةِ أهلِ الكساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وصل اللهم وسلم على ولديهما الإمامينِ الأعظمينِ أبي محمدٍ الحسن وأبي عبدِ الله الحسين.

وصل اللهم وسلم على الوليِّ ابنِ الوليِّ الإمامِ زيدِ بنِ علي، وصل اللهم وسلم على الإمام الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيمَ، وصل اللهم وسلم على سائرِ أهلِ بيتِ نبيئِكَ المطهرين دعاةً منهم ومقتصدين.

وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من الأنصارِ والمهاجرين، وعنَّا معهم بفضلِكَ ومنِّكَ يا كريم.

اللهم اجعلِ القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلوبِنا، وشفاءَ صدورِنا، وجلاءَ حزنِنا وذهابَ همِّنا وغمِّنا، اللهم زينْ به ألسِنَتَنا وجمِّلْ به وجوهَنا، وقَوِّ به أجسادَنا، وارزقنا حقَّ تلاوتِه على طاعتِك آناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ.

اللهم اجعل القرآنَ لنا إماماً، ومن النارِ حجاباً، واجعله قائداً لنا إلى الجنةِ، لا سائقاً لنا إلى النارِ، اللهم اجعلنا ممن يتلونَهُ حقَّ تلاوتِه، ومِن المتدبرين لآياتِه، وممن يحكمونَه في جميع أمورِهم، ومن الذين يُحلون حلالَه ويحرمونَ حرامَه، آمين.

اللهم انصر الإسلامَ والمسلمين، وانصر الحقَّ والمحقين، واخذل الباطلَ والمبطلين، وأذلَّ الشركَ والمشركين، ودمر أعداءَك أعداءَ الدين، واجعلهم غنيمةً للمسلمين، واكفنا شرَّ كلِّ دابةٍ أنت آخذٌ بناصيتِها، إنك قريبٌ مجيبٌ.

اللهم اجعل هذا البلدَ آمناً وسائرَ بلادِ المسلمين، واكفنا ما أهمنا في دنيانا والدينِ، واسقنا الغيثَ وأمِّنَّا من الخوفِ، ولا تجعلنا من القانطين. وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكرْكم، واشكروه على نعمِه يزدْكم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.



[٥]- الغاية من خلق الإنسان

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي له العزَّةُ، وذلَّتْ دونَه الأعزَّةُ، والغني الذي افتقر إلى رحمتِه الأغنياءُ، وبنعمتِه استقلت الأعداءُ والأولياءُ، فأفصحت ألسنةُ الآمالِ بالافتقارِ إليه، ولا غنيةَ لأحدٍ عما لديه، تسبحُ له السمواتُ والأرضُ، ومن فيهن ناطقٌ بربوبيتِه، وشاهدٌ بوحدانيته.

وأشهد ألَّا إله إلا اللّهُ العليُّ الأمجدُ، الدائمُ الصمدُ، القيومُ الأحدُ.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، أفضلُ الرسلِ، وخيرُ من هدى إلى خيرِ السُبُلِ، صلواتُ اللّهِ عليه وعلى آله الخِيَرَةِ البرَرَةِ الأطهارِ الذين أذهبَ اللّهُ عنهم الرجسَ وطهرَهم تطهيراً.

وبعدُ:

عبادَ الله: اتقوا اللهَ رَبَّكم الذي خلقَكُم لتعبدوه، ولم يخلقْكم لتعصوه أبَداً، إنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْق حِيْن خلقَهُم، غَنياً عَنْ طَاعتِهم، آمناً من معصيتِهم، لا تنفعُه طاعةُ من أطاعَه، ولا تضرُّه معصيةُ مَن عصاهُ، وإنما ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ۝٢﴾، أي: ليختبرَكم، ولكن نحن غافلون عن الهدفِ الذي خُلِقْنَا لَه، نحن غافلون عمَّا يُراد بنا، نحن غافلون عمَّا خُلِقنا من أجلِه.

أَيُّها الإخوةُ إنَّ اللهَ سبحانَه وتعالى خلقَ السمواتِ من أجلِنا نحنُ بني البشر، وخلقَ الأرضَ من أجلِ هذا الإنسانِ، وخلقَ الأشجارَ والثمارَ من أجلِ هذا الإنسانِ، وخلقَ كلَّ شيءٍ في الكونِ من أجلِك أيها الإنسانُ الغافلُ، مِن أجلِك أيها الإنسانُ الظالمُ، كما يقولُ اللهُ تعالى: ﴿اللَّه الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ

وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ۝ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيَنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ۝ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

أفكلُّ هذا مسخرٌ للإنسان؟

أفكلُّ هذا الكونِ الهائلِ مسخرٌ لهذا المخلوقِ الصغيرِ؟

السمواتُ ينزلُ منها الماءُ، والأرضُ تتلقاه، والثمارُ تخرجُ من بينهما، والفُلْكُ تجري في البحرِ مسخرةً بأمرِه، والأنهارُ تجري، والأرزاقُ تجري في مصلحةِ الإنسانِ، والشمسُ والقمرُ يتعاقبانِ، والليلُ والنهارُ لا يفتران.

أفكلُّ ذلك للإنسانِ ثم لا يشكرُ، ولا يذكرُ؟

أفكلُّ ذلك للإنسانِ المعرضِ عن اللهِ سبحانَه؟ أفكلُّ ذلِك للإنسان الظلومِ الكفَّار؟ الذي يَظلِم نفسَه بما يرتكبُه من معاصي اللهِ سبحانه، ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

نعم، أيها الإخوةُ إنَّ اللهَ سبحانه وتعالىٰ خلقَ الكونَ كلَّه من أجلِك أيها الإنسانُ المعرضُ عنِ اللهِ، وخلقَكَ أيها الإنسانُ من أجلِ ماذا؟

هل خلقك اللهُ أيها الإنسانُ من أجلِ أن تُضيعَ عمرَك – الذي هو فرصةٌ ذهبيةٌ لا تتعوض، ولا ثمنَ لها إلا الجنةُ، أو النارُ– في معاصي اللهِ سبحانه وتعالىٰ؟

هل خلقك اللهُ لتضيعَ عمرَكَ في الغيبةِ والنميمةِ، وهتكِ أعراضِ الناسِ؟ هل خلقك اللهُ لتضيعَ عمرَك في خدمةِ الدنيا وعمارتِها، والانشغالِ بأعراضِها وحاجاتِها؟ لا واللهِ إن اللهَ لم يخلقْنا لهذا، وإنما خَلَقَنا لهدفٍ رفيعٍ، وعالٍ، وهو عبادةُ الله وطاعتُه، كما قالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.

أيها الإخوةُ المسلمون إن اللهَ سبحانَه وتعالىٰ لم يخلقْنا لعِباً، ولا عبثاً، ولم يتركْنا سُدىً كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ۝ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

فبالله عليكم ما هذه الغفلةُ التي نحنُ فيها؟ باللهِ عليكم ما هذه القسوةُ التي قد سيطرت علىٰ قلوبِنا؟

عبادَ الله: يجبُ أن نتأملَ عندَ ما يخلقُ اللهُ الإنسانَ من العدمِ، ويتفضلُ عليه بجميعِ النعمِ، يخلق السمواتِ من أجلِه، ويخلق الأرضَ والثمارَ من أجلِه، ويخلقُ الكونَ وما فيه من أجلِه، ثم يعصيه الإنسانُ ويخالفُ أوامرَه، أهكذا نشكرُ نعمَ اللهِ؟

أنشكرُ نِعَمَ اللهِ سبحانَه بالغيبةِ والنميمةِ، وهتكِ أعراضِ الناس؟

أنشكرُ نِعَمَ اللهِ بأذيةِ الجيران؟

أنشكرُ نِعَمَ اللهِ بالتشاجرِ والتناحرِ فيما بيننا؟

أنشكرُ نِعَمَ اللهِ بالغشِ والمكرِ والخديعةِ؟

أنشكرُ نِعَمَ اللهِ بالكذبِ، وقولِ الزورِ؟

أنشكرُ نِعَمَ اللهِ بالاستماعِ إلىٰ اللهوِ واللعبِ والأغاني؟

أهكذا نجازي اللهَ علىٰ نعمِه؟ أمِنَ الإنصافِ أن يحسنَ اللهُ إلينا بكلِّ أنواعِ الإحسانِ ونحن نقابلُ ذلك بكلِّ أنواعِ الإساءةِ إلىٰ اللهِ؟ مِن غيرِ خوفٍ ولا خجلٍ، ولا حياءٍ من اللهِ، القائلِ: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾.

فباللهِ عليكم أبعدَ هذهِ القسوةِ قسوةٌ؟

باللهِ عليكم أبعدَ هذه الغفلةِ غفلةٌ؟ باللهِ عليكم أبعدَ هذا الإعراضِ عن الله إعراضٌ؟

يُروىٰ عن النبي ﷺ أنه كان يقولُ: ((يقولُ اللهُ تعالىٰ في الحديثِ القدسي: يا ابن آدم، ما تنصفني؛ أتحبَّبُ إليكَ بالنعمِ، وتَتَمَقَّتُ إليَّ بالمعاصي، خيري عليكَ منـزلٌ وشَرُّكَ إليَّ صاعدٌ، ولا يزالُ مَلَكٌ كريمٌ يأتيني عنك في كلِّ يومٍ وليلةٍ

بعملٍ قبيحٍ، يا ابنَ آدم، لو سمعتَ وصفكَ من غيرِك، وأنت لا تدري مَن الموصوفُ لسارعتَ إلىٰ مقتِه)).

فما بالنا يا عبادَ الله قد خيمت علينا هذه الغفلةُ، والقسوةُ؟

أما آنَ لنا أن نفيقَ من غفلتِنا وقسوتِنا؟

أما آنَ لنا أن نفيقَ من سُباتِنا، ورَقدَتِنا؟

أما آنَ لنا أن نرجعَ إلىٰ اللهَ بقلوبٍ صادقةٍ؟

أما آنَ لنا أن نرجعَ إلىٰ اللهِ بقلوبٍ طاهرةٍ من الغلِّ والحقدِ والحسدِ والبغضاءِ؟

أما آن لنا أن نرجعَ إلىٰ اللهِ سبحانَه ما دُمنا في دارِ الرجوعِ والإنابةِ؟ من قبلِ أن تقولَ نفسٌ: ﴿يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ۞ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ۞ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

أما آنَ لنا أن نرجعَ إلىٰ اللهِ؟ من قبلِ أن يقولَ الإنسانُ: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ ۞ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ۞ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ﴾ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ۞ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾؟..

أيها الإخوةُ إن القرآنَ يخاطبُنا نحنُ ، ولكن نحن عند ما نقرأُ القرآنَ لا نتعظُ بمواعظِه، ولا نأتمرُ بأوامِره، ولا ننـزجرُ بزواجِره، إن من الغفلةِ ومِن القسوةِ ومِن الرّانِ الذي قد غطى علىٰ قلوبِنا أننا حينما نقرأ القرآنَ، نقرأُ آياتِه وكأن المرادَ بها غيرُنا، أمَّا نحنُ فكأننا لسنا المقصودين بهذا، نسمعُ بالموتِ وكأنَ الموتَ لم يُكْتَبْ إلا علىٰ الذين من قبلِنا، أما نحن فكأنا مخلدون بعدَهم، فنحنُ كما قالَ الرسولُ الأعظمُ ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَىٰ غَيْرِنَا كُتِبَ، وَكَأَنَّ الحَقَّ فِيهَا عَلَىٰ غَيْرِنَا وَجَبَ، وَكَأَنَّ الَّذِي نُشَيِّعُ مِنَ الأَمْواتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيْلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ، نُبَوِّئُهُم أَجْدَاثَهُمْ، وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهُمْ، نَسِينَا كُلَّ

وَاعِظَةٍ، وَأَمِنَّا كُلَّ جَائِحَةٍ، فَطُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَطُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ مَالاً اكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةِ الله، وَجَالَسَ أَهْلَ الفِقْهِ وَالحِكْمَةِ، وَخَالَطَ أَهْلَ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ، طُوبَى لِمَنْ ذَلَّتْ نَفْسُهُ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ، وَصَلُحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَعَزَلَ عَن النَّاسِ شَرَّه، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِه، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، وَلَمْ تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعَةُ)).

نعم إن هذا الوصفَ منطبقٌ علينا نحنُ في هذا الزمانِ.

أليس هنالك مَن يقرأُ القرآنَ ويكذبُ؟

أليس هنالك مَن يقرأُ القرآنَ ويسرقُ؟

أليس هنالك مَن يقرأُ القرآنَ ويغشُ المسلمين؟

أليس هنالك مَن يقرأُ القرآنَ ويتعاملُ بالربا؟

أليس هنالك مَن يقرأ القرآنَ ويعقُ والديه؟

أليس هنالك مَن يقرأُ القرآنَ ويقطعُ أرحامَه، ويأكلُ أموالَهم التي جعلها اللهُ لهم ميراثاً، يأكلها ظلماً وعدواناً؟

إن هذا واللهِ موجودٌ في زمانِنا هذا ونحن نعرفُ ذلك جيداً، إنه قد انطبق علينا قولُ الرسولِ الأعظمِ ﷺ: ((كَأَنَّ الحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ))، يعني كأن أوامرَ اللهِ ونواهيه إنما وجبت على غيرِنا، اللهم أعنا على أداء شُكرِكَ وذكرِك وحسنِ عبادتِك، وتجاوزْ عنَّا فيما قصرنا فيه من أداءِ حقوقِك، واحملنا على عفوِك ولا تحملنا على عدلِك.

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ۝ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ۝ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

باركَ اللهُ لي ولكم بالقرآنِ العظيمِ، ونفعَني وإياكم بما فيهِ من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، إنه تعالىٰ جوادٌ ملكٌ بَرٌّ رؤوفٌ رحيم، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.



[الخطبة الثانية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَهُ عِوَجًا ① قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ② مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا③﴾ نحمدُه على تجاوزِه وعفوِه، ونعوذُ بِه من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا والعاقبةِ والردى.

وأشهد ألّا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، الملِكُ الحقُّ المبينُ، غافرُ الذنبِ وقابلُ التوبِ شديدُ العقابِ ذو الطولِ لا إله إلا هو العزيزُ الحكيم.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه الصادقُ الأمينُ الباذلُ نفسَه في خدمةِ الدينِ وإرساءِ قواعدِ اليقين، صلواتُ اللهِ عليه دائماً أبداً من يومِنا هذا إلى يومِ الدينِ وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعدُ:

عبادَ الله: إن مِن حقِّ اللهِ علينا أن نفعلَ جميعَ ما أمَرَنا به، وأن نتركَ جميعَ ما نهانا عنه، وأن نشكرَ جميعَ نعمِه.

مِن حقِ اللهِ علينا أن يرانا حيثُ يحبُّ، ولا يرانا حيثُ يكرهُ، من حقِه علينا ونحنُ نعيشُ فوقَ أرضِه، ونتنفسُ في جوِّهِ، ونستظلُّ تحتَ سمائِه، ونستمدُّ محيانا دقيقةً بعدَ أخرى من إمدادِه، ألَّا ننتهِك له محرماً، ألَّا نُغضِبَه، و ألَّا نعصيه أبداً، وإذا قد عصيناه أن نُبَادِرَ بالتوبةِ، والرجوعِ إليه، وأن نتخلصَ مما قد ارتكبناه من المحارِم، ونبادر إليه بقضاءِ ما فرطنا فيه من الواجبات، أن نرجعَ إليه ونقولَ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، نعوذ بالله أن نكون من الخاسرين.

أيها المسلمون إن اللهَ يُمهلُ ولا يُهملُ، يمهلُ الإنسانَ العاصيَ من أجلِ أن يعودَ من غفلتِه، وسكرتِه، إن من أكبرِ نعمِ اللهِ علينا أنه يمهلنا كي نرجعَ إليه

ونتوبَ، ونتخلصَ مما نحن فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً﴾، أي: لئلا يزدادوا إثماً، ليتوبوا، ويرجعوا، فسبحانه من ربٍّ ما أحلمَه عنّا، وأرحمَه بنا، حينما يخلقُ الإنسانَ من العدمِ، ويتفضلُ عليه بجميعِ النعمِ، ويعصيه الإنسانُ ويحلمُ اللهُ عنه، ويعرضه لرحمتِه، ولم يعاجِلْه بالعقوبةِ، بل أمهلَه من أجلِ إذا رَجِعَ وتابَ، بل أمهلَه من أجلِ إذا أفاقَ من سكرتِه، أما إذا أصرَّ على عصيانِه والعياذُ بالله، فـ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، فإنه سيأخذه أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ، فيومئذٍ لا يعذبُ عذابَه أحدٌ ولا يُوثقُ وثاقَه أحدٌ.

اللهم اجعلنا من المبادرين بالتوبةِ، والرجوعِ إليك.

هذا، وصلوا وسلموا على من أُمِرْتُم بالصلاةِ عليه قديماً، كما قال عزَّ مِن قائلٍ حكيمٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَايِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهم فصلِّ وسلمْ على أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ، محمدِ بنِ عبدِالله بنِ عبدِالمطلبِ بنِ هاشمٍ، وصلِّ وسلمْ على إمامِ المشارقِ والمغاربِ، أشجعِ كلِّ طاعنٍ وضاربٍ، أميرِ المؤمنينَ علي بنِ أبي طالبٍ، وصلِّ اللهم وسلم على زوجتِه الغراءِ، فلذةِ قلبِ المصطفى، فاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وصل اللهم على أبي محمدٍ الحسنِ المقتولِ سُمّاً، وصل اللهم على أبي عبدِ الله الحسينِ المقتولِ ظلماً، وعلى آلِ رسولِ الله المطهرين، دُعاةً منهم ومقتصدين، وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ، وعنا معهم برحمتِك يا أرحمَ الراحمين.

اللَّهُمَّ لا تدعْ لنا ذنباً إلا غفرتَه، ولا همّاً إلا فرّجْتَه، ولا دَيْناً إلا قضيتَه، ولا مريضاً إلّا شفيتَه، ولا ميتاً إلّا رحمتَه، ولا عُسراً إلّا يسرتَه، ولا عارياً إلّا كسوتَه، ولا حاجةً من حوائجِ الدنيا والآخرةِ هي لك رضىً إلّا قضيتَها برحمتِك يا أرحمَ الراحمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.



[٦]- الإيمان

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ المعروفِ بالإحسانِ المحمودِ بكلِّ لسانٍ أقرّتْ بوحدانيته الألسنُ وأخبتتْ لهيبتِه القلوبُ، نحمدُه على الهدايةِ والتوفيقِ، ونسألُه السدادَ والرشادَ، ونعوذُ به من الضلالةِ بعد الهدى، ومن الجهلِ والعمى، ومن مضلاتِ الفتنِ وغوائلِ الزمنِ.

ونشهدُ ألا إله إلا اللهُ الواحدُ الأحدُ، المنزهُ عن الصاحبةِ والولدِ، والمتعالي عن مشابهةِ الخلقِ.

ونشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، الذي طمس اللهُ بهديِه الجهالاتِ، ومحا بنورهِ ظُلَمَ الضلالاتِ صلى الله عليه وعلى آلِه الهداةِ سفنِ النجاةِ، وسلمَ تسليماً كثيراً،

وبعد:

عبادَ الله: إنَّ هذه الحياةَ الدنيا مطيةُ الآخرةِ، السعيدُ فيها مَن صَدَقَ في عملِه وأخلصَ لربِه في سِرِّه ونجواه، واتّبعَ أمرَ ربِّه في كل ما دعاه، وانتهى عما نهاه، صغيراً كان أم كبيراً، ولو سواكاً من أراكٍ أو شربةً من ماءٍ.

فالعبدُ لا يكونُ مطيعاً لربِه إلا بفعلِ كلِّ ما أمرَه به منتهياً عن كلِّ ما نهاه. وإنه ليسمى عاصياً ولو لم يَرتَكبْ إلا ذنباً واحداً.

عبادَ الله: إننا لا بُدَّ أن نفهمَ ونعيَ بأننا عبيدٌ، وأننا مِلْكٌ لسيدٍ مطاعٍ. لا بُدَّ أن نعيَ ما نقولُ، وأن نفهمَ ما نعملُ، لا بُدَّ أن نُشعرَ بمعنى العبوديةِ ونذعنَ لمالِكنا، لا يكفي أن أقولَ إني عبدُ اللهِ مالم يُصَدِّقْ ذلك عملي.

إننا نعلمُ يقيناً بأن العبدَ لا يتصرفُ إلا بأمرِ سيدهِ، ولا يَحِقُّ له أن يخالفه في أمرٍ، إن العبد مِلْكٌ لسيدِه، نفسُه ومالُه، يتصرفُ فيهما كيفَ يشاء.

إننا مُلْزَمُونَ بالإيمانِ بذلكَ معقودٌ بنواصينا لا خروجَ لنا من العُهْدَةِ إلا به.

ولا بد لكلِّ عبدٍ من أن يقفَ مع كلِّ فعلٍ وقبلَ كلِّ حركةٍ، وينظرَ بعين البصيرةِ، هل في هذا العملِ رضاء للهِ أم لا؟

إن كلَّ ذلك لا يحصلُ إلا بالإيمانِ الحي الصادقِ النابضِ من قلبٍ صافٍ نقي.

الإيمانُ وما أدراك ما الإيمانُ! هو الإيقانُ والاستسلامُ والإذعانُ، هو التصديقُ والتسليمُ للهِ ربِّ العالمين، الإيمانُ الذي ألزمَنَا اللهُ إياه وجعلَه مفتاحَ رضوانِه وثمنَ جنتِه.

وليس المؤمنُ مَن قال لا إله إلا الله محمدٌ رسولُ اللهِ فحسبْ مالم يعملْ بمقتضاها ويعتقدْ مِن صميم قلبِه فحواها.

عبادَ الله: الناسُ أربعةٌ: مؤمنٌ وكافرٌ ومنافقٌ وفاسقٌ، فالمؤمنُ: مَن أقرَّ بلسانِه، ونطقَ الشهادتين، واعتقدَ ذلك بقلبِه، وعَمِلَ بما أمرَه اللهُ وانتهى عما نهاه عنه.

والكافرُ من لم يُقرَّ بلسانِه، ولا اعتقدَ بقلبِه، ولا عملَ بجوارحِه.

والمنافقُ من يُظهرُ الإيمانَ ويبطنُ الكفرَ.

والفاسقُ: مَن أقرَّ بلسانِه وقلبِهِ، ولكنه لا يعملُ ولا يصلي ولا يصومُ أو يفعلُ الكبائرَ من العصيانِ.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٤ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

إن الإيمانَ ليسَ مجردَ القولِ باللسانِ، بل لا بدَّ من عملٍ يتبعُه، بنيةٍ خالصةٍ لا تشوبها شائبةٌ.

كما قال ﷺ: ((الإيمانُ قولٌ باللسانِ واعتقادٌ بالجنانِ وعملٌ بالأركانِ)) لابدَّ من الربطِ بين القولِ والقلبِ والعملِ. فلا عبرةَ بالقولِ إذا لم

يكنْ نابعاً من صميمِ القلبِ، فمَن قال بلسانِه وقلبُه مخالفٌ له؛ فلا يخلو إما أن يكونَ مجنوناً لا يعقلُ ما يقولُ، فلا إثمَ عليه، وإما منافقاً يُظهرُ شيئاً ويُبطنُ غيرَه، من الذين يقولون بألسنتِهم ما ليس في قلوبِهم، فموعدُه أسفل دركٍ من النارِ كما قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾.

عبادَ الله: إنَّ الذي يقولُ ما لا يفعلُ مع اعتقادِه بوجوبِه، ويكتفي مِن الإيمانِ بالقولِ باللسانِ فهو من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم في نارِ جهنم، وقد أوضحَ اللهُ ذلك كلَّه وأبانه في سورةٍ قصيرةٍ من سور القرآنِ لو تدبرناها، قال تعالى: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ فقد أقسمَ اللهُ عزَّ وجلَّ بأنَّ كلَّ إنسانٍ خاسرٌ، محكومٌ عليه بالهلاكِ، إلا الذي آمنَ وصدّقَ بكلِ ما جاء به الرسولُ من ربه.

وأيضاً فإنَّ إيمانَه وتصديقَه لا ينفعُه شيئاً ولا ينجيه من الخسران، إلا إذا عملَ بمقتضى ما علمَه وصدّقَ به، فقال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، وأيضاً فإن الإيمانَ والعملَ بالصالحاتِ منوطٌ بالتواصي بالحقِّ والصبرِ على فعلها والمداومةِ عليها، فهذا هو خلاصةُ معنى سورةِ العصرِ.

عبدَ الله: تعال معي لنعرضَ صوراً من واقعنا تحت مجهرِ القرآنِ نستضيءُ بنورِه ونتبصرُ بهداه، علَّنا أن نُحاسِبَ أنفسَنا ما دُمنا في مُهلةٍ من أعمارِنا وقبلَ أن نندمَ حيثُ لا ينفعُ ندمٌ ولا حسرةٌ.

كلُّ منا يسألُ نفسَه هل نحنُ صادقون مع أنفسِنا ومع ربِّنا؟ هل طابقت أفعالَنا أقوالُنا؟ وهل طابقت أقوالُنا قلوبَنا ونياتِنا.

كلُّ واحدٍ منا يرددُ كلَّ يومٍ (الله أكبر).

ما معنى هذه العبارةِ؟ معناها أنه لا أكبر، ولا أعظمَ ولا أجلَّ مِن اللهِ، وأنه أكبرُ من كلِّ كبيرٍ وأعظمُ من كل عظيمٍ.

فهل تستشعرُ قلوبُنا هذه المعاني؟! إن المتأملَ في حالِ الإنسان الغافلِ يجدُ بأن قلبَه قد انطوى على أن ليس هناك شيء أكبرُ وأهمُ من الدنيا، وما حوتهُ من القناطيرِ المقنطرةِ من الذهبِ والفضةِ والخيلِ المسومةِ، والمالِ والبنينَ والأزواجِ.

لا إله إلا الله ما أبعدَ ما بين لفظِ اللسانِ وضميرِ الإنسانِ، ما أبعدَ ما بين نُطْقِهِ، وما هو عليه في عملِه؛ يعظّمُ اللهَ ويقدسُه بلسانِه، ويفعلُ بخلافِ ذلك.

ومسألةٌ أخرى هي أن هناك من يستعيذُ باللهِ من الشيطانِ بلسانِه ويستجيرُ به من كيده، ويطلبُ من اللهِ أن يُجيرَه ويحميَهُ من الشيطانِ.

بينما فعلُه في واقعِ الأمرِ مخالفٌ لما نطقَ به لسانُه فتراه يسلك سُبُلَ الشيطانِ ويتركُ سبيلَ ربِه.

ما الفائدةُ في أن يطلبَ من اللهِ النجاةَ ويتوسلَ إليه بأن يبعدَ الشيطانَ عنه ويحولَ بينه وبينه، وما إن يتمُّ كلامُه ويغلقُ فمَه حتى يُشمّرَ ليبحثَ عن ذلك الشيطانِ بنفسِه، وعن مجالسِه وأماكنِ تواجدِه مع أوليائِه، ليذهبَ إليهم بمحضِ إرادتِه على قدميه، فلا يسمعُ بمجلسِ سوءٍ إلا دخلَه، ولا يخوضون في كلامِ فحشٍ إلا خاضَ فيه. ولا يعلمُ دارَ غِنَاءٍ أو حفلةَ رقصٍ إلا قصدَها، ولا مقيلَ غيبةٍ ونميمةٍ وهتكٍ للإعراضِ إلا جلسَ فيه، ما جدوى أن يسألَ اللهَ أن يبعدَ الشيطانَ عنه بلسانِه ثم يدعو بفعلِه، بل ويتمنى الحصولَ على الفاحشةِ بقلبِه.

ويسعى بكلِّ جهدِه لإشباع رغبتِه إما بغناءٍ أو بكلامِ فحشٍ، أو بنظرٍ للنساءِ أو غيرِ ذلك من سبلِ الشيطانِ، ما جدوى أن أسألَ الله أن يُجيرني من الشيطانِ ويحرسَني ويسترني لئلا يتسلطَ عليّ؛ بينما أنا في الحقيقةِ أستجيرُ بالشيطانِ بعملي. فكم مِنْ مستعيذٍ باللهِ من الشيطانِ، وهو هاربٌ إلى بيتِ الشيطانِ ليسترَه ويخفيَه لكي يفعلَ المنكرَ والفحشاءَ.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾ فإذا ما انتهى من عمل

الفاحشة عاد إلى بيت الله ليظهرَ التنسكَ والعبادةَ، وكأنه لم يفعل شيئاً ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ﴾ لتورده الزبانية النار وبئس القرار.

عبادَ الله: إن اللهَ لا يخفى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، إنَّ الأكاذيبَ والألاعيبَ لا تمضي على الله، المخادعةُ والمكرُ يمكنُ أن تروجَ في سوق البشرِ، أما اللهُ جلَّ جلالُه وتقدستْ أسماؤُه وتعالى عن كلِّ شأنٍ شأنهُ، فلا يأمنُ مكرَه إلا القومُ الخاسرون، ومكرُ أولئك هو يبورُ وقد صورَ اللهُ حالَ هؤلاءِ في قولِه: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾، ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

فسبحانَ اللهِ العظيمِ، الستارِ على المذنبين، الممهلِ للعاصين الذين بين قلوبِهم وقولِ ألسنتهم كما بين السماءِ والأرضِ، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾.

نسألُ اللهَ العظيمَ السدادَ والرشادَ في الأقوالِ والأفعالِ، ونسأله الإخلاصَ في القولِ والعملِ.

اللهم اجعلنا ممن يقولون بالحقِّ وبه يعدلون يا حيُّ يا قيومُ.

أقول ما تسمعون، وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ ① إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ② إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ③﴾.



الخطبة الثانية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للهِ القائمِ على كلِّ نفسٍ بما كسبت، الرقيبِ على كلِّ جارحةٍ بما اجترحت.

وأشهد ألّا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، المطلعُ على ضمائرِ القلوبِ إذا هجست، الحسيبُ على خواطرِ العباد إذا اختلجت، الذي لا يعزبُ عنه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ.

وأشهد أن سيدَنا ومولانا محمداً عبدُهُ ورسولُه، المخصوصُ بالذكرِ المحمودِ والحوضِ الموردِ والمقامِ المشهودِ، صلى الله عليه وعلى آله الهداة سفن النجاةِ وسلَّم تسليماً كثيراً.

وبعدُ:

عبادَ الله: إن المتأملَ في شكلِ الإنسانِ وصورتِه يجدُ أنَّ المسافةَ ما بينَ قلبهِ ولسانِه مقدارَ شبرٍ، هذا في ظاهرِ الصورةِ والشكلِ، أما ما بين نيتِه وما انطوى عليه القلبُ وما نطقه اللسانُ فإن بينهما بُعدَ المشرقين.

فأيُّ خداعٍ يخدعُ به هؤلاءِ أنفسهم، وأيُّ مكرٍ مكروه عليها. ﴿**أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**﴾.

يا بئسَ الموردُ أوردوه أنفسَهم، ويا لَهُ من هولٍ جلبوه لها. فإلى كلِّ مَن سلكَ هذا الدربَ وما شاكلَه، وإلى كلِّ من خالفَ ظاهرُه باطنَه نقولُ: ((إنما الأعمالُ بالنياتِ وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى)) وفي الأثرِ: ((إنَّ اللهَ لا ينظرُ إلى صورِكم ولا إلى ألوانِكم ولكن ينظرُ إلى قلوبِكم)).

فالقلبُ هو المضغةُ المعوّلُ عليها في صلاحِ الجسدِ وفسادِه، كما قال ﷺ: ((إن في الجسدِ مضغةً إذا صَلُحتْ صلحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسدتْ فسدَ الجسدُ كلُّه ألا وهي القلبُ)).

عبادَ الله: ليس هذا فحسبُ هو جُلُّ ما نعرفُه من مكرِنا بالليلِ والنهارِ، الذي نزاولُه من حركاتِنا وسكناتِنا، ونحنُ نقرأُ القرآنَ بألسنةٍ لاغيةٍ، وقلوبٍ ساهيةٍ لاهيةٍ، في لُجَجِ الضلالةِ هاوية، بل هناكَ صورٌ شتّى، منها أننا قلنا بلحمةِ ألسنتِنا وشهدنا بصدقِ المُبلِّغِ وصدقِ القرآنِ ولا شكَ في ذلك. ولكنّ البلوى هي أن نعملَ بخلافِ ما شهدْنا بصدقِه وما جاء به.

ولو أننا نعملُ بخلافِه وقلوبُنا منكرةٌ لأفعالِنا معتقدينَ بخطئِنا لكان أخفَّ جُرماً، وأقلَّ قُبحاً من غيرِه، ولكنَّ المصيبةَ والطامةَ أننا نعملُ بخلافِه ونفوسُنا راضيةٌ مطمئنةٌ، وفي بواطنِنا أننا مصيبون، فلا ضميرَ يؤنبُنا، ولا نفسَ تلومُنا، ولا زاجرَ من إيمانٍ يردعنا.

والأعظمُ والأدهى من كلِّ هذا وذاك، إذا كان ما نتّبعه سبيلاً للشيطانِ، ومسخطاً للرحمنِ وتصديقاً لوعدِ مَن لعنَهُ الله وتركاً لوعدِ اللهِ القائلِ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ هاهنا وعدانِ وعدٌ من إبليسَ الغوي، ووعدٌ من الجبارِ القوي. الشيطانُ يهددُكم بالفقرِ والإفلاسِ، ويزرعُ في قلوبِكم الفاقةَ والطمعَ. واللهُ يؤمِّنُكم من الفقرِ ويَعِدُكم وعداً صادقاً لا خُلْفَ لوعدِه، إنه سيبسطُ عليكم الرحمةَ والغفرانَ، ويجزلُ لكم العطاءَ في المالِ، والصحةَ والسلامةَ في النفسِ، وما به صلاحُ أنفسِكم وقوامُ أمرِكم.

وأمّا وعدُ الشيطانِ فقد وَعَدَنا بأننا معرَّضون للفقرِ والإفلاسِ وحاجةِ الناسِ، إذا قمنا بأمرِ الدينِ وزهدنا في الدنيا، أو تصدَّقنا من فضلةِ أموالِنا، ولم نحرص بالبخلِ على أنفسِنا وأهلِينا، يأمرُنا بالبخلِ بما يجبُ علينا من الحقوقِ للهِ ولخلقِه، ولسانُ حالِه ومقالِه: (إذا تصدقتَ على الفقراءِ والضعفاءِ فقرتَ وأفلستَ، وإن كان ولا بد من الإنفاق فأنت وأهلُكَ وأبناؤُكَ أحوجُ بالصدقةِ من غيرِكم)، فلا هو على أهلِه ونفسِه أنفقَ، ولا على الضعفاءِ والمحتاجين تصدق.

يقول لك: (إذا أنتَ وفيتَ بدَينِك، وخلصتَ ذمتَك، وأخرجتَ غلّةَ مواريثِكَ فإنك ستُعرِّضُ نفسَك وأهلَك للحاجةِ والفقرِ، وأنت وأهلُك أحوجُ وأولى من الناسِ، إذا أخرجتَ مهرَ زوجتِكَ ومواريثَ أرحامِك فقرتَ وأفلستَ)، يحببُ إليك المال حتى تعدَّ الزكاةَ مغرماً، والحرامَ مغنماً، يُسَوِّلُ لك الحيلَ والمكائدَ لنصبِ أموالِ الأراملِ والأيتامِ والمساكين.

يزينُ لك سوءَ عملِكَ لتستحلَّ أموالَ الأوقافِ بأكلِها، أو أن تُهملَ أرضَها فلا أنتَ الذي زرعتَها ولا أنت تركتَها لمن يزرعُها. يعدُك بالفقرِ فيزرعُ في قلبِك حبَّ الدنيا وزينتَها حتى يصبحَ المالُ أحبَّ إليك من اللهِ ورسولِه وجهادٍ في سبيلِه.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً﴾ فأيُّ الوعدين صدقْنا؟ وأيُّ الوعدين اتبعنا؟ ظواهرُنا مع اللهِ ومع وعدِهِ. ولكنَّ بواطنَنا وما ظهرَ من شِقْوَتنا وبخلِنا وحرصِنا وطمعِنا، وغشِّنا في بيعِنا وشرانا وكذبِنا وخداعِنا كل ذلك يشهدُ بأننا مع وعدِ الشيطان.

إن المؤمنَ بوعدِ اللهِ لا يبخلُ، المصدقَ بفضلِ اللهِ لا يغشُّ ولا يخدعُ، المُسَلِّمَ لأمرِ رَبِّه لا يفرحُ بما أوتي ولا يحزنُ على ما فات.

إن الإيمانَ باللهِ معناهُ الإذعانُ والانقيادُ والتصديقُ بكلِّ ما جاءَ من عندِ اللهِ، أما الخداعُ والكذبُ والمكرُ فإنما ينعكسُ على صاحبِه ولا يحيقُ المكرُ السيِّءُ إلا بأهلِه.

عبادَ الله: أفيقوا، استيقظوا، عجباً لكم كيف تنامون وأنتم تطلبون الجنةَ، وإبليسُ وجندُهُ لا ينامون وهم يطلبون النار؟ كيف تأمنونَ مكرَ الشيطانِ وقد أقسمَ بعزةِ ربِّه ليُغوينَّ الناسَ أجمعين؟ كيف تأمنونه وقد آلى على نفسِه أن يقعدَ لكم بكلِّ صراطٍ تُوعدون، وأن يحولَ بينكم وبين الصراطِ المستقيمِ ونهجِه القويمِ؟ كيف تأمنونه وقد حذركم اللهُ منه بقولِه عزَّ مَن قائلٍ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

إننا نرددُ في كلِّ يومٍ في صلواتِنا ما يُقاربُ العشرين مرةً أو أكثرَ قولَه تعالى:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، ونبتهلُ إلى اللهِ في ضراعةٍ بألسنةٍ فصيحةٍ وقلوبٍ غافلةٍ، بأن يدلَّنا ويبينَ لنا طريقَه وصراطَه، ومنهجَه الواضحَ المستقيمَ الذي لا عوجَ فيه، و نسألُه أن يُلهمَنا ما يجبُ لنا وعلينا لنتبعَه ونقتفيَ أثرَه، وما يحرمُ علينا لنتركَه ونجتنبَه، ونسألُه أن يهديَنا إلى سُننِ الأنبياءِ والرسلِ من أوليائِه الذين أنعمَ عليهم بالهدايةِ والتوفيقِ.

ندعو بذلك الدعاءِ بألسنتِنا ولا نتدبرُ ذلك بعقولِنا وقلوبِنا، ولا نفقهُ كثيراً مما نقولُ.

عبادَ الله: إنَّ القولَ المجردَ في منظورِ الشرعِ لا عبرةَ بِه، ما لم يكنْ نابعاً من صميمِ القلبِ وصدَّقَه العملُ. وإلَّا فهو باطلٌ ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾. من العجيبِ أنْ يسألَ المرءُ ربَّه الهدايةَ إلى واضحِ الطريقِ والتوفيقَ إلى أقومِ السُبُلِ، وأن يجنبَه سبلَ الشياطينِ والغواةِ من حزبِه، يقولُ ذلك بلسانِه في صلاتِه وبين يدي ربِّه، وحالَ مناجاتِه وتلاوتِه، بينما قلبُه غافلٌ ساهٍ لاهٍ عن ما ينطقُه لسانُه.

فلسانُه في وادٍ وقلبُه في وادٍ آخرَ.

لسانُه يسألُ الهدايةَ ويستجيرُ من الغوايةِ.

وقلبُه يحيكُ الحيلَ، وينصبُ المكائدَ، يفكرُ كيف يأخذُ مالَ هذا، وكيفَ يخدعُ ذاك، وكيف يدّعي ويتقي، بل كيف يعصي وأين يعصي وبمن يعصي؟ حتى يخرجَ من صلاتِه لا يعلمُ ما قرأَ فيها ولا كم ركعَ فيها.

أيُّ سخريةٍ وأيُّ استهزاءٍ هذه الصلاة، أيُّ دينٍ وأيُّ إيمانٍ يَدَّعيه هؤلاء الغافلون، حتى بينَ يدي اللهِ وفي بيوت الله يتملَّقون بألسنتِهم ويُضمرون الشرَّ في قلوبِهم.

هل يا تُرى صدَّقَ هؤلاءِ بأنَّ اللهَ يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تخفي الصدور؟ وهو القائلُ: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾.

هل آمنوا بعلمِ اللهِ الذي لا يعزبُ عنه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ؟

ألم يسمعوا قولَ اللهِ تعالىٰ: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ فعللَ اللهُ نهيَه عن أداءِ الصلاةِ حالَ السكرِ حتىٰ يعيَ المصلي ما يقولُ ويعرفَ بها يتكلمُ، ولقد فسرَ بعضُ العلماءِ السكارَ في هذه الآيةِ أن المرادَ به شدةُ النومِ وغلبتُه، بحيثُ لا يعي المصلي ما يقولُ، فنهىٰ عن الصلاةِ في حالِ ذهولِ الإنسانِ وضياعِ عقلِه، بحيثُ أنه لا يعلمُ ما يقولُ، ولا ما يقرأُ ولا كم يصلي.

عبادَ الله: غفلنا ولم نشعرْ أننا غفلنا، جرفتنا الأهواءُ وانسقنا وراء الدنيا قلباً وقالباً، وتملَّكَ حبُّها في جوانِحِنا، وتمكن في أحشائِنا، فلم يبقَ لنا في الدينِ والآخرةِ أيُّ رغبةٍ، فعميتْ أبصارُنا وزيّنَ لنا الشيطانُ سوءَ أعمالِنا، وغرتْنا الأماني وغرنا باللهِ الغرورُ، وإنا لنخشىٰ أن نُصبحَ من الأخسرين أعمالاً الذين ضلَّ سعيُهم في الحياةِ الدنيا وهم يحسِبون أنهم يُحسنِون صنعا.

فلا بُدَّ لنا من تقويةِ علاقتِنا بربِنا، وتوثيقِ عُرىٰ الإيمانِ في نفوسِنا، حتىٰ نَصْدقَ مع اللهِ ومع رسولِه ومع أنفسِنا، حتىٰ تصفوَ بواطِنُنا، وتكون مرآةً صادقةً مع أعمالِنا وأقوالِنا، ونقدم بها علىٰ ربِّنا ومولانا راضيةً مرضيّاً عنها مقبولةً منا، نسعدُ بها مع السُعداءِ يوم العَرْضِ والنشورِ.

عبادَ الله: إنكم في يومٍ عظيمٍ ويومِ عيدٍ كريمٍ شرفَه اللهُ وكرمَه علىٰ سائرِ الليالي والأيامِ، فأكثروا فيه من الصلاةِ والسلامِ علىٰ نبيِّكم خيرِ الأنامِ امتثالاً لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهم فصلِّ وسلمْ وباركْ وترحمْ علىٰ عبدِك ونبيِّك وخيرتِك من خلقِك أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وصلِّ اللهمَّ وسَلِّم علىٰ أخيهِ وابنِ عمِه وبابِ مدينةِ علمهِ أشجعِ طاعنٍ وضاربٍ علي ابنِ أبي طالبٍ وعلىٰ زوجتِه الحوراءِ خامسةِ أهلِ الكساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وصلِّ اللهم وسلمْ علىٰ وَلَدَيهما الإمامينِ الأعظمينِ أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ

الحسينِ، وصلِّ اللهمَّ وسلمْ على الولي ابنِ الولي الإمامِ زيدِ بنِ عليٍّ، وصلِّ اللهمَّ وسلمْ على الإمامِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيمَ، وصل اللهم وسلم على سائرِ أهلِ بيتِ نبيئِك المطهرين دعاةً منهم ومقتصدين، وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من الأنصارِ والمهاجرينَ وعنَّا معهم بفضلِك ومنِّك يا كريمُ.

اللهم لا تردَّنا من هذا المقامِ خائبينَ ولا من بابِ دعوتِك مطرودين ولا بالسيئاتِ معاقبين.

اللهم ارزقنا اليقينَ واجعلنا من المتقينِ، وهب لنا إيماناً صادقاً يباشرُ قلوبَنا، ويقيناً تطمئنُ به نفوسُنا، وتقوى تُطابقُ بها ألسنتُنا مكنونَ صدورِنا، واجعلنا من الراشدين.

اللهم انصر الإسلامَ والمسلمين، وأذلَّ الشركَ والمشركين، ودمرْ أعداءَك أعداءَ الدين، واجعلهم غنيمةً للمسلمين، واكفنا شرَّ كلِّ دابةٍ أنت آخذٌ بناصيتِها، إنك قريبٌ مجيبٌ، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكرْكم، واشكروه على نعمِه يزدْكم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.



[٧]- مراتب الإيمان

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد للهِ الذي يقضي بالحقِّ ويحكمُ بالعدل، ويهدي من يشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ، يقدّرُ الأمورَ بحكمةٍ، ويحكمُ بالشرائعِ لحكمةٍ، وهو الحكيمُ العليمُ، أرسلَ الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزلَ معهم الكتابَ ليحكمَ بينَ الناسِ فيما اختلفوا فيه، وليقومَ الناسُ بالقسطِ، ويؤتوا كلَّ ذي حقٍّ حقَه من غيرِ غلوٍّ ولا تقصيرٍ.

وأشهد ألّا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٍ.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين من يومِنا هذا إلى يومِ الدينِ وسَلَّمَ تسليماً كثيراً، **وبعد**:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

عبد الله: اعلم بأن النفسَ بطبيعتِها كسولةٌ عن الطاعاتِ جموحةٌ طموحةٌ إلى الشهواتِ واللذاتِ. لا يثني جموحَها عن رغبتِها عزُّها. فمَن وُفِّقَ لقمعِها نال المُنى، ونفسَه بنى، ومن أرخى لها العنان ألقت به إلى سبلِ الهلاكِ والردى، ونفسَه هدمَ وما بنى.

ومــن هجــرَ اللــذاتِ نــال المنــى ... ومن أكبَّ على اللذاتِ عظَّ على اليـدِ

فَفِي قَمْعِ أَهْوَاءِ النُفُوسِ اعْتِزَازُهَـا ... وفي نَيْلِهــا مــا تشــتهي ذلَّ سَرْمَــدِ

فــلا تشــتغلْ إلا بــما فيــه العُــلى ... ولا تَــرضَ للــنفسِ النفيســةِ بــالرَّدِي

وعلى هذا فالناسُ يختلفونَ في بناءِ أنفسِهم، فمنهم من بناها على تقوى من اللهِ ورضوانٍ، ومنهم من بناها على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهارَ به في نارِ جهنمَ، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

أفلحَ من نزهها من الدناءاتِ، أفلحَ مَنْ طهرَها مِن الآثامِ، فازَ من بناها على تقوى اللهِ وحسنِ طاعتِه، وخابَ وخسرَ من دَسَّاها ودنَّس ساحتَها بالرجسِ والآثامِ.

عبادَ الله: الدينُ ليسَ مجردَ رأيٍ أو مجردَ قصصٍ وأساطيرَ تَنَاقلتْها الألسنُ وحاكتْها الأفكارُ.

إنه صراطُ اللهِ ومنهاجُه، وميثاقه الذي واثقَكم به. إنه الطريقُ إلى الجنَّةِ، إنه سُلَّمُ الحياةِ الأبديةِ، والخلودِ الدائمِ، إنه بوابةُ الرضى والنعيمِ. إن الدِّينَ شيءٌ عظيمٌ، وأمرُه جسيمٌ وذو أهميةٍ بالغةٍ، عَظُم بِعِظَمِ غايتِه، وشَرُفَ بشرفِ هدفِه.

إنَّ وراءَه إما جنةٌ ونعيمٌ، أو نارٌ وحميمٌ.

إن وراءَه إما فوزٌ وفلاحٌ، أو خسرانٌ ونواحٌ.

إن وراءه إما عزةٌ وكرامةٌ، أو ذلٌّ وندامةٌ.

إن وراءَه إما راحةٌ أبديةٌ، أو حسرةٌ سرمديةٌ.

عبادَ الله: إن دينكم هذا ليس أسلافاً وأعرافاً قَبَلِيَّةً، إنه سُنَّةُ اللهِ وشرعُه، قلّدَ به أعناقَنا، وألزمَنَا به أبداً ما أبقانا، وأن نأخذَ بأحسَنِه وألا نتفرقَ عنه.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ أن أقيموا الدينَ ولا تتفرقوا فيه كلمتانِ ما أيسرَهما على اللسانِ وما أثقلَ الحفاظَ عليهما. أقيموا الدينَ للهِ، ورسخوا قواعدَه، وشيدُوا بنيانَه.

ودَعُوا الفُرْقةَ والخلافَ وانبذِوا البِدَعَ والمحدثاتِ، واتبعوا الصراطَ القويمَ ودَعُوا سبلَ الغيِّ والضلالِ.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

إن الدينَ هو الإيمانُ، إن الدينَ عندَ اللهِ الإسلامُ، قولٌ باللسانِ واعتقادٌ بالجنانِ وعملٌ بالأركانِ، فهل وقرَ الإيمانُ في قلبِك عبدَ الله؟ هل تمكنَ في أحشائِك ومَلِكَ لبَّك واطمأنت إليه نفسُك؟ أم كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

إن الإيمانَ إذا استحكمَ في النفوسِ، ووقرَ في القلوبِ، فإنه يشحنُ صاحبَه بقوةٍ وإرادةٍ وعزيمةٍ لا يفلها الحديدُ، ولا يتسربُ إليها شكٌّ ولا ريب، ولا خوفٌ ولا وجلٌ.

تنعشه بالطاقةِ والحيويةِ والنشاطِ، فتراه يُقْبِلُ على الطاعةِ والعبادةِ في مسرةٍ وطمأنينةٍ ولذةٍ، لا يتسربُ إلى قلبِه كللٌ ولا مللٌ. أيقنَ بأنَّه عبدٌ لله، وأن الحياةَ سفرٌ إلى جنةٍ أو إلى نارٍ، فشغلَ وقته بجمع الزادِ، والتأهبِ ليومِ المعادِ، فلا تراه إلا تالياً للقرآن، مسابقاً بالإحسانِ، محافظاً على الصلاةِ، لسانُه مشغولٌ بذكرِ اللهِ، وقلبُه معلقٌ باللهِ، راحتُه في طاعةِ اللهِ وقُربِه. ووحشتُه في بُعْدِه عن اللهِ.

عبدَ الله: إن الإيمانَ مراتبُ، منها القويُّ ومنها الضعيفُ، والصحيحُ والسقيمُ. هناكَ قومٌ أسّسوا إيمانَهم وبنوا أنفسَهم على قواعدَ متينةٍ راسخةٍ ثابتةٍ، لا تُزلزلُها المغرياتُ ولا تهزها النوائبُ، وهناك من أسسها على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهارَ به في نارِ جهنمَ.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾، ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾.

قال ﷺ: ((المؤمنُ القويَّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ وفي كلٍّ خيرٍ))، إن المؤمنَ القويَّ لا تؤثرُ فيه المحنِ، ولا تحولُه الفتنُ. المؤمنُ القويُّ لا تغريه المطامعُ، ولا تستهويهِ الشهواتُ، المؤمنُ القويُّ لا يغيّرُه الهوى، ولا يثنيه البلاءُ، إنه سائرٌ على خطِّ الرسالةِ، مستقيمٌ على صراطِ اللهِ، لا يحيفُ

ولا يميلُ، أخذَ دينَه من منبَعِه؛ فارتوى من عذبِ سلسبيلٍ، ماؤُهُ الزلالُ، فسرى في شراييِنِه حتى بلغَ كلَّ شعرةٍ وبشرةٍ في جسمِه، فشعَ بنورِ الإيمانِ في جوانحِه فأضاءَ ما حولَه، فأبصرَ رُشدَه، واهتدى بهداه، كما وصف محمدٌ ﷺ عمارَ بنَ ياسرٍ بقوله: ((عمارٌ مُلئَ إيماناً مِن قرنِه إلى قدمِه)).

فكان من الصنفِ الذين وصفَهُمُ الرسولُ ﷺ بقولِه: ((مَن أخذَ دينَه عن التفكرِ في آلاءِ اللهِ، والتدبرِ لكتابِ اللهِ، والتفهمِ لسنتي، زالت الرواسي ولم يزُل، ومن أخذَ دينَه من أفواهِ الرجالِ، وقلدَهم فيه، ذهبتْ به الرجالُ من يمينٍ إلى شمالٍ، وكان من دينِ اللهِ على أعظمِ زوالٍ)).

هناك رجالٌ عرفوا اللهَ فعبدوه، وعظموه ووقروه، وَقَرَ الإيمانُ في قلوبِهم فلم يُغيِّروا ولم يُبدلوا، ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ هؤلاء سحرةُ فرعونَ لما تبينَ لهم بأن الحقَّ مع موسى وهارونَ، خروا سجداً، وقالوا: آمنا بربِّ العالمين ربِّ موسى وهارونَ، بانت لهم معالمُ الهدى فأتوا إليها مذعنين، واتضحتْ لهم أنوارُ اليقين فلم يأنفوا ولم يستنكِفوا، ولم يثنِهم خوفُهم مِن فرعونَ وملَئِه، ولم يردعْهم تهديدُه ووعيدُه كما حكى اللهُ ذلك في قوله: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى﴾.

بل رَدُّوا عليه بحزم وتحدِّي: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا۝ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾.

رضوا بالعذابِ الأدنى وصبروا على الأذى، على الرُغْمِ من قُرب عهدِهم بالتوبةِ، إلَّا أنهم لم يَتَراجَعوا قيدَ أَنْمُلَةٍ عن طريقِ الصوابِ ﴿يُثَبِّتُ اللَّه الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّه الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّه مَا يَشَاءُ﴾.

من زمن موسى إلى زمنِ المصطفى محمدِ بنِ عبدِ اللهِ ﷺ -الذي بنى رجالاً وأيَّ رجالٍ- سَطَّرُوا بدمائِهم سِيَراً عطرةً سجلت أحداثَها بأحرفٍ من نورٍ على صفحاتِ التاريخِ، وضربوا أروعَ الأمثلةِ، وأبهى المشاهدِ الخالدةِ، ولولا أنها وقعت بالفعلِ لعُدّتْ من أحلامِ الحالمين.

هذا هو بلالُ بنُ رباحٍ، عبدٌ حبشيٌ اعتنقَ الإسلامَ وجهرَ بالدعوةِ، فما كان من سيدِهِ أميةَ بنِ خلفٍ إلا أن استشاطَ غيظاً وغضباً عليه. فهددَ بلالاً وتوعدَهُ وحاولَ بكلِّ وسيلةٍ أن يُثنيَه عن دينِه ومبدئِه، وأن يُعيدَه إلى سبيلِ الغيِّ والضلالِ، ولكنَّ جميعَ محاولاتِه باءتْ بالفشلِ.

فما كان منه إلا أن أنزلَ به أشدَّ العقابِ، وأذاقَه ألوانَ العذابِ. كان يُخرجُه في حَرِّ الظهيرةِ إلى رمضاءِ مكةَ، وهي لشدةِ الحرِّ كأنها قطعةٌ من نارٍ، تلهبُ الأقدامَ لشدةِ حرِّها، وتلفحُ الوجوهَ من فوحِ هواها، فيُجردُه من ثيابِه، ويُلقيه على ظهرِه، بين لهيبِ رمضائِها وحميمِ رملِها. ويضعُ على صدرِه صخرةً عظيمةً لا ينقُلها إلا عددٌ من الرجالِ.

فتراهُ يعاني حرَّ الشمسِ من فوقِه، ولهيبَ الرمل من تحتِه، وثقلَ الصخرةِ على صدرِه، وألمَ الجوعِ في أحشائِه، ولهيبَ الظمأِ في كبدِه، ومع وهنِ قوتِه وضعفِ بدنِه، فإنهم لم يكتفوا بذلك، بل وكَّلوا به أشدَّ العبيدِ غلظةً وفظاظةً، يتعاقبون عليه الواحدُ تلو الآخر، يكيلونه ضرباً بالسِّياطِ، وكيّاً بالنارِ إلى غيرِ ذلكَ من ألوانِ العذابِ.

ومع ذلك لم يستطيعوا أن يثنوه أو يحوِّلوه، أو يردُّوه عن مبدَئِه ودينِه، بل كان شعارُه الذي يرددُه مِن حينٍ لآخرَ هو (أحدٌ أحد) إنه وَحَّدَ اللهَ وكفرَ بما دونَ ذلك، إنه مع اللهِ الواحدِ الأحدِ، قالوا: يا بلالُ ارفقْ بنفسِك وبِنا فقد أتعبْتَنا، فاذكرْ الآلهةَ بخيرٍ واذكرْ محمداً بسوءٍ.

يا للهِ، مجموعةٌ من أشدِ العبيدِ قوةً وبأساً، أتعبَهم ذلك الجسدُ المُسجى على الأرضِ، الذي يتلوَّى من شدةِ الضعفِ والوهنِ.

فإذا كانوا قد تعِبوا من التعذيبِ فكيف بحالةِ المعذَّب. قالوا: أرفق بنفسِك وبِنا فقد أتعبْتَنا.

فردَّ عليهم بصوتٍ ضعيف قد أنهكَهُ التعبُ والجوعُ والظمأُ (أحدٌ أحد)، ولسانُ حالِه: (هذا جسدي بينَ أيدِيكم أفعلوا به ما شئتم بإمكانِكم أن تُعذِّبُوه، بإمكانِكم أن تُمزِّقوهُ، بإمكانِكم أن تُحرقوه وتصلِّبُوه، أما مبدئي وعقيدَتي وما انطوى عليه مكنونُ سِرِّي، وما حلَّ في جوانِحِي، واختلجتْ به سويداءُ قلبي فلن تَصِلُوا إليها، هيهاتَ هيهاتَ أن تَقْدروا على تحويلِها أو تبديلِها وليس باستطاعةِ سياطِكم ونارِكم وجبروتِكم أن تصلوا إليها).

فهذا أُنموذجٌ من مدرسةِ رسولِ اللهِ ﷺ وما كان عليه هو وأصحابُه، أمثال عمارِ بنِ ياسرٍ، وصهيبٍ، وأبي ذرٍ الغفاري، وسلمانَ وغيرِهم رضي اللهُ عنهم وأرضاهم، كثيرٌ بالعشراتِ والمئاتِ من المستضعفينَ، الذين صبروا وعلى ربِّهم يتوكلون، الذين بنوا نفوسَهم على تقوى من اللهِ ورضوانٍ، إنهم فتيةٌ آمنوا بربِّهم وزدناهم هُدى.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.

فأينَ نحنُ **عبادَ الله** من هذِه الجبالِ الرواسي، والقممِ الشامخةِ الشمّاءِ، التي تحطمتْ على صخراتِها الصماءِ كلُّ أنواعِ التهديداتِ والإغراءاتِ.

هُنا وما أدراك ما هُنا؟ هُنا في هذا الزمنِ التعيسِ الذي استرخصت فيه النفوسُ، وصودِرت فيه الحرياتُ، وبِيْعَ الدينُ فيه بأبخسِ الأثمانِ، وتُوْجِرَ فيه بالعقائدِ والمبادئِ. هُنا قلوبٌ بُني إيمانُها على شكٍّ وريبةٍ، وتمسكت بحبالٍ هي أوهنُ من خيوطِ العنكبوتِ، يبيعون دينَهم بعرضٍ من الدنيا زهيدٍ.

هناكَ من يُغيِّر مبدأَه ويُحوِّلُ منهجَه، ويخرجُ من حولِ اللهِ وقوتِه بحفنةٍ من المالِ. هُناك مَن يتقاضى أغراضَه من أعدائِه، ويطفئُ لهيبَ غيظهِ بإثارةِ الفتنِ في الدينِ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾.

هنالك مَن يَتَّهِمُ الصلاةَ بأنها السببُ في فقرِه ومصائبِه، هذه حالةٌ من حالاتِ مرضى القلوبِ، وركيكي الإيمانِ في هذا الزمنِ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

هناك من يتشاءمُ ويتطيرُ بالعلمِ والتعليمِ، وبإخوانِه المؤمنين، ويرى بأن دينَهم وعلمَهم وصلاحَهم هو سببُ القحطِ والبلاءِ والبَرَدِ والضَّرَبِ.

هناك عُبَّادُ شهوةٍ وأهواءٍ وبئس العبيد.

يقطع الصلاةَ لأجلِ البَرْد وإيثاراً للنومِ.

هناك من يترك الواجباتِ مجاملةً ومداهنةً.

هناك من يتركُ قولَ الحقِّ على نفسِه وقرابتِه أَنَفَةً وعصبيةً.

إن المؤمنَ الذي بنى نفسَه على تقوى من اللهِ، لو عُرِضَ عليه ملءُ هذا المسجدِ ذهباً على أن يتركَ فريضةً من فرائضِ الله ما تركها، لو ملكوه الدنيا بما فيها على أن يشربَ الخمرَ، أو يُبَاشَرَ الزنا أو يأكلَ درهماً من الحرامِ أو يسمعَ الغناءَ ما فعلها.

لو قرَّضوهُ بالمقاريضِ، ونشروهُ بالمناشيرِ، وسلخوهُ كما تُسلخ الكباشُ على أن يحوّلَ أو يبدِّلَ في دينِه ما فعلَ، ولو كان في سبيلِ ذلك إزهاقُ روحِه التي بين جَنْبَيه.

هذا هو الدينُ الحقُّ، والإيمانُ الصادقُ الذي يصنع من البشرِ جبالاً من الصبرِ، وصخوراً من التقوى لا تلين.

جَعَلَنا اللهُ وإياكم منهم وممن حَمِدَ وشَكَر وصابر وصَبَر، ونسألُه منازلَ العارفين، ودرجاتِ أهلِّ التقوىٰ واليقينِ، إنه نِعْمَ المولىٰ ونعمَ النصير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّه الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللَّه لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّه الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّه الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.

أقولُ ما تسمعونَ وأستغفرُ الله العظيمَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.



الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ لا نشركُ بالله شيئاً، ولا نتخذُ من دونِه إلهاً ولا وليّاً، نحمدُه على ما خَصَّنا به من نعمِه، ودلَّنا عليه من طاعتِه، واستنقَذَنا به من الهلكةِ برحمتِه، وبصَّرنا به من سبيلِ النجاةِ، وابتدَأَنا بِه من الفضلِ العظيمِ، والإحسانِ الجسيمِ، بمحمدٍ البرِّ الرؤوفِ الرحيم ﷺ، أرسَلَه إلينا، فكان كما قال عز وجل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فبلغَ رسالةَ ربه ﷺ الطيبين الطاهرين.

وأشهدُ ألّا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، الملكُ الحقُّ المبينُ.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه الأمينُ، بلَّغَ رسالةَ ربِه، وأُوذِيَ في جَنْبِه، وصَبَرَ وصابر حتى أتاهُ اليقينُ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد:

عبادَ الله: أكثرُ الناسِ بلاءً الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثلُ، أمرٌ لا بُدَّ من أن يلقاهُ المؤمنُ ليميزَه اللهُ عن الكاذبِ.

وذلك قول الله تعالى: ﴿الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

البلوى معيارٌ يُعرفُ به صادقُ الإيمانِ من كاذبِه، فمن كان مؤمناً راسخاً في إيمانِه قد أسس بنيانَه على تقوى من اللهِ ورضوانٍ، فلا يضيرُه ما أصابه، ولا يردُّه عن دينِه مهما كان بلائُه ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾.

وأمَّا مَنْ بنى نفسَه على جُرُفٍ هار، وأسَّسَ بنيانَه على شكٍّ وارتيابٍ، فإنه

يتحولُ عن مسارِه لأبسطِ عارضٍ يعرضُ له كما وصفه اللهُ بقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾.

عبادَ الله: لقد قصَّ علينا اللهُ من أخبارِ الأولينَ وأحوالِهم وصبرِهم ما به عظةٌ وعبرةٌ وما فيه لنا أسوةٌ.

ضربوا أروعَ المثلِ في التضحيةِ والفداءِ، وفي الصبرِ عند اللقاءِ، ﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴿١٤٧﴾﴾، ثم دعاهم سبحانه وحذرهم من كيدِ الكافرين بقولِه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَاسِرِينَ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللّهُ مَوْلاَكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾.

توجيهاتٌ إلهيةٌ يرسمُ خُطوطَها المولى عزَّ وجلَّ، يبينُ لنا بأن وراءَنا من يكيدُ ويدبرُ للنيلِ منا، ويطمعُ في أن يردَّنا عن الدينِ، ولا يألو جهداً في تحقيقِ ذلك بالمالِ أو بالتهديدِ، ولو أدّى ذلك إلى إنزالِ أشدِّ أنواعِ العقوبةِ والعذابِ.

كما في قصةِ آلِ ياسرٍ وقصةِ بلالٍ وصهيبٍ وخبابٍ وغيرِهم من أولئك المؤمنين الصادقين، الذين تحطمتْ أحلامُ قريشٍ على صخراتِ إيمانِهم الصمِّ، وباءَتْ كلُّ محاولاتِهم في إرجاعِهم بالفشلِ، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

لقد فهموا كلَّ ذلك فشحنوا قلوبَهم بالإيمانِ، وسقوها بالتقوى حتى امتلأت.

تسلطَ على آلِ ياسرٍ أبو جهلٍ لعنَهُ اللهُ وأذاقَهم من العذابِ ألوانا، وجرَّعَهم من العقابِ الشيءَ الكثيرَ، وكان النبيُّ ﷺ يمرُّ عليهم ويقولُ صبراً آلَ ياسرٍ فإن موعدَكم الجنةُ.

فصبَرَوا وتحمَّلُوا حتى طفحَ الكيلُ، ولم يتراجعوا قيدَ شعرةٍ عن دينِهم، واستشهد ياسرٌ رحمه الله تعالى واستشهدت أمُه سُميةُ، وبقي عمارٌ بلا أبٍ ولا أمٍ لا يدري أيشكو اليُتْمَ، ويبكي فراقَ أعزَّ الناسِ عليه، أم يشكو حرَّ السياطِ وأليمَ العذابِ.

فكانوا يعذبونه حتى يغيبَ عن الوعيِ ولا يعي ما يقولُ من شدَّةِ العذاب.

فقال كلمةَ الكفرِ فقالَ الناسُ للنبيِّ ﷺ عمارٌ كفرَ، فقال ﷺ: ((عمارٌ مُلئ إيماناً من قرنِه إلى قدمِه، واختلطَ الإيمانُ بلحمِه ودمِهِ)).

فجاءَ عمارٌ يعتذرُ لرسولِ الله ﷺ، وهو يبكي فأخذَ رسولُ الله يكفكفُ دموعَه، وهو يقولُ: ((إن عادوا فعُد)) فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْأِيمَانِ﴾.

وجاءَ خبَّابٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقالَ: يا رسولَ اللهِ ادعُ اللهَ أن يفرجَ عنا، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: ((إنكم لتعجلون؛ لقد كان الرجلُ ممن كان قبلَكم يمشطُ بأمشاطِ الحديدِ ويشقُّ بالمنشارِ فلا يردُّه ذلك عن دينِه)).

عبادَ الله: يُروى بأن سُمَيَّةَ رضي الله عنها كانت من السابقين للإسلام، وقد عذبها أبو جهلٍ لِتَرجعَ عن دينِها فأبتْ، فربطَها بين بَعيرينِ وطعنَها في قُبُلِها، فماتت رحمةُ اللهِ عليها، وكانت أولَ شهيدةٍ في الإسلامِ.

فهذه سميةُ، امرأةٌ جابهتْ طواغيتَ الشركِ، وصمدتْ حتى لقيت ربَّها راضيةً مرضيةً، لتلتحقَ بركبِ من سبقَها من الصادقاتِ الصابراتِ أمثالَ مريمَ بنتِ عمرانَ وآسيةَ بنتِ مزاحمٍ.

عبادَ الله: هكذا الإيمانُ عندما يباشرُ القلبَ يكسبُ صاحبُه صلابةً وقوةً في إيمانه سواءً كان صاحبُه رجلاً أو امرأةً وخيرُ مثالٍ على ذلك ماشطةُ فرعونَ تلك

المرأةُ الصالحةُ التي كانتْ تعيشُ هي وزوجُها.. في ظِلِّ مُلك فرعونَ.. زوجُها مقربٌ من فرعونَ.. وهي خادمةٌ ومربيةٌ لبنات فرعونَ..

فمنَّ الله عليهما بالإيمانِ.. فلم يلبث زوجُها أن عَلِمَ فرعونُ بإيمانِه فقتَله.. فلم تزل الزوجةُ تعملُ في بيتِ فرعونَ تمشطُ بناتَ فرعونَ.. وتنفق على أولادِها الخمسةِ.. تطعمُهم كما تطعمُ الطيرُ أفراخَها..

فبينما هي تمشطُ ابنةَ فرعون يوماً.. إذ وقعَ المشطُ من يدِها، فقالت: بسمِ اللهِ.. فقالت ابنةُ فرعونَ: اللهُ.. أبي؟

فصاحت الماشطةُ بابنةِ فرعونَ: كلا.. بل اللهُ.. ربي.. وربُّكِ.. وربُّ أبيكِ..

فتعجبتْ البنتُ أن يُعبدَ غيرُ أبيها..

ثم أخبرتْ أباها بذلِك.. فعجبَ أن يوجدَ في قصرِه مَن يعبدُ غيرَه..

فدعا بها.. وقال لها: مَن ربُّكِ؟ قالت: ربي وربُّك اللهُ..

فأمرها بالرجوع عن دينها.. وحبسَها.. وضَربها.. فلم ترجِعْ عن دينِها..

فأمرَ فرعونُ بقِدْرٍ من نحاسٍ فمُلِئَتْ بالزيت.. ثم أُحمِيَ.. حتى غلا..

وأَوقفَها أمام القدرِ.. فلما رأت العذابَ.. أيقنتْ أنما هي نفسٌ واحدةٌ تخرجُ وتلقى اللهَ تعالى.. فعلم فرعونُ أن أحبَّ الناسِ إليها أولادُها الخمسةُ.. الأيتامُ الذين تكدحُ لهم وتُطعِمُهم.. فأرادَ أن يزيدَ في عذابِها فأحضرَ الأطفالَ الخمسةَ.. تدورُ أعينُهم.. ولا يدرون إلى أين يساقون..

فلما رأوا أُمَّهم تعلّقُوا بها يبكون.. فانكبَّتْ عليهم تُقبلُهم وتشمُّهُم وتبكي.. وأخذتْ أصغرَهم وضمَّتْهُ إلى صدرِها.. وألقمتهُ ثديَها..

فلما رأى فرعونُ هذا المنظرَ.. أمرَ بأكبرِهم.. فجرَّهُ الجنودُ ودفعوهُ إلى الزيتِ المغلي، والغلامُ يصيحُ بأمِّه ويستغيثُ.. ويسترحمُ الجنودَ.. ويتوسلُ إلى فرعونَ.. ويحاولُ الفكاكَ والهربَ..

وينادي إخوتَه الصغارَ.. ويضربُ الجنودَ بيديهِ الصغيرتين.. وهم يصفعونه ويدفعونه..

وأمُّهُ تنظرُ إليه.. وتودِّعُه..

فما هي إلا لحظاتٌ.. حتى أُلقيَ الصغيرُ في الزيتِ.. والأمُّ تبكي وتنظرُ.. وإخوتُه يُغَطُّون أعينَهم بأيدِيهم الصغيرةِ.. حتى إذا ذابَ لحمُه من على جسمِه النحيلِ.. وطفحتْ عظامُه بيضاءُ فوقَ الزيتِ.. نظرَ إليها فرعونُ وأمرَها بالكفرِ باللهِ.. فأبت عليه ذلك..

فَغَضِبَ فرعونُ.. وأمرَ بولدِها الثاني.. فسُحِب من عندِ أمِّه وهو يبكي ويستغيثُ.. فما هي إلا لحظاتٌ حتى أُلقِيَ في الزيتِ.. وهي تنظرُ إليهِ.. حتى طفحتْ عظامُه بيضاءُ واختلطت بعظامِ أخيهِ.. والأمُّ ثابتةٌ على دينِها.. موقنةٌ بلقاءِ ربِها.

ثم أمرَ فرعونُ بالولدِ الثالثِ فَسُحِبَ وقُرِّبَ إلى القدرِ المغلي، ثم حُمِلَ وأُلْقِيَ في الزيتِ..

وفُعِلَ به ما فُعِلَ بأخَوَيه..

والأمُّ ثابتةٌ على دينِها.. فأمرَ فرعونُ أن يُطْرَحَ الرابعُ في الزيتِ..

فأقبل الجنودُ إليه.. وكان صغيراً قد تعلَّقَ بثوبِ أمِّهِ.. فلما جذبَهُ الجنودُ.. بكى وانطرَحَ على قدمي أمِّه.. ودموعُه تجري على رجلَيها.. وهي تحاولُ أنْ تحمِلَهُ مع أخيه..

تحاولُ أن تودِّعَه وتقبِّلَه وتشمَّه قبل أن يفارقَها.. فحالوا بينه وبينها.. وحملوه بيديه الصغيرتين.. وهو يبكي ويستغيثُ.. ويتوسلُ بكلماتٍ غيرِ مفهومةٍ.. وهم لا يرحمونه..

وما هي إلا لحظاتٌ حتى غَرِقَ في الزيتِ المغلي.. وغابَ الجسدُ.. وانقطعَ الصوتُ.. وشمَّتْ الأمُّ رائحةَ اللحمِ.. وعلتْ عِظامُه الصغيرةُ بيضاء فوقَ

الزيتِ يفورُ بها.. تنظرُ الأمُّ إلىٰ عِظامِه.. وقد رَحَل عنها إلىٰ دارٍ أخرىٰ..

وهي تبكي.. وتتقطعُ لفراقِه.. طالما ضمَّتْهُ إلىٰ صدرِها.. وأرضعتْهُ مِن ثديها.. طالما سَهِرَتْ لسهرِه.. وبكت لبكائِه..

كم ليلةٍ باتَ في حجرِها.. ولَعِبَ بشعرِها.. كم قربت منه ألعابَه.. وألبسته ثيابَه..

فجاهدتْ نفسَها أن تتجلَّد وتتماسَكَ.. فالتفتوا إليها.. وتدافعوا عليها..

وانتزعوا الخامسَ الرضيعَ من بينَ يديها.. وكان قد التقمَ ثديَها..

فلما انتزعَ منها.. صرخَ الصغيرُ.. وبكتْ المسكينةُ.. فلما رأىٰ اللهُ تعالىٰ ذلَّها وانكسارَها وفجيعتَها بولدِها.. أنطقَ الصبيُّ في مهدِه وقال لها:

يا أماه اصبري فإنّك على الحقِّ.. ثم انقطعَ صوتُه عنها.. وغُيِّبَ في القدرِ مع إخوتِه.. أُلقِيَ في الزيتِ.. وفي فمه بقايا من حليبِها..

وفي يده شعرةٌ من شعرِها.. وعلىٰ أثوابِه بقيةٌ من دمعِها..

وذهبَ الأولادُ الخمسةُ.. وها هي عظامُهم يلوحُ بها القِدْرُ..

ولحمُهم يفورُ بِه الزيتُ.. تنظرُ المسكينةُ.. إلىٰ هذه العظامِ الصغيرةِ..

عظامُ مَنْ؟ إنهم أولادُها.. الذين طَالَمَا ملأُوا عليها البيتَ ضحكاً وسُروراً.. إنهم فَلَذَاتُ كبِدِها.. وعصارةُ قلبِها.. الذين لما فارقوها.. كأن قلبَها أُخْرِجَ من صدرِها.

طالما رَكَضُوا إليها.. وارتمَوا بينَ يديها.. وضمتْهُم إلىٰ صدرِها.. وألبستْهُم ثيابَهم بيدِها.. ومسحتْ دموعَهم بأصابِعها.. ثم ها هم يُنْتَزَعُون من بينِ يدَيْها.. ويُقْتَلُون أمامَ ناظِريها..

وتركوها وحيدةً ابعدوهم عنها.. وعن قريبٍ ستكونُ معهم..

كانت تستطيعُ أن تحولَ بينَهم وبينَ هذا العذابِ.. بكلمةِ كفرٍ.

تُسْمِعُها لفرعونَ.. لكنَّها علمتْ أنَّ ما عندَ اللهِ خيرٌ وأبقىٰ..

ثم.. لما لم يبقَ إلا هي.. أقبلوا إليها كالكلابِ الضاريةِ.. ودفعوها إلىٰ القِدْرِ.. فلما حملوها لِيقذفُوها في الزيتِ.. نظرتْ إلىٰ عظامِ أولادِها.. فتذكَّرتْ

اجتماعَها معهم في الحياةِ.. فالتفتتْ إلى فرعونَ وقالت: لي إليكَ حاجةٌ.. فصاحَ بها وقال: ما حاجتُكِ؟

فقالت: أن تجمعَ عظامِي وعظامَ أولادِي فتدفنَها في قبرٍ واحد.. ثم أغمضت عينيها..

وأُلْقِيَتْ في القِدْرِ.. واحترقَ جسدُها.. وطفت عِظامُها..

فلله درُّ هذِه المرأةِ ما أعظمَ ثباتَها.. وأكثرَ ثوابَها..

ولقد رأى النبيُّ ﷺ ليلةَ الإسراءِ شيئاً من نعيمِها.. فحدَّثَ بِه أصحابَه وقالَ لهم فيما رواه البيهقي: ((لَمَّا أُسرِيَ بي مَرَّتْ بي رائحةٌ طيبةٌ.. فقُلتُ: ما هذِه الرائحةُ؟ فقيل لي: هذه ماشطةُ فرعونَ وأولادُها..)).

الله أكبرُ تَعِبَتْ قليلاً.. لكنها استراحتْ كثيراً..

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ۝١٦٩ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ۝١٧٠ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ۝١٧١ الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَاتَّقَواْ أَجْرٌ عَظِيمٌ۝١٧٢﴾.

مضتْ هذِه المرأةُ المؤمنةُ إلى خالِقها.. وجاورت ربَّها..

ويُرجى أن تكونَ اليومُ في جناتٍ ونهرٍ.. ومقعدِ صدقٍ عند مليكٍ مقتدرٍ.. وهي اليومَ أحسنُ منها في الدنيا حالاً.. وأكثرُ نعيماً وجَمالاً..

عبادَ الله: أكثِروا في هذا اليومِ من الصلاةِ على نبيِّكم الكريمِ القائلِ: ((أكثروا عليَّ من الصلاةِ في يومِ الجمعةِ فإنه يومٌ تُضاعفُ فيه الأعمالُ)) والقائلِ: ((مَنْ صلَّى عليَّ صلاةً واحدة صلى الله عليه بها عشرَ صلواتٍ، ومحى عنه بها عشرَ سيئاتٍ، وكتبَ له بها عشرَ حسناتٍ، واستبقَ ملكاه الموكلانِ به أيُّهما يبلِّغُ روحي منه السلام)).

اللهم فصلِّ وسلمْ وباركْ وترحمْ على عبدِك ورسولِك محمدِ بنِ عبدِ اللهِ، وصلِّ اللهمَّ على أخيهِ ووصيِّهِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وعلى زوجتِه سيدةِ النساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وعلى ولدَيها الإمامينِ قاما أو قعدا أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ، وصلِّ اللهمَّ على الإمامِ الولي ابنِ الولي أميرِ المؤمنين زيد بنِ علي، وعلى الإمامِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بن إبراهيمَ، وعلى مَنْ بينَنا وبينَهم من أئمةِ الهُدى والدينِ دعاةً منهم ومقتصدين، وعلى مَنْ يستحقُّ الصلاةَ من المخلوقين، وارضَ اللهمَّ عن الصحابةِ الأخيارِ من الأنصارِ والمهاجرينَ والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، وارضَ عنا معهم بفضلِك ومَنِّك يا ربَّ العالمين، اللهم إنا نشكو إليكَ ذنوباً انهكتْنا ونفوساً اهلكتْنا، اللهم حُطَّ عنا ثِقْلَنا، واغفر زلتَنا، واقبلْ توبَتنا واجعلنا من عُتَقَائِك وطُلَقائِكَ في هذا اليومِ المباركِ من النارِ، واعصمنا من اقترافِ الخطايا والذنوبِ، اللهم اجعلنا مِنْ أسعدِ مَن تعبدَ لك في هذا اليومِ ووفقْنا فيه لطاعتِك وارزقنا حُسنَ مصاحبتِه بكفِّ الجوارحِ عن معاصيكَ واستعمالِها فيما يُرضيكَ، اللهم أوزعنا فيه شكرَ نعمتِك، وأنزلْ علينا فيه رحمتَك، وعَرِّفْنا قدرَه وفضلَه يا أرحمَ الراحمين، اللهم انصرِ الإسلامَ والمسلمين، وأذلَّ الشركَ والمشركين، وأَهْلِكِ الكفرةَ والمُلحدين والمفرقينَ بين المسلمينَ والمتقطعينَ في سبيلِكَ والمحاربين لدينِك والمعادين لأوليائِك أينما كان كائنُهم يا ربَّ العالمين، اللهم واكفنا شرَّهم وضُرَّهم وأذاهم كيف شئتَ وأنَّى شئتَ، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فاذكروا الله العظيمَ الجليل يذكرْكُم واشكروه على نِعَمِه يزدْكم ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

[٨]- مع المتقين

الخطبة الأولى

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي هدانا للإسلامِ، وأكرمَنا بالإيمانِ، وأعزَّنا بالقرآنِ، الحمدُ للهِ الذي بصَّرَنا بالدينِ وشرفنا باليقينِ.

ونشهدُ ألَّا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لَهُ، المتفردُ بصفاتِ الكمالِ، العدلُ الحكيمُ ذو الجلالِ، المنـزَّهُ عن القبيحِ في الأقوالِ والأفعالِ، المتعالي عن صفاتِ الجورِ والنقصان.

ونشهدُ أن سيدَنا ورسولَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهِ وعلى آلهِ الطاهرينَ الأبرارِ، الطيبين الأخيارِ.

وبعدُ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

عبادَ الله: أوصيكم ونفسي أوَّلاً بتقوى الله ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللَّهَ﴾.

واعلموا رَحِمني اللهُ وإياكم، بأنَّ التقوى من الإيمانِ بمنـزلةِ الروحِ من الجسدِ، ولا خيرَ في إيمانٍ بلا تقوى، فالتقوى هي لبُّ الدينِ ولبابُه ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴿٢٧﴾﴾ والذين بنوا إيمانَهم على غيرِ تقوى من اللهِ ﴿أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَاب﴾.

ألَا وإنَ الذين قصدوا بأعمالِهم السُّمعةَ ورياءَ الناس ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾.

أَلَا ومَن قَصَدَ بعمله عَرَضاً من الدنيا وزينتها ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هِـذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

ألا وَمَنْ قَصَدَ بعملِه وجهَ الله ورضوانَه يرجو رحمتَه ويتقي به عقابَه فـ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِى أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِى كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

إنّ المتقين مع اللهِ واللهُ معهم ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾.

المتقون هم أولياءُ اللهِ وهو وليُّهم: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

المتقون هم أحبابُ الله يحبُّهم ويحبونه: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

عبادَ الله: إن المتقينَ هم الذين يَقُونَ أنفسَهم وأهليهم عذابَ القبرِ والنارِ، يتخِذون الطاعاتِ وجميعَ القرباتِ جلابيبَ تقيهم حرَّ نارِ السعيرِ، فتراهم مسارعين في أعمالِ البِّر ليتخذوا منها سرابيلَ تقيهم بردَ الزمهريرِ، تراهم مسابقينَ في الخيراتِ وهم لها عاملون، يتخذونَ منها دُروعاً واقيةً من نارِ السمومِ، فهم كما وصفَهم اللهُ تعالىٰ بقولِه عزَّ من قائلٍ: ﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ۞ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ۞ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

إن المتقين مَنْ عَرَفُوا الحرامَ فاجتنبُوه، وعرفوا المنكرَ فتركوه، إن المتقي هو مَن يعيشُ على حذرٍ، يجتنبُ المنكرَ، همُّه رضى ربِّه، لا يُطعِم نفسَه وأهلَه إلّا ما

تيقّن أنه حلالٌ طيبٌ، ولا يتكلمُ إلا بما ظنَّه صدقاً لا كذباً ولا لغوَ فيه، ولا يسمعُ إلا ما ظنَّه مباحاً لا شبهةَ فيه، تراه وقّافاً عند الشبهاتِ، يتركُ الحلالَ خوفاً من الدخولِ في الباطلِ، عرف بأنَّ للهِ حمىً، وأنَّ حِمى اللهِ محارمُه، وإنَّ مَن يرعى حولَ الحمى يُوْشَكُ أن يقعَ فيه، فيدعُ ما يحلُّ خوفاً من الوقوعِ في ما يحرمُ، كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنْ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ)). ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

عبادَ الله: إن من اجتنبَ الأسبابَ الموصلةَ إلى غضبِ اللهِ فهو (المتقي) حقاً، ومَن خاضَ في الباطلِ وانغمسَ في المحرماتِ، وتلطخَ بالمنكراتِ فهو: غير مُتَّقٍ للهِ بل هو مِن العصاةِ الفسقةِ خارجٌ عن جماعةِ المؤمنين، فعن ابنِ عباسٍ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: ((لا يزني الزاني حينَ يزني وهو مؤمنٌ، ولا يسرقُ السارقُ حين يسرقُ وهو مؤمنٌ، ولا يشربُ الخمرَ حين يشربُها وهو مؤمنٌ)).

فقاطعُ الصلاةِ فاسقٌ غيرُ متقٍ للهِ ولا يُسمى مؤمناً، وكذا من أَفطرَ شهرَ رمضانَ بغيرِ عذرٍ فهو غيرُ متقٍ للهِ، وكذا النمامُ والمغتابُ وشاهدُ الزورِ وقاطعُ الطريقِ والقاتلُ والمغني غيرُ متقٍ للهِ، وكلُّ عاصٍ للهِ ورسولِه فهو غيرُ متقٍ للهِ وغيرُ مؤمنٍ بدليلِ قولِه تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّه وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾، ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

عبادَ الله: إن أعمالَنا موقوفةٌ محبوسةٌ لا يصعدُ إلى اللهِ منها شيءٌ، مالم يكنْ صاحبُها مؤمناً تقياً، وكلُّ عملٍ مردودٌ على صاحبِه لا يقبلُ اللهُ منه شيئاً إلا بالتقوى وذلك قولُ اللهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّه مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ إنَّ اللهَ قد حَصَرَ وقَصَرَ، وحَذَّرَ وأَنْذَرَ، وبيَّنَ وأخبرَ في محُكَمِ كتابِه بأنه لا يتقبلُ أيَّ عملٍ منكم إلا إذا كان صاحبُه من المتقين.

إنما يتقبلُ اللهُ من المتقين.

إن الصدقةَ لا تُقْبَلُ إلا من المتقين.

إن الدعاءَ لا يُقْبَلُ إلا من المتقين.

إن الاستغفارَ مرهونٌ بالتقوى.

إن جميعَ الأعمالِ من صلاةٍ وصومٍ وحجٍ وزكاةٍ كلِّها مرهونةٌ بالتقوى.

قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التُّقى ... تقلَّبَ عرياناً وإن كان كاسيا

لم أرَ أحداً يخدعُ نفسَه ويُهملُها ويُوردُها المهالكَ إلا ابنَ آدم؛ يعملُ لدنياه وينسي آخرتَه، يَستعدُّ لبردِ الشتاءِ القارسِ، وينفقُ الأموالَ الطائلةَ لشراءِ الأدفيةِ ليقيَ أهلَه ومزروعاتِه شرَّ البردِ والضَرَبِ.

وينسى أو يتناسى أن يقيَهم بردَ وزمهريرَ جهنمَ والعياذُ باللهِ، تراه في أيامِ الصيفِ يسعى جاهِدَاً لإعدادِ الظِّلالِ والماءِ الباردِ الزلالِ، والمثلجاتِ والمكيفاتِ لتكونَ له وقايةٌ من حرِّ وقيظِ أيامِ الصيفِ، ويتغافلُ أن يقيَ نفسَه وأهلَه حرَّ نارِ جهنمَ ولظاهَا، امتثالاً لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

أليسَ مِن الأفضلِ لِمَن يدعي بأنه للهِ متقي، بأن يبذلَ من جهدِ نفسِه وتعبِها، وينفقَ من مالِه، ما يتقي به اليومَ الآخر، ولو عُشرَ ما ينفقُه في اتقاءِ شرِّ نوائبِ هذه الدنيا، كما قالَ تعالىٰ: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾.

فإنَّ العاقلَ اللبيبَ يعلمُ بأنَّ الدنيا مزرعةُ الآخرةِ فإذا أحسَّ بحرِّ الشمسِ تذكرَ حرَّ النارِ، فأوى إلىٰ بيتٍ من بيوتِ اللهِ يقي نفسَه من حرِّ الشمسِ بالظِّلالِ، ومن حرِّ النارِ بتلاوةِ القرآنِ، والصلاةِ والاستغفارِ.

وإذا أحسَّ ببردِ الشتاءِ هَبَّ إلى السوقِ ليشتريَ الثيابَ والأدفيةَ، ليقيَ أهلَه البردَ والصقيعَ، فليتذكرْ يومَ القيامةِ وبردَ الزمهريرِ في النارِ وكما أنه قد دفع مبلغاً من المالِ ليقي به نفسَه وأهلَه البردَ في الدنيا، فلينفق مثلَه للفقراءِ والمحتاجينَ ليقوا به أنفسَهم بردِ الشتاءِ، لعلَّ اللهَ أن يقيَه بها بردَ الزمهريرِ يومَ القيامةِ، واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: ((مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ سَتَرَهُ الله فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُسْلِمٍ يَسَّرَ الله عَلَيْهِ)).

وكلما أحسَّ بالجوعِ والظمأِ، أشبعَ نفسَه وسقاها، وتذكرَ جوعَ يومِ العرضِ في عَرَصَاتِ القيامةِ، في يومٍ كان مقدارُه خمسينَ ألفَ سنةٍ، لا يذوقُ الإنسانُ فيها أكلةً ولا شربةً، فيعمدُ إلى الفقيرِ والمحتاجِ فيشبعُه من فضلَةِ مالِه، ليقيَهُ اللهُ جوعَ يومِ القيامةِ، ويسقيَهُ مِن حوضِ نبيِّنا محمدٍ ﷺ شربةً لا يظمأُ بعدَها أبداً، ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً۝ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً۝ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾.

إنَّ مَنْ استوحشَ من الظُّلْمَةِ حقيقٌ بأن يقيَ نفسَه ظُلُماتِ اللحدِ، ووحشةَ القبرِ، وضيقَ المضجعِ، فيعملُ من العملِ ما يكونُ له في لحدِه نوراً، ولوحدتِه في قبرِه أنيساً، وله في ضيقِ مضجعِه مفسحاً، ولن يخيبَ اللهُ مسعى من سَعَى، ولن يَتِرَكُم أعمالَكم إن الله لا يضيعُ عملَ عاملٍ منكم من ذكرٍ أو أنثى بعضُكم من بعضٍ.

عبادَ الله: هذه هي حقيقةُ التقوى وهذا هو التزودُ الذي نصَّ عليه اللهُ بقولِه: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

تــزَوَّدْ مِـــن حياتِــك للمــماتِ	ولا تغــــترَّ في طــــولِ الحيـــاةِ
أترقـــدُ والمنايـــا طارقـــاتٌ	كأنــك قــد أَمِنْــتَ مــن البَيَــاتِ
أتضــحكُ أيهــا العــاصي وتلهــو	ونــــارُ اللهِ تُســـعرُ للعصــــاتِ
أتضحكُ يا سـفيهُ ولسـتَ تـدري	بـــأيِّ بشـــارةٍ يأتيـــك آتِ
فيــا قلبــي فلــم تــزدد رجوعــا	وتعـرض عـن عظـات ذوي العظـاتِ

أقولُ ما تسمعون وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.



الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ الذي بنعمتِه تتمُّ الصالحاتُ، ربِّ السماواتِ والأرضِ، وربِّ البرياتِ، العالمِ بما يكونُ وما لا يكونُ، وكلُّ شيءٍ عنده بمقدارٍ.

ونشهد ألا إله إلا اللهُ، الملكُ القهارُ، العظيمُ الجبارُ، الذي لا تراه العيونُ، ولا تُحيطُ به الظنون.

ونشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، الخاتمُ لما سبقَ من الرسالاتِ، والفاتحُ لما انغلقَ من البيناتِ صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، من يومِنا هذا إلى يومِ الدين.

وبعدُ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

واعلموا **عبادَ الله**: أن بين التقوى وبين الوقايةِ تشابُهاً، وكما يقالُ الوقايةُ خيرٌ من العلاجِ، فكذا التقوىٰ خيرٌ من التوبةِ. لأن المرضَ لا يهاجمُ إلا الأجسادَ الخاليةَ من الوقايةِ، وكذا الذنوبُ والآثامُ فإنه لا يقترفُها إلا مَن كان قلبُه خالٍ من الإيمانِ والتقوى.

عبادَ الله: نرى في هذا الزمنِ كثيراً من الناسِ يسعون لوقايةِ أبنائِهم وفلذاتِ أكبادِهم من خطَرِ الأمراضِ، بالتحصينِ والتلقيحِ والتطعيمِ، لكي يأمنوا على صحتِهم وسلامتِهم في مستقبلِ حياتِهم.

وهنا يتساءلُ المرءُ في عجبٍ من أمرِ قومٍ يخافون على أبنائِهم المرضَ المقدّرَ، فيسعون جاهدين لوقايتِهم وتحصينِهم، بينما يتناسون وقايتَهم من يوم تشخصُ فيه الأبصارُ أَمَرَنا اللهُ باتقائِه، وتحصينِ أنفسِنا من أهوالِه حيثُ قالَ عزَّ مِن قائلٍ:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾.

نخافُ عليهم من مرضٍ موهومٍ، فحصَّنَّاهم منه، وأمِنَّا عليهم من مُدْلَهِمَّاتِ لظى بِحَرِّها وأليمِ عذابِها، فلم نقِهِم شرَّها ولهبَ حرِّها.

ونبذنا أمرَ اللهِ تعالىٰ وراءَنا ظِهْرِياً حين قال: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾ نخاف علىٰ أبنائنا الجوعَ والظمأَ، ولا نخاف عليهم الضلالَ والعمىٰ. والله يقول: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾.

عبدَ الله: إن التقوىٰ لا يصدقُ إثباتها إلا بصدقِ الخوفِ من اللهِ، ولذا قال المصطفىٰ ﷺ: ((رأسُ التقوىٰ مخافةُ الله)) والخوفُ الحقُّ لا يكونُ إلا بمعرفةِ اللهِ، ومعرفةِ شدةِ بطشِه وانتقامِه، وأنَّ أخذَه أليمٌ شديدٌ.

فمَنْ منَّا معشرَ الموحدين يُمْسِي خائفاً ويُصبحُ خائفاً، يتذكرُ النارَ في اليومِ ولو مرةً، بل ولو في الأسبوعِ مرةً، بل ولو في الشهرِ، ويراقبُ اللهَ في حركاتِه وسكناتِه كما قالَ تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّه الَّذِى تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّه كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

عبادَ الله: إن التقوىٰ تنبعُ من قلبَينِ: قلبٌ ملأَ الخوفُ جوانبَه، وملكَ عليه جوانِحَه، يذكرُ اليومَ الآخرَ في كلِّ حينٍ، فكلما همَّ بمعصيةٍ ذكرَ النارَ فارتدعَ، فهو كما قالَ اللهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ وقلبٌ قد مَلِكَ الطمعُ لُبَّه، وطارَ شوقاً إلىٰ الجنةِ والنعيمِ فأمدَّه بالطاقةِ والنشاطِ، فَهَبَّ لذكرِه وطاعتِه طمعاً في الثوابِ والنعيمِ.

فأينَ نحنُ من هذه القلوبِ؟ هناك قومٌ يسعونَ للطاعةِ والعبادةِ بأجسادِهم، وقلوبُهم غافلةٌ، فلا مِن نارٍ يخافون، ولا في جنةٍ يطمعون، أصبحت صلاتُهم وصيامُهم وجميعُ عباداتِهم مجرَّدَ عاداتٍ وَرِثُوها عن آبائِهم، إذا صلَّىٰ صلَّىٰ بجوارِحِه وقلبُه في الغفلةِ والوسواسِ، وإن صامَ فَمِن الطعامِ والشرابِ ولسانُه في الأَعْرَاضِ، وعينُه في الحرامِ وأذنُه في سماعِ الآثام.

يعملُ المعصيةَ ويضحكُ، ويهتزُّ طَرَباً وفخراً لأنه حَظِيَ من عاهرةٍ فاجرةٍ بحرامٍ. يزهو فَخُوراً لأنه يشربُ المسكراتِ. يهتزُّ طرباً لأنه استحكمَ بالباطلِ على مُلْكِ الغيرِ، يمشي مَرحاً لأنه لم يَصُمْ في رمضانَ، ولم يُؤدِّ الزكاةَ!!!

أين هذا من الإيمانِ والتقوى والخوفِ من اللهِ؟ أبعد الله من أبعد، إن البحثَ عن التقوى -يا عبادَ الله- هو الجهادُ الأكبرُ، الذي يبني النفوسَ ويُرسِخُ أعلامَ الهُدى، فكيفَ يكونُ مؤمِناً من أحبَّ مالاً أو زوجاً أو ولداً أكثر من حبِّه للهِ؟!! ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾.

وكيف يكون مؤمناً من لم يخالط قلبَه وجلٌ ولا خوفٌ من اللهِ وإنما يخافُ فوتَ منفعةٍ أو وقوعَ ضررٍ؟!! ألم يقرأ قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ ﴿وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

عبد الله: إنه لا بُدَّ من عملٍ يقومُ به المرءُ داخلَ نفسِه حتى تصلحَ، عملٍ مرهقٍ جادٍّ يكسرُ الرغبةَ الجامحةَ والشهوةَ، ويخضعُ الإنسانُ لوصايا الرحمنِ.

﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى۝وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا۝فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۝وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾.

إذا لم تمح الصلاةُ الحسدَ والحقدَ من نفسِك فلا صلاةَ لك، إن السجودَ الحقيقيَّ ليس مجردَ انطواءِ الجسمِ أمامَ اللهِ فحسبْ. بل هو انقيادُ القلبِ لهدايتِه ووصاياه.

إذا لم تغير العبادةُ من خُلُقِ المؤمنِ وسجاياه وتصلحْ نفسَه وتُقِمْ اعوجاجَه فلا خيرَ فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.

عبادَ الله: هناك مَن يجهلُ أنه مريضٌ ويقاومُ مَنْ يطلبون له الشفاءَ، بل قد يزعُمُ أنه الطبيبُ الخبيرُ بكلِّ شيءٍ، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا۝١٠﴾.

كثيرٌ هم الذي يتملَّقون الناسَ بألسنتِهم، ويسعونهم بأخلاقِهم، ويعاملون الناسَ بلطفٍ وهدوءٍ. ولكن ما العملُ إذا كان هذا الشخصُ لا يذكرُ لله عهداً ولا يشكرُ له نعمةً ولا يدينُ له بولاءٍ.

فهل يُعَدُّ هذا الشخصُ فاضلاً مُتَّقياً لأنه أحسن معاملتي على حين ساء معاملته مع ربه؟

إن الإنسانَ الخيِّرَ لا ينقسمُ على نفسِه فيكون طيِّباً هُنا وخبيثاً هُناك؛ بل لا بُدَّ أن تسودَ حياتُه صفةً واحدةً وصيغةً واحدةً ثابتة. إنها سفالةٌ بعيدةٌ أن يكفرَ أمرؤٌ بربِّه ويعلنَ حربَه ثم ينتظرَ من الناس التقديرَ والاحترامَ لأنه ابتسمَ لهم بعد ما تَجَهَّمَ سيدَه ومولاه.

عبادَ الله: إنكم في يومٍ عظيمٍ ويومِ عيدٍ كريمٍ شَرَّفَه اللهُ وكرمَه على سائرِ الليالي والأيامِ. فأكثروا فيه من الصلاةِ والسلامِ على نبيِّكم خيرِ الأنامِ امتثالاً لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهم فصلِّ وسلمْ وبارك وترحم على عبدِك ونبيِّك وخيرتِك من خلقِك أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِاللهِ بنِ عبدِالمطلبِ بنِ هاشمٍ.

وصلِّ اللهم وسلم على أخيه وابنِ عمهِ وبابِ مدينةِ علمهِ أشجعِ طاعنٍ وضاربٍ علي بنِ أبي طالبٍ، وعلى زوجتِه الحوراءِ خامسةِ أهلِ الكساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراء.

وصَلِّ اللهم وسلم على ولديهما الإمامين الأعظمين أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ، وصل اللهم وسلم على الولي ابنِ الولي الإمامِ زيدِ بنِ علي.

وصل اللهم وسلم على الإمام الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بن القاسمِ بن إبراهيمَ، وصل اللهم وسلم على سائرِ أهلِ بيتِ نبيئك المطهرين دعاةً منهم ومقتصدين، وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من الأنصارِ والمهاجرين وعنَّا معهم بفضلِكَ ومَنِّكَ يا كريمُ.

اللهم لا تردَّنا من هذا المقامِ خائبينَ ولا من بابِ دعوتِكَ مطرودين ولا بالسيئةِ معاقبين.

اللهم ارزقنا التقوى واليقينَ واجعلنا من عبادِكَ المتقينَ الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

اللهم انصر الإسلامَ والمسلمين، وأذلَّ الشركَ والمشركين، ودمرْ أعداءَك أعداءَ الدينِ، واجعلهم غنيمةً للمسلمين، واكفنا شرَّ كلِّ دابةٍ أنت آخذٌ بناصيتِها، إنك قريبٌ مجيبٌ، وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكركم، واشكروه على نعمِه يزدْكم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.



[٩]- التفكر

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للهِ خالق الخلقِ من العدمِ ومنشئِ السحاب الثقال، يسبحُ الرعدُ بحمدِه والملائكةُ من خيفتِه، ويرسلُ الصواعقَ فيصيبُ بها مَن يشاءُ وهم يجادلون في اللهِ وهو شديدُ المحال، نحمدُه حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لا انقطاعَ له ولا زوال.

ونشهدُ أَلّا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له ولا كفؤَ ولا شبيهَ ولا ندَّ ولا مثال، الواحدُ الأحدُ الفردُ الصمدُ الحيُّ القيومُ، العظيمُ الحليمُ الكبيرُ المتعال.

ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه، الخاتمُ لما سبق، والفاتحُ لما انغلق، والمعلنُ الحقَّ بالحقِّ، معلمُ البشريةِ ومربي الرجال صلى الله عليه وعلى آله خيرِ آلِ.

أما بعد:

عبادَ الله: إن من نظر في بديعِ خلقِ السماواتِ والأرضِ، وتأملَ في ملكوتِ السماواتِ، ليحقُّ له أن يُكبِّرَ اللهَ تعالى على ما أبدعَ فيها من حسنِ الْخَلْقِ وبديعِ التدبيرِ، وجديرٌ بِمَنْ أَمْعَنَ النظرَ والتفكرَ في خلقِ السمواتِ والأرضِ وما بينهما أن يصدعَ بملءِ فِيه ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ فكلُّ ما حواه الكونُ وكلُّ ما تحويه الأفلاكُ كائناً أينما يكون، في الماء أو في الهواءِ أو كان تحتَ الثرى أو طارَ في السماءِ، كلُّ ذلك لغايةٍ وحكمةٍ يعلمُها اللهُ، ليس في الكونِ شيءٌ إلا وللهِ من ورائه حكمة، لا مكانَ للعبثِ ولا موضعَ للفوضى واللعبِ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

تأمل في الوجود بعين فكرٍ ترى الدنيا الدنيئةَ كالخيالِ
ومن فيها جميعاً سوف يفنى ويبقى وجهُ ربِّك ذو الجلال

إن للهِ من وراءِ هذا الكونِ الواسعِ، والفلكِ الساري حكمةً، ليس هناك من ذرةِ رملٍ أو عودِ شجرةٍ إلا وفيه مصلحةٌ، اختصَّ اللهُ بعلمِها، وغايةٌ أرادها اللهُ من ورائِها، وهذه المخلوقاتُ كلُّها وجدت من أجلِك أنت يا ابن آدم، كلُّ ما في الكونِ وُجِدَ من أجلِ هذا الإنسانِ، وسخرها اللهُ لخدمتِه ومصلحتِه، وهو لا يعلمُ، جعلَ اللهُ الشمسَ سراجاً وهّاجاً ليستضيءَ ابن آدم بنورِها، ويستدفئَ بشعاعِها، ويسعى تحت بريقِ ضوئِها، ليتكسبَ على نفسِه وأهلِه طوالَ يومِه، بلا دخوليةٍ ولا فواتيرَ شهرية، بل نعمةٌ مجانيةٌ، ورحمةٌ إلهيةٌ، ومنّةٌ ربانيةٌ، فما أجلَّها من نعمةٍ، وما أعظمَها من مِنَّةٍ.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾.

والشمسُ إن خفيتْ على ذي مُقلَةٍ وسطَ النهارِ فذاك محصولُ العماء
هي ذلك النجمُ الذي لشعاعِه نفعٌ يفوقُ نجومَ أطباقِ السماء

ومن رحمةِ اللهِ أن جعلَ لنا القمرَ نوراً يضيءُ لنا عتمة الليلِ المظلمةِ، ويعينُ المسافرَ في الليلِ على سيرِه، وبه نعلمُ مواقيتَ الأيامِ والشهورِ، وأوقاتَ الصومِ والحجِّ، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللَّه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّه ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ومن رحمةِ اللهِ أن جعلَ النجومَ الزاهرةَ للسماءِ زينةً، وحِفْظاً من الشياطينِ ورُجُوماً للمردةِ، وعوناً لنا على معرفةِ أوقاتِ الزراعةِ والحصادِ، كما قال تعالى: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ ودليلاً هادياً لمن

ضلَّ في الصحاري وبين لُجج البحارِ، وعوناً للمسافرين في طريقهم كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

عبادَ الله: انظروا في ملكوتِ السمواتِ والأرضِ وتأملوا في عظيمِ صنعِ اللهِ وبديعِ مُلْكِهِ، تأملوا تلك النعمَ الجسيمةَ التي منحها اللهُ إلينا، وتفضَّلَ بها علينا ما أكثرَها وما أقلَّ الشاكرين عليها ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

سبحانَ من ذَلَّتْ له الأشرافُ ... أكرمُ مَن يُرجى ومن يُخافُ

تباركَ اللهُ وجلَّ اللهُ ... أشرفُ ما فاهت به الأفواهُ

تأمل في الماءِ، هذه النعمةِ الجليلةِ التي لولاها لهلكَ الإنسانُ، وذهبت البهائمُ ويبست المزارعُ وانعدمت الحياةُ، مَنْ غيرُ الله أمدَّنا بها، وأنعم علينا بها؟ ألا يستحقُّ اللهُ الشكرَ لأجلِها؟ وهو الذي يقول جل وعلا: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِى تَشْرَبُونَ۝٦٨ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ۝٦٩ لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ لو شاءَ الله لحوّلَ هذا الماءَ العذبَ الزلالَ إلى ماءٍ مالحٍ أجاجٍ لا تقدرون على شُربِه، وتهلك بهائمُكم وزرعُكم من ملوحتِه، جزاءَ نكرانِ النعمة والنسيان لشكر الله عليها، ولو شاءَ الله لغارَ بهذا الماءِ إلى تخوم الأرضِ فتعجزون عن لحاقه وطلبِه ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ﴾ مَن غيرُ اللهِ يجلبُ لكم الماءَ العذبَ؟

عبادَ الله: إن ما نراه اليومَ من شحةِ الماءِ، ونضوبِ الآبارِ وجفافِ العيونِ، لهو أكبرُ شاهدٍ على غفلةِ الناسِ عن شكرِ اللهِ، واستخفافِهم بنعمتِه وتقصيرِهم في حقِّه تعالى القائلِ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ الزرعُ مَنْ يرعاه؟ مَنْ يشقُّ له الأرضَ ويُجري فيه الحياةَ؟ مَن يُخرِج الثمارَ من أكمامِها؟ ومن يخلق الزهرَ من أغصانها؟ ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ۝٦٣ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ۝٦٤ لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾.

ما الذي عَمِل ابن آدم غيرَ رمي البذرِ في الترابِ؟ ولكن من شقَّ الأرضَ وفلقَ الحبةَ؟ ومَن أنزلَ الماءَ وساقَه إلى الأرضِ الجُرُز، فأحياها به؟ ومن أخرجَ منها الزرعَ والثمارَ؟! إنه اللهُ الرحيمُ المنانُ القائلُ في محكم كتابِه: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاء صَبّاً۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً۝٢٦ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً۝٢٧ وَعِنَباً وَقَضْباً۝٢٨ وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً۝٢٩ وَحَدَائِقَ غُلْباً۝٣٠ وَفَاكِهَةً وَأَبّاً۝٣١﴾ كل ذلك لمن؟! ومن أجلِ مَن؟! ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ۝٣٢﴾، سبحانَ اللهَ ما ألطفَه وما أكرَمه، وما أقسى قلبَ ابن آدم!! وما أجحدَه بنعمةِ ربِه!!

يبتغي الإنسانُ في الصيف شتاءً وإذا جاءَ الشتا أنكرهُ

فهو لا يرضى بهذا وبذا قُتِل الإنسان ما أكفرهُ!!

ألا يستحقُّ هذا الربُّ أن يُشكرَ فلا يُكفرَ، وأن يُطاعَ فلا يُعصى، وأن يُذْكرَ فلا يُنسى.

ومن رحمةِ اللهِ أن سخَّرَ لنا البهائمَ والأنعامَ وذلَّلَها لنا نأكلُ من لحومِها، ونركبُ من ظهورِها، ونحملُ عليها متاعنا، ونشربُ من ألبانها ﴿اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ۝٧٩ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَناً خَالِصاً سَآئِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾.

عبادَ الله: ألا نستحي من اللهِ وهو الذي سخرَ لنا ما في السماءِ والأرضِ، وخلقَ هذا الكونَ من أجلِنا، وأسبغَ علينا نعمَهُ ظاهرةً وباطنةً، وفضَّلنَا على كثيرٍ مِّمَّن خَلَقَ، ومَيَّزَه بالعقلِ والمنطقِ، أليس من الواجب أن نرجعَ إليه وأن نخطبَ ودَّه، ونشكرَ فضلَه، ما الذي أعطانا الشيطانُ وماذا خَلَقَ لنا ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ۝٢٠ أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاء وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.

باركَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ ونفعَني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، إنه تعالىٰ جوادٌ كريمٌ، مَلِكٌ برٌّ رؤوفٌ رحيمٌ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.



الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ العظيمِ الأعظمِ، العزيزِ الأكرمِ، خالقِ الخلقِ من العدمِ، الذي علَّمَ بالقلمِ، علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلمْ، نحمدُه حمداً كثيراً، ونشكرُه شكراً عظيماً على ما أنعم.

ونشهد ألّا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له شهادةَ معترفٍ خضعَ له خضوعَ مَنْ أنابَ واستسلم.

ونشهد أن محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه إلى كافَّةِ خلقهِ العربِ والعجمِ، بَلَّغَ الرسالةَ، وأدَّى الأمانةَ، ونصح للأمةِ، وجاهد في اللهِ، وأرشدَ وعلَّم، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً وبَارَكَ وترحَّم.

أما بعد:

عبادَ الله: ما أكثرَ نعمَ اللهِ المسداةَ إلينا، كيف لا واللهُ قد خلق لنا ما في الأرضِ جميعاً، مهّد لنا الأرضَ لنعيشَ عليها، وجعلَ فيها جبالاً أوتاداً، وماءً ثجاجاً، وبحراً أُجاجاً، وجهز الأرض بكلِّ ما يحتاجه هذا العبد فيها، من أنهارٍ وبحارٍ وأشجارٍ، وظِلالٍ ورياحٍ وهواءٍ، وجعل لها سقفاً محفوظاً، وزينَها بالنجومِ، وحفظَها أن تزولَ ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

عبادَ الله: الويلُ كلّ الويلِ لمن أكل نعمَ اللهِ وأطاعَ غيره، الويلُ لمن استعانَ بنعمةِ اللهِ على عصيانِه، هذا هو ملكُ اللهِ وهذه هي أرضُ اللهِ، فمن أرادَ غيرَ اللهِ فليطلبْ له رباً سِوى اللهِ، وليبحثْ له عن أرضٍ غيرِ أرضِ اللهِ.

إن الأدبَ مع اللهِ تعالى يُحتِّمُ على المسلم أن يُنَزِّهَ لسانَه أن يخوضَ في باطلٍ، وأن ينزه بصرَه أن ينظرَ عورَةً أو ينظر لُمحَرَّمٍ، وأن ينزه سمعَه أن يسترقَ سرّاً أو أن يستكشفَ خبئاً، كما أن على المسلمِ أنْ يفطمَ بطنَه عن الحرامِ ويقنعها بالطيبِ

الميسور، ثم عليه أن يصرفَ وقتَه في مرضاةِ ربِّه، وإيثارِ ما عنده من مثوبةٍ، وألا تستخفه نزواتُ النفسِ الخادعةِ، وعليه أن يشعرَ نفسَه رقابةَ اللهِ، أما إذا فَقَدَ ذلك الشعورَ فإِنَّهُ بذلك يكونُ قد أسقطَ صبغة الأدبِ عن وجهِه كما تسقط القشرةُ الخضراءُ عن العودِ الغضِّ فيؤذن ذلك بأن الحياةَ الفاضلةَ قد بدأتْ بالضمورِ والذبولِ، ويوشكُ الحطامُ الباقي أن يكون حَطَباً للنارِ، والسبب في ذلك أن المرء عندما يفقدُ أدبَه مع الله يتدرجُ من سيِّئٍ إلى أسوأ، ويهبطُ من رذيلةٍ إلى أرذل، ولا يزال يهوي حتى يصيرَ في الدركِ الأسفل.

إن الأدبَ مع اللهِ هو العاصمُ من الدَّنَايا، وهو الداعي لكلِّ الفضائِلِ، ففيما يُروى أنَّ رجلاً ذهب إلى إبراهيمَ بنِ أدهمَ وقال له: يا أبا إسحاقَ إني مسرفٌ على نفسي في ارتكابِ المعاصي فاعرض عليَّ ما يكون لها زاجراً ومستنقذاً، قال: إن قبلت خمسَ خصال وقدرت عليها لم تضرك المعصيةُ ولم توبقك لذة، قال: هات يا أبا إسحاقَ، قال: أما الأولى فإذا أردتَ أن تعصي الله عز وجل فلا تأكلْ من رزقِه، قال: فمن أينَ آكلُ وكُلُّ ما في الأرض من رزقِه؟! قال: يا هذا أفيحسنُ بك أن تأكلَ رزقَه وتعصيَه؟ قال: لا... هات الثانية: قال وإذا أردتَ أن تعصيَه فلا تسكنْ شيئاً من بلادِه، قال: هذه أعظمُ من الأولى؛ يا هذا إذا كان المشرقُ والمغربُ وما بينهما ملكاً له فأينَ أسكنُ؟! قال يا هذا أفيحسنُ بك أن تأكلَ رزقَه وتسكنَ بلادَه وتعصيه؟ قال: لا.. هات الثالثةَ: قال وإذا أردتَ أن تعصيَه فانظر موضعاً لا يراك فيه فاعصِهِ فيه، قال: يا إبراهيمُ ما هذا؟ وهو يعلمُ السرَّ و أخفى، قال: يا هذا أفيحسنُ بكَ أن تأكلَ رزقَه وتسكنَ بلادَه وتعصيَه وهو يراك ويعلمُ ما تجاهرُ به؟ قال: لا.. هات الرابعةَ، قال: فإذا جاءك ملكُ الموتِ ليقبضَ روحَكَ فقل له أخرني حتى أتوبَ توبةً نصوحاً وأعملَ لله صالحاً، قال: لا يقبلُ مني، قال: يا هذا أفأنتَ إذا لم تقدر أن تدفعَ عنك الموتَ لتتوبَ وتعلم أنه إذا جاءك لم يكن له تأخيرٌ فكيف ترجو الخلاصَ؟ قال: هات الخامسةَ، قال: إذا جاءَك الزبانيةُ يومَ القيامةِ ليأخذوك إلى النارِ فلا تذهبْ معهم، قال: إنهم لا يدعونني ولا يقبلون مني، قال:

فكيف ترجو النجاةَ إذن؟! قال له: يا إبراهيمُ حسبي حسبي، أنا أستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه، ولزم العبادةَ والأدبَ مع اللهِ حتى فارق الدنيا.

نعم، إنه لَمِن كبائرِ الإثمِ وعظيمِ الجرمِ أن يعصيَ العبدُ مولاه في أرضِه وتحتَ سماه، وهو يأكُلُ من نعمِه وهو يراه، إن هذا لهو منتهى الخسة والدناءةِ والكفرانِ لنعمةِ مولاه.

كيف يأكُلُ نعمتَه ويطيعُ غيرَه؟ هل من فطرةِ العقولِ أن تجازي المعروفَ بالعقوقِ، وأن تقابلَ الجميلَ بالإساءةِ؟ هل جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسانُ؟!

لقد أحاطَ اللهُ عبادهَ بالنعمِ من كل جانبٍ، خلقَه من لا شيء وأوجدَه من العدمِ، من نطفةٍ ثم من علقة ثم مضغةٍ، ثم نفخَ فيه من روحِه وأسكنَه بطنَ الأمِّ التي تحملُه تسعةَ أشهرٍ، كان غذاؤُه وطعامُه في تلك الظُلُماتِ ما أجرى اللهُ له من الدمِ الذي رزقَه إياه في بطنِ أمِّه، ثم أخرجَه من ذلك المكانِ إلى مسرحِ الحياةِ الدنيا، ومنَّ عليه بالعقلِ دونَ كثيرٍ من الخلقِ، وشقَّ له السمعَ والبصرَ والفؤادَ، وسخر له الكائناتِ من حوله، وجعل له معقِّباتٍ من بين يديه ومن خلفِه يحفظونه من أمرِ الله، ثم أرسلَ إليه رسولاً وأنزلَ معه الكتابَ، ليكونَ له مرشداً ودليلاً، فسبحانَ من خلقَ فسوى وقدرَ وهدى، كيف يقدرُ الإنسان على شكرِ نعمِه التي لا تُعدُّ ولا تُحصى.

سبحان من لو سجدنا بالعيونِ له على شبا الشوكِ والمحمي من الإبر
لم نبلغ العشرَ من معشارِ نعمتِه ولا العشيرَ ولا عشراً من العشر

اللهم فاجعل أفضلَ صلواتِك ونوامي بركاتِك على حبيبِك المأمونِ وخازنِ علمِكَ المخزونِ، الخاتمِ لما سبقَ، والفاتحِ لما انغلقَ، والمعلنِ الحقَّ بالحقِّ، الدافعِ جيشاتِ الأباطيلِ، والدامغِ صولاتِ الأضاليلِ، حتى أورى قبساً لقابس، وأنارَ ظُلَمَ الطريقِ للحابسِ، وهُدِيَتْ به الأمةُ في خوضاتِ الفتنِ والآثامِ، وأنارتْ نيرات الأحكام، وارتفاعُ الأعلامِ، اللهم فارفعه بما كدحَ فيك إلى الدرجةِ العُليا من جنتِك، وآتِه الوسيلةَ والفضيلةَ والشرفَ الأعلى، والدرجةَ العاليةَ الرفيعةَ

والمقامَ المحمودَ، وأعطِه الحوضَ المورودَ الذي وعدتَه يا أرحمَ الراحمين، وصل اللهم على أخيه ووصيه وبابِ مدينةِ علمِه الأنزعِ البطينِ بدرِ بدرٍ وحنين، الفادي بنفسِه سيدَ الكونينِ، يعسوبِ الدينِ وتاجِ الموحدين، أبي الأئمةِ الأطايبِ أشجعِ طاعنٍ في سبيلِ اللهِ وضارب، مولى كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ في المشارقِ والمغاربِ، أميرِ المؤمنين وسيدِ الوصيين علي بن أبي طالبٍ، وعلى زوجتِه الحوراء فلذةِ كبدِ المصطفى، وخامسةِ أهلِ الكساءِ وسيدةِ النساءِ، فاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وعلى ولديهما الأعظمين ريحانتي الرسولِ وسيدي شبابِ أهلِ الجنةِ في الجنةِ أبي محمدٍ الحسنِ، وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ.

وصل اللهم على إمام الجِدِّ والاجتهادِ صاحبِ المنهجِ الحقِّ الجلي الولي ابنِ الولي الإمامِ زيدِ بنِ علي، وصل اللهم على الإمام الهادي إلى الحق القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيمَ، وعلى سائرِ أهلِ بيتِ نبيئِك المطهرين دعاةً منهم ومقتصدين، وارض اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من الأنصارِ والمهاجرين، وعنّا معهم بفضلِك ومنِّك يا كريم.

اللهم انصر الإسلامَ والمسلمين، وأذلَّ الشركَ والمشركين، اللهم أهلك الكفرةَ والملحدين والمفرقين بين المسلمين والصادين عن ذكرِك والمخربين لدينِك والمتقطعين في سبيلِك والمعادين لأوليائِك، اللهم فرِّق جمعهم وشتت شملَهم واجعل الدائرةَ عليهم واكفنا بهم كيف شئتَ وأنى شئتَ يا قويُّ يا عزيزُ يا جبارُ يا منتقم.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكرْكم، واشكروه على نعمِه يزدْكم وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

۞۞۞۞۞

[١٠]- معرفة الله

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المذكورِ بكلِّ لسان، المشكورِ على الإحسانِ، خلق الخلقَ ليعبدوه، وأظهرَ لهم آياتِه ليعرفوه، ويسَّرَ لهم طرقَ الوصولِ إليه ليصلوه فهو ذو الفضلِ العظيمِ والخيرِ الواسعِ العميم.

وأشهد ألّا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ يحيي ويميتُ بيده الخيرُ وهو على كل شيءٍ قدير، لا تدركه الأبصارُ وهو يدركُ الأبصارَ وهو اللطيفُ الخبيرُ، ليس كمثلِه شيءٌ وهو السميعُ البصير.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ، مفتاحُ البركةِ وقائدُ الخيرِ صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلمَ تسليماً كثيراً.

أما بعد:

عبادَ الله: إن أولَ ما يجبُ على المكلفِ هو العلمُ باللهِ ومعرفتُه، والإيمانُ به والإقرارُ له تعالى بالربوبيةِ والوحدانيةِ، والإيمانُ بأسمائِه الحسنى وصفاتِه العظمى، وتقديسُه، وتنزيهه من الظلمِ والعبثِ، ومشابهةِ الخلقِ.

ألا وإن رسولَ الله ﷺ، قد أبانَ ذلك الأمرَ لنا بنصٍّ صريحٍ حين جاءه رجلٌ يسألُه، فقال: علمني من غرائبِ العلم.

فقال له الرسولُ ﷺ: ((وماذا صنعتَ في رأسِ العلمِ حتى تسألَني عن غرائبِه؟)) قال: وما رأسُ العلمِ يا رسولَ اللهِ؟ فقال: ((أن تعرفَ اللهَ حقَّ معرفتِه))، قال: وما معرفةُ اللهِ حقَّ معرفتِه؟ قال: ((أن تعرفَه بلا مثلٍ ولا شبيهٍ، وأن تعرفَه إلهاً واحداً، أولاً ظاهراً، باطناً، لا كفؤَ له ولا مثلَ له)).

هكذا ينبغي أن نكونَ جميعاً.

ليس هذا الدرس يخصُ الأعرابي وحدَه، بل إنه منهجٌ وطريقٌ خطَّهُ رسولُ اللهِ ﷺ، وبيَّنَ معالِمَه لكلِّ السائرين على دربِ الإسلام، والمقتفين آثارَ رسول الله ﷺ، وبهذه الكلماتِ المختصرةِ يضع الرسولُ ﷺ حجرَ الأساسِ لبناءِ صرحِ الإيمانِ الشامخِ، الذي تنبني عليه العباداتُ والمعاملاتُ.

إنه توحيدُ اللهِ إنه النورُ الذي يضيءُ الظلمات، وينعش أمواتَ الجهلِ والغفلةِ بالحياة.

عبادَ الله: إنّ لكل شيء بدايةً، ولكلِّ عملٍ أساسٌ ومقدماتٌ ينبني عليها، وقاعدةٌ ينطلق منها، وعليها تتوقفُ صحةُ النتائجِ ونجاحُها، فكلما كانت المقدماتُ صحيحةً، وصادقةً كانت النتائجُ ناجحةً ومثمرةً، وكلما كانت المقدماتُ والأسسُ باطلةً أو ضعيفةً، كانت النتائجُ فاشلةً وعقيمةً، وكل عمل نشأ على العشوائيةِ وانبنى على الفوضى فمصيرُه الفشلُ والدمار.

جاءَ رجلٌ إلى النبي ﷺ يسأله فقال: أي العملِ أفضلُ يا رسولَ الله؟ قال: ((العلمُ باللهِ)) فأعادَها عليه ثلاثا، ورسولُ الله يجيبه في كل واحده ((العلمُ بالله)).

فقال الرجلُ: يا رسولَ اللهِ: أسالُكَ عن العمل وتجيبني عن العلمِ؟

فقال ﷺ: ((ويحَكَ؛ إن مع العلمِ ينفعُكَ قليلُ العملِ وكثيرُه، ومع الجهلِ لا ينفعك قليلُ العمل ولا كثيرُه)).

إذن فالعلمُ الذي هو المعرفةُ الحقةُ هو سرُّ النجاحِ، والجهلُ هو سببُ الفشلِ والضياعِ والهلاكِ، فما بُنِيَ على علمٍ زاد ونما، وما بُنِيَ على جهلٍ نقصَ وفنى، فنجاحُ الطبيبِ والمعلمِ والمهندسِ، يعودُ للعلمِ الذي استقاه في مدرستهِ، وللمعرفةِ التي تلقاها في مجالِ عملِه.

وكلُّ صاحبِ مهنةٍ لا بدَّ أن يكونَ له من العلمِ والمعرفةِ ما يُؤَهِّلُه لأن يعملَ، ولا بدَّ له من أن يملكَ من المعرفةِ ما يُبَصِّرُهُ في مجالِ عملِه ومهنتِه، ومعرفةُ اللهُ تعدُّ من أعظمِ المهنِ وأشرفِها، ولا يعذرُ مَنْ جَهِلَها، بل هي رأسُ العلومِ التي تُبنى عليها الطاعاتُ.

وقد أرشدَنا رسولُ الله ﷺ إلى أن للعلمِ أولوياتٍ، وأن بعضَ المعارفِ أحقُّ بالمعرفةِ من بعضٍ وسابقة لها، فبيّنَ أن للعلمِ رأساً وبدايةً يجبُ أن يبتدأَ بها، وبَيَّنَ أن تلك البدايةَ تكونُ بمعرفةِ اللهِ، ولم يكتفِ بالحثِّ على مجردِ المعرفةِ السطحيةِ، بل قال (حقَّ المعرفةِ)، أي خلاصتُها وزبدتُها.

فقال: وما رأسُ العلم؟

قال: (معرفةُ اللهِ حق معرفته).

فمن مفهومِ الحديثِ يتبينُ بأن المعرفةَ التي هي عدلُ اللهِ وتوحيدُه سابقةٌ لكل علمٍ، ومتقدمة على معرفة الأحكامِ الشرعيةِ ومعرفةِ الحلالِ والحرامِ والصومِ والصلاةِ وغيرها من الشرعيات، ويتحتمُ الوجوبُ بها قطعاً على كلِّ مكلفٍ، وأيما عبد قَصَّرَ في طلبِها، وتحصيلِ العلمِ بها فقد قصرَ في الإيمانِ.

بل لقد أولى النبيُّ ﷺ هذا العلمَ جُلَّ وقتِه وعَكَفَ على ترسيخِه في قلوبِ أصحابِه أكثرَ مدةِ الرسالةِ.

فمعرفة الله إذا ما خالطَت القلوبَ ولدت الإيمان الصادق الذي يتغيرُ به كلُّ ما في الوجودِ، ولذا لم يكن مجردُ الدخول في الإسلامِ كافٍ لتحصيلِ معرفة الله بل لا بد من إجهادِ الفكرِ وإعمالِ النظرِ في البحثِ عمّا يقوِّي ذلك ويرسخُه في النفسِ.

قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

فنفى عنهم حقيقةَ الإيمانِ حالاً لا مستقبلاً، لعدمِ توافرِ المعرفةِ الحقّةِ بالله لحداثتِهم بالإسلامِ، ونَسَبَهم للإسلامِ دونَ الإيمانِ لكونِ هذا الاسم أنسبَ لهم في وقتهم الحاضرِ نظراً لاستسلامهم.

والنفي هنا: إنما يفيد الحالَ، ويؤذن بوقوعِ الإيمانِ في المستقبل من مفهومِ ﴿لَمَّا﴾.

ومن مفهومِ الحديثِ السابقِ يتبين لنا عدمُ صحةِ التقليدِ واعتناقِ أقوالِ الآخرين، بلا قناعةٍ ولا نظرٍ ولا حجةٍ أو دليلٍ.

إذ أنَّ المقلدَ في معرفةِ اللهِ جاهلٌ بالله.

فالله تعالىٰ قد مَقَتَ الجهلَ، وذمَّ العبثَ والفوضىٰ، فكيف يمكن ان يتوصلُ جاهلُ بجهله إلىٰ طاعةِ ربِّه، وكثيرٌ من الخلقِ بنوا عباداتِهم لله علىٰ الجهلِ والتقليدِ والاتباعِ الأعمىٰ.

فالمقصرُ في معرفةِ ربِّه، مقصّرٌ في تحصينِ نفسه مهملٌ في واجباته، يرتكب المعاصي والآثامَ بسببِ جهلِه بربِّه وخالقِه، فمعرفةُ اللهِ تعالىٰ دافعةٌ للخيرِ، رادعةٌ عن الشرِّ، وكلما عَظُمَتِ المعرفةُ في قلبِ المرءِ كلما كان أكثرَ استقامةً وثباتاً.

يقولُ الرسولُ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((من أخذَ دينَه عن التفكرِ في آلاءَ اللهِ والتدبرِ لكتابِهِ والتفهُّمِ لسنتي زالت الرواسي ولم يزل، ومن أخذَ دينَه من أفواهِ الرجالِ فقلدهم فيه مالت به الرجالُ من يمينٍ إلىٰ شمالٍ وكان من دينِ اللهِ علىٰ أعظمِ زوال)).

فبهذه الكلماتِ الساطعةِ بَيَّنَ لنا رسولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أسبابَ انحرافِ كثيرٍ من الخلقِ عن نهجِ الله، وعدمِ المبالاة بالدين.

وبيّن لنا أن السببَ في ذلك هو الجهلُ بالله، والاعتمادُ علىٰ ما نسمعه من أقوالِ الناسِ دون التثبتِ والعملِ عن يقينٍ، وبيَّن في المقابلِ دواعي الثباتِ والاستقامةِ التي لا تغيرُها الأحوالُ، ولا تزلزلها المغرياتُ، وبينَ لنا بأن السببَ يعودُ للمعرفةِ الحقَّةِ التي استقاها أهلُها من التفكرِ في الكونِ والتدبرِ في القرآنِ والسنةِ.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّه لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

فَرْقٌ كبيرٌ بين إيمانٍ قامَ علىٰ قواعدَ وأساسٍ متينٍ ومعرفةٍ حقةٍ، وبين إيمانٍ قامَ علىٰ الشكِّ والشبهاتِ واعتمادِ أقوالِ الرجالِ وتقليدِهم فيه.

وهنا يظهرُ لنا السرُّ وراءَ خوفِ العلماءِ وحزنِهم مع كثرةِ عبادتِهم، وصفاءِ سرائرِهم وورعِهم وأنّ كلَّ ذلك يرجعُ إلى معرفتِهم بخالقهم والتي أورَثَتْهم الخوفَ والخشيةَ منه تعالى.

وفي المقابلِ يتضحُ سببُ انهماكِ العصاةِ في الملذاتِ وارتكابِ الفواحشِ دونَ خوفٍ أو مبالاةٍ، وذلك بسبب الجهلِ باللهِ وبعقابِه، وقلةِ المعرفةِ التي زَرَعَتْ عدمَ الثقةِ بأيِّ شيءٍ وإنما أثمرت الظنونَ والشكوكَ في كل شيء ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾.

وقد بَيَّنَ تعالى لنا سببَ انحرافِنَا وميلِنا عنه واغترارِنا بسواه وأن ذلك يعودُ لعدمِ يقينِنا بوعده ووعيدِه، ونُكْرَانِنا لجميلِه، وضعفِ تصديقِنا وإيمانِنا بما تهددَنا به.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝٦ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِى أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ﴾.

طرح اللهُ علينا هذا السؤالَ على سبيلِ الاستنكارِ، ثم أجابَ مُبَيِّناً لنا السببَ وراءَ ذلك كلِّه بقوله: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾.

هنا مكمنُ العلةِ والداءِ عدم التصديق بوعدِ الله ووعيدِه والتشكيك في مصداقية ما جاء به هو الذي أغرانا بغيره وأبعدنا عنه.

عبادَ الله: إن الإيمانَ له مراتبُ متفاوتةٌ في القوةِ والضعفِ، وعليه: فإن الإيمانَ بالله يزيدُ وينقصُ، فعلى المؤمنِ أن يسعى لطلبِ ما يقوِّي إيمانَه وصلتَه بربه، ويعمقُ روابطَه باللهِ.

فأحبُّ الخلق إلى الله أقواهم صِلَةً به، وأقواهم إيماناً به كما في الحديث المروي عن النبي ﷺ القائل: ((المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ وفي كُلٍّ خير)).

والقوةُ هنا ليست في كبرِ الجسدِ، والفُتُوَّةِ في الجسمِ، وليست في ثروةِ المالِ والممتلكاتِ، ولا في كثر العشيرةِ والأبناءِ، ولا في العدةِ والعتادِ، إنما هي في اليقينِ والتصديقِ، في معرفةِ الحقِّ وقوةِ الإيمانِ به تعالىٰ.

المؤمن القوي في إيمانه الراسخ في يقينه الجازم في تصديقه.

المؤمنُ القويُّ هو الذي ملأت عظمةُ اللهِ جوانِحَه، وأينعت معرفتُه تعالىٰ في أحشائِه، وأضاءت سويداءُ قلبِه بنورِ الإيمانِ الذي أثمرَ حبَّه لله تعالىٰ والأُنسَ به.

والمؤمنُ يزيدُ إيمانُه بزيادةِ يقينه بربه وبقدرِ معرفتِه له، ويضعفُ إيمانُه بشكِّهِ وبما يخامرُ إيمانه من الأوهامِ والظنونِ، وقلةِ التصديقِ، ومن أولئك المؤمنين الأقوياء عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حيث وصفه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه مليءٌ إيماناً من قمةِ رأسهِ إلىٰ قرارِ قدمهِ واختلط الإيمانُ بلحمِه ودمِه، فأصبحَ كأنه كتلةٌ من اليقينِ وقطعةٌ من المعرفةِ الخالصةِ التي لا يشوبُها شكٌ، ولا يعتريها شبهةٌ إنها تربيةُ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ والتي أنجبت رجالاً يُضْربُ بهم المثل في قوةِ الإيمانِ ورسوخِ العقيدةِ، وأنتجت نماذجَ من أولئك الرجالِ الذين صدقوا ما عاهدوا اللهَ عليه.

ومن تلك النماذجِ الفريدةِ في قوةِ إيمانِهم ويقينهم الإمامُ علي بنُ أبي طالبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ والذي أوضحَ لنا عن مدىٰ معرفتِه بالله وما وصلَ إليه من الإيمانِ حين قال (والله لو كُشِفَ لي الغطاءُ ما ازددتُ يقينا) أي أنه وصل في معرفةِ اللّهِ سبحانَه وتعالىٰ إلىٰ درجةٍ لا يزيدُ يقينُه علىٰ ما هو عليه ولو تَكشَّفَت له الحقائقُ وظهرت له الغيبياتُ عياناً.

لقد سَمَا عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بعبادتِه سمواً فريدا يندرُ أن يصلَ إليه أحدٌ فكان يقولُ: (إلهي ما عبدتُّك خوفاً من عقابِك، ولا طمعاً في ثوابك، ولكن وجدتك أهلاً للعبادةِ فعبدتك).

وقد قَسَّمَ أميرُ المؤمنين عليه السلام عبادةَ العبادِ إلى ثلاثةِ أنواعٍ فقال: (إن قوماً عبدوا اللّه رغبةً فتلك عبادةُ التجارِ، وإن قوماً عبدوا اللّه رهبةً فتلك عبادةُ العبيدِ، وإن قوماً عبدوا اللّهَ شكراً فتلك عبادةُ الأحرار).

عبادَ الله: الإيمانُ بِحَدِّ ذاتِه له ما يقويه وينميه، وله ما يضعفُه ويوهنُه.

فأما ما يقوي الإيمانَ بالله، ويزيدُ المعرفةَ به تعالى فهو التزودُ بالدلالاتِ والاستكثارُ من الحججِ والبراهينِ الدالةِ عليه تعالى وبخاصةٍ ما كان من جهة العقلِ، وما نتجَ عن التفكرِ والتأملِ في الكونِ وما حواه من بديعِ صنعِ الله الدالِّ على قدرتِه وحكمتِه وعلمِه ووحدانيتِه وقوتِه.

من سماءٍ وأرضٍ وحيوانٍ، ونباتٍ وشمسٍ وقمرٍ، بل إن الكونَ يعجُّ بالآياتِ الدالةِ عليه تعالى، وأينما توجه الإنسانُ ببصرِه أو أصاخَ بسمعِه أو تذوقَ بلسانِه، أو شمَّ بأنفِه أو تفكرَ بعقلِه، وجدَ عظمةَ اللهِ،

وفي كُـــلِّ شيءٍ لـــه آيـــةٌ تَـــدُلّ عـــلى أنـــه واحـــدُ

وفي هذا الطريقِ والمسلكِ سارَ نبيُّ اللهِ إبراهيمُ صلى الله عليه وآله وسلم حتى بلغَ أعلى مراتبِ الإيمانِ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

أقولُ ما تسمعون واستغفرُ اللهَ العظيمَ الجليلَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.



الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ الذي لا تراه عيونُ الناظرين، ولا تخالطه ظنون الظانين، ولا يستدل عليه أحدٌ من المستدلين إلا بما دلَّ به على نفسِه، وأوقفَهم عليه سبحانه من صفتِه، من أنه الفعالُ لما يريدُ من الأشياءِ، وأنه المقتدرُ الفعالُ لما يشاءُ، فدل على نفسِه بما أظهرَ من عجائبِ مصنوعاتِه على ربوبيتِه، فليس له حَدٌّ يُنالُ ولا مثلٌ يُضْربُ به له الأمثالَ، دائمٌ أحدٌ حيٌّ فردٌ صمدٌ عزيزٌ قيومٌ، لا تأخذه سنةٌ ولا نوم.

ونشهد أَلَّا إلهَ إلا هو، وأنه فطرَ السماءَ فبناها، وسطحَ الأرضَ فدحاها، وأخرجَ منها ماءَها ومرعاها، والجبالَ أرساها، متاعاً لخلقه، ورحمةً لعبادِه، وأنه على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الأخيارِ الصادقين الأبرار، الذين أذهبَ الله عنهم الرجسَ وطهرَهم تطهيرا، أرسلَه بالحقِّ داعياً إلى الحقِّ، وشاهداً على الخلقِ صلواتُ اللهِ عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.

عبادَ الله: إن أولَ ما أوجبَ اللهُ على عبادِه، وأمرَ به خلقَه معرفتُه، والعلمُ به وتوحيدُه، ولهذه الغاية خلَقَ اللهُ لنا العقولَ.

ففيما يروى عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((قسَّمَ اللهُ العقلَ ثلاثةَ أجزاءٍ، فمن كانت فيه فهو العاقلُ ومن لم تكن فيه فلا عقلَ له: حسنُ المعرفةِ بالله، وحسنُ الطاعةِ لله، وحسنُ الصبرِ لله)).

قال الإمامُ القاسمُ بنُ محمدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: معنى الخبر: ومن لم يفعلْ هذا فلم يستعملْ عقلَه.

فقد جعلَ اللهُ تعالى البدايةَ الصحيحةَ في السيرِ إليه (المعرفة به)، وهذا هو أساسُ العبوديةِ وأصلُ الإيمانِ. إذ كيف يمكنُ للمرءِ أن يعملَ عملاً دون أن يعرفَ لمن ذلك العمل؟

كيف يمكنُ أن يَقْدِمَ على عملٍ وهو يجهلُ مع من يتعامل؟

لمن يتوجَّهُ بعبادتِه، ومن يقصدُ بقرباته وهو جاهلٌ لمعبودِه وإلهِه؟

عبادَ الله: إن الأصلَ في كلِّ المعاملاتِ، وجميعِ العلاقاتِ الناشئةِ بينَ طرفين.

أن تكونَ مبنيةً على العلمِ لا على الجهلِ، مبينةً على الوضوحِ، والمعرفةِ بين الطرفين، فالمرءُ دائماً لا يسمحُ لنفسِه في الدخولِ في أيِّ عملٍ أو معاملةٍ إلا بعد معرفةِ الطرَف الذي يتعاملُ معه.

وهذا ما يسمى بالشروعِ على بصيرةٍ، أي على درايةٍ وعلم.

فالمعاملةُ الناجحةُ الصحيحةُ لا بد أن يسبقَها معرفةٌ بنوعِ العملِ ومعرفةٌ بصاحبِ العملِ الذي نتعاملُ معه.

ولذا: فإن الشرعَ قد ألزمَ في أكثرِ المعاملاتِ الدنيويةِ بالمعرفةِ والعلمِ، ونهى عن التعاملِ بالمجهولِ.

ونحنُ نَجِدُ من أنفسِنا غريزةً فطريةً تدفعُنا للمعرفةِ بكلِّ شيءٍ، والتطفل لكشفِ ما خفيَ علينا وما جهلناه.

وأيضاً جميعُ معاملاتِنا الدنيويةِ مبنيةٌ على المعرفةِ والعلمِ في البيعِ والشراءِ، وفي الزواجِ والقروضِ، والإجارةِ والشراكةِ وغيرِها من المعاملاتِ سواء كانت تلك المعاملةُ طويلةَ الأمدِ أم قصيرةً وسواء كانت حقيرةً أم عظيمةً.

فهذا هو شأنُ العملِ في الدنيا وطبيعةُ المعاملةِ بين الناسِ في الأمور الدنيوية.

فما السببُ وراءَ ذلك وما الفائدةُ من ذلك ؟

إن العاملَ إذا عرفَ قدرَ مَنْ يتعاملُ معه ومكانتَه أدى العملَ بقدرِ صاحبِه فإن كان عالماً فطناً بصيراً أتقنَ له العملَ وأحسنَ له الأداءَ، وأكمل في صنعه، لأنه يعرفُ أنه إذا تهاونَ في عملِه ردَّهُ عليه، ولم يقبلْه منه، وأنه سَيَحْرِمُه أجرَه، وربما عاقبه على إهمالِه وتقصيرِه.

فالمعرفةُ تجعلُ العاملَ يقظاً في عملِه، مراقباً لعملِه محاسباً لنفسِه تجعلُه يتقنُ ويحسنُ ويبلغُ الجهدَ في الأداءِ.

المعرفةُ تُكسبُ صاحبَها الثقةَ مع من يتعاملُ معه، والركونَ إليه في ما وعد، والتصديقَ بأنه سيفي بما وعد.

المعرفةُ تقوي الصلةَ بين الطرفين، وتبني علاقةً متينة ورابطةً قويةً تثمرُ المحبةَ والولاءَ والأنسَ.

عبادَ الله: إذا كانت تلك طبيعةُ علاقاتنا في الدنيا فكيف نحن في أمرِ الدين؟ وعلى أيِّ أساسٍ بنينا معاملاتِنا الدينية؟ وما مدى معرفتِنا بخالقنا وما مقدارُ علاقتنا به؟

إن العبادةَ لله تعالى هي نوعٌ من أنواعِ المعاملةِ ولكنها معاملةٌ من نوعٍ خاصٍ، معاملةٌ ذاتُ مستوى رفيعٍ، إنها معاملةٌ مع مالِكِ هذا الكونِ ومنشئِ الوجودِ والموجدِ للحياةِ، ومن بيدِه مقاليدُ السماواتِ والأرضِ.

نحن نتعاملُ مع القوي القاهرِ والحيِّ الدائمِ، الغنيِّ الحميدِ، العليمِ الخبيرِ البصيرِ، الذي كلُّ شيءٍ عنده بمقدار.

فلا بد من أن نُعيدَ النظرَ في كلِّ أمرٍ نتعاملُ به معه، وأن نهيئَ أنفسَنا ونُعِدَّها على أتمِّ حالٍ، وأن نستحضرَ كلَّ ما يلزمنا لأداءِ ما كُلفْنا به من العباداتِ، بحيثُ نؤدي ذلك العملَ في يقظةٍ تامةٍ، وحذرٍ شديدٍ.

فنحن أمامَ معاملةٍ مع خبيرٍ بصيرٍ، وناقدٍ عليمٍ، لا يليقُ أن يُقدّمُ له إلا الحسنُ الطيبُ المتقنُ، إليه يصعدُ الكلمُ الطيبُ، والعملُ الصالحُ يرفعُه، وما سوى ذلك فمردودٌ على صاحبِه لا يقبلُه الله.

﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

عبادَ الله: لا ينبغي أن تُبنى مثلُ هذه المعاملة على جرفٍ هارٍ، وعلى معرفةٍ سطيحةٍ وعلاقةٍ هَشَّةٍ.

لا بد أن تكونَ هذه البدايةُ مبنيةً على أساسٍ صلب، وقاعدةٍ متينةٍ، وأصولٍ راسخةٍ، على معرفةٍ يقينيةٍ خاليةٍ من الشكِّ والارتيابِ.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

عبادَ الله: إن البدايةَ يجبُ أن تكونَ سليمةً، وفي الطريقِ الصحيحِ، وأن تُبنى على معرفةٍ وعلمٍ، لا على غفلةٍ وجهلٍ.

كما حكى اللهُ تعالى عن منهجِ نبيِّه وطريقتِه في المعاملةِ مع مولاه والدعوة إليه.

فقال تعالى: ﴿قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

فالمعرفةُ لله تعالى هي أولُ الطريقِ، وأولُ ما يجبُ على المكلفِ العلم به، بدلالة الشهادتين اللتين يُعَدُّ النطق بهما بوابة الدخول في الإسلام وأول أركانه.

والشهادةُ لا تكونُ إلا ممن علمَ صحةَ ما شهدَ به يقينا، وإلا كانت كذباً إذا لم تكن من القلبِ وإن طابقَت الواقعَ، مثلُها مثل شهادةِ المنافقين التي ردَّها اللهُ عليهم حين قالوا: نشهدُ إنك لرسولُ اللهِ واللهُ يعلمُ إنك لرسولُه والله يشهدُ إن المنافقين لكاذبون.

فالشهادةُ إذا لم تطابق القلبَ ولم يطابقْ فيها السرُّ الإعلانَ فليست بشهادةٍ.

فلهذا كلِّه كان لا بد من المعرفةِ للهِ، وذلك لأن المعاملةَ المبنيةَ على المعرفةِ تدومُ وتثمرُ بالإيمانِ الكاملِ والرجاءِ الصادقِ والعملِ الخالص.

ومن باب أولى أن نوثقَ أمورَنا في الدينِ، وأن نوليها الاهتمامَ البالغَ قبل غيرِها، وعلينا أن نسائلَ أنفسَنا لماذا نتحجرُ في أمورِ الدنيا ومعاملاتِها، فلا نعقدُ

عقداً، ولا نبرم أمراً إلا بعدَ معرفةِ الطرفِ الذي نتعاملُ معه، والتثبت من حاله، بالرغمِ من حقارةِ تلك المعاملاتِ وبساطتِها.

فأما إذا كانت تلك المعاملةُ مع اللهِ، وتخصُّ الأمرَ الديني فإننا نبني تلك المعاملةَ على غفلةٍ وجهالةٍ بعبادتنا، وجهلٍ لمعبودِنا، وجهلٍ بكلِّ شيءٍ، وابتداء بأعظم أمر وانتهاء بأمام الصلاة.

فنجدُ المرءَ الحريصَ على دنياه لا يعقدُ صفقةً مهما كانت ولا يبيعُ سلعةً، ولا يقرضُ درهماً، ولا يأتمنُ أحداً أو يودعُ لديه شيئاً إلا بعدَ معرفتِه، والتثبتِ من حاله والاطمئنانِ على ماله.

وأما في أمرِ الدينِ فتراه يصلي خلفَ من هبَّ ودبَّ ولا يكلف نفسَه عناءَ السؤالِ عن عدالتِه وحفظِهِ، وصحةِ الصلاة بعده، وكذا زكاته تراه يلقى بها لأول سائل يمدُّ إليه يدَه، ويدفعُها في أيِّ مشروع خيري، ولا يُعنِّي نفسَه مشقةَ السؤالِ عن مصرفِها ومَنْ هُم أهلُها الذين ائتمنهم اللهُ على إيصالها لأهلها.

وكذا الحالُ في أمرِ الصومِ ترى الصائمَ يعقدُ صومه مع أولِ صائمٍ ويفطرُ على أولِ أذانٍ يسمعُه، ويخرجُ للعيدِ لأول نبأ يسمعُه من الإذاعةِ، ولا يهمه التثبتُ من دين من يقلدُهم ومعرفة عدالتهم وعلمهم.

بل يُوكِّلُ كلَّ أمورِ دينِه إلى (طيبِ النيةِ)، والتساهلِ في أمرِ الدينِ على قاعدةِ (المتقبّلُ كريمٌ)، نعم إنه كريم، ولكن عملك هذا يعد تجاهلاً لحقه، واستخفافاً بقدره، وهذا التجاهلُ للأمورِ الصغيرة في الدين سببُه يعودُ إلى جهلِه بالمبادئِ الأوليةِ وهو الجهلُ باللهِ العليِّ القديرِ، فلو عرف اللهَ لما تساهلَ في تلك العباداتِ.

عبادَ الله: يجبُ أن نعيَ بأن معاملتَنا مع اللهِ هي أعظمُ من كلِّ ما نتصورُ وعلينا ألا نتساهلَ في أمرِها.

إنها ليست معاملةً دنيويةً مع مخلوقٍ في أمرٍ تافهٍ، بل إنها معاملةٌ مع ربٍّ قويٍّ وسلطانٍ قاهرٍ معاملة مدتها العمر.

إن المعاملةَ مع اللهِ: ليست على سلعةٍ ومبلغٍ من المالِ زهيدٍ، بل إنها معاملةٌ على مستقبلٍ أبديٍّ وحياةٍ سرمديةٍ، معاملةٌ كسبُها إما ربحٌ دائمٌ في جنةٍ ونعيمٍ، وإما خسارةٌ دائمةٌ في نارِ الجحيمِ.

عبادَ الله: إن المعرفةَ للهِ تعالى لها أثرُها البالغ في الإيمانِ، فكلما زادت المعرفةُ كلما قويت الصلةُ باللهِ وقويَ الإيمانُ، فضعفُ الإيمانِ ناشئٌ عن قلةِ المعرفةِ باللهِ، فكلما قلّت معرفةُ الإنسانِ بربِّه كلما تمادى في الباطلِ وانحرفَ عن الطريق.

فالمعرفةُ باللهِ تجعلُ صاحبَها قوياً في يقينه، وفي دينه وإيمانِه، قوياً في مبدئِه، وفي صبرِه، وفي كلِّ أمورِ دينه.

وإذا قلّت المعرفةُ قلّ تعظيمُ المرءِ لربِّه واستهانَ بخالقِه، وأمِنَ مكرَه، وقلّ رجاءُه فيما عندَه وضعفت ثقتُه بما في يدِه.

ولذا: ترى أننا نثقُ بما في أيدي الناسِ أكثر من ثقتنا بما عند الله.

نثق بمواعيدِ البشرِ ونترددُ في مواعيدِ الله، نخافُ من الناسِ أشدَّ من خوفِنا من اللهِ، نستحيي من الخلقِ أشدَّ من حيائِنا من اللهِ، نحبُّ الدنيا، وزينتَها أشدَّ حباً من اللهِ، نستأنسُ بالخلقِ، ونستوحشُ إذا خلونا بالله، اللهم إنا نستغفرُك من سوءِ فعلِنا، ونتوبُ إليك من جهلِنا وإساءتنا، ونسألُكَ حسنَ المعرفةِ بك، وحسنَ الطاعةِ لك، وحسنَ الصبرِ لك .

اللهم ارزقنا معرفتَك واهدنا سبيلَك وأعنا على ما يُرضيك برحمتِك يا ربَّ العالمين.

عبادَ الله: أكثروا في هذا اليومِ من الصلاةِ على نبيِّكم الكريمِ القائلِ: ((أكثروا عليَّ من الصلاةِ في يومِ الجمعةِ فإنه يومٌ تضاعفُ فيه الأعمال)) والقائل: ((من صلى عليَّ صلاةً واحدةً صلى اللهُ عليهِ بها عشرَ صلواتٍ ومحى عنه بها عشرَ سيئاتٍ وكتبَ له بها عشرَ حسناتٍ واستبقَ ملكاهُ الموكلانِ به أيهما يبلغُ روحي منه السلام)).

اللهم صلِّ وسلمْ وباركْ وترحمْ على عبدِك ورسولِك الأواه مولانا محمدِ بنِ عبدِاللهِ، وصل اللهم على أخيه ووصيه الإمامِ علي بنِ أبي طالب وعلى زوجتِه سيدةِ النساء فاطمةَ البتولِ الزهراءِ وعلى ولديها الإمامين قاما أو قعدا أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ، وصل اللهم على الإمام الولي بنِ الولي أميرِ المؤمنين زيدِ بنِ علي، وعلى الإمامِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ ابنِ ابراهيمَ، وعلى من بينَنا وبينَهم من أئمةِ الهدى والدينِ دعاةً منهم ومقتصدين، وعلى من يستحقُّ الصلاةَ من المخلوقين، وارض اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من الأنصارِ والمهاجرين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ، وارض عنا معهم بفضلِكَ ومنِّكَ يا ربَّ العالمين.

اللهم إنا نشكو إليكَ ذنوباً انهكتنا، ونفوساً اهلكتنا، اللهم حُطَّ عنا ثِقلَنا، واغفر زلتَنا، واقبل توبتَنا واجعلنا من عتقائِكَ وطلقائِكَ في هذا اليومِ المباركِ من النارِ، واعصمنا من اقترافِ الخطايا والذنوبِ، اللهم اجعلنا من أسعدِ من تعبدَ لك في هذا اليومِ ووفقنا فيه لطاعتِكَ وارزقنا حسن مصاحبتِه بكفِّ الجوارحِ عن معاصيك واستعمالها فيما يرضيك.

اللهم أوزعنا فيه شكرَ نعمتِك وانزل علينا فيه رحمتَك وعرفنا قدرَه وفضلَه يا أرحمَ الراحمين، اللهم انصر الإسلامَ والمسلمين واذلَّ الشركَ والمشركين وأهلك الكفرةَ والملحدين والمفرقين بينَ المسلمين والمتقطعين في سبيلك والمحاربينَ لدينِك والمعادين لأوليائِك أينما كان كائنُهم يا ربَّ العالمين، اللهم وأكفنا شرَّهم وضرَّهم وأذاهم كيف شئتَ وأنى شئتَ وآخرُ دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

[١١]- أصول العقيدة

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين ذي الجلالِ والإكرامِ الذي لا تراه العيونُ، ولا تحيط به الظنونُ، المتنزه عن اتخاذِ الصواحبِ والأبناءِ، لا يحويه مكانٌ ولا يقارنُ بزمان، وأشهد ألّا إله إلا اللهُ واحداً أحداً، فرداً صمداً، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدٌ المصطفى، الفاتحُ لما انغلق، والخاتمُ لما سبق، صلى الله عليه وعلى آله الهداة سفن النجاة، وسلم تسليماً كثيراً، **أما بعد**:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

عبادَ الله: نحمد الله أن جعلَنا من خيرِ أمةٍ أخرجت للناسِ، وأفضلِ أمةٍ بين الأمم، وفضلنا على كثيرٍ ممن خلق تفضيلا، كما قال عز من قائل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ جعلَنَا اللهُ أمةً وسطاً في الفضلِ والخيرِ، وسطاً في عقائِدِها ومبادئِها، ليست بذات إفراطٍ ولا تفريطٍ، ولا تشبيهٍ ولا تعطيلٍ، قامت دعائمُها على قواعدِ العدلِ والتوحيدِ، شهدت للهِ بالعدلِ في حُكمِه فنزهتْهُ من كلِّ عيبٍ ونقصٍ، وظلمٍ وقبحٍ، وأقرَّت لله بالوحدانيةِ بلا شريكٍ، ولا شبيهٍ، ولا مثيلٍ، لم يلدْ ولم يولدْ، ولم يكن له كفؤاً أحدٌ، ليس كمثلِه شيءٌ وهو السميعُ البصير.

عبادَ الله: إن اللهَ لم يمتدح هذه الأمةَ، ولم يفضلها على غيرِها من الأممِ السابقةِ إلا لكونها نهجت منهجَ الحقِّ، وسبيلَ اليقينِ واتبعت الصراطَ السويَّ المستقيم، صراطَ اللهِ القويمَ، الذي أنعمَ به على عبادِه المتقين، الذين نهجوا نهجَه واتبعوا

سبيلَه، امتثالاً لأمرِ اللهِ القائل: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

إنَّ للشياطين طرقاً وسبلاً ومناهجَ بُيِّتَتْ على الضلالِ، ولله منهجٌ واحدٌ وطريقٌ مستقيمٌ لا عوجَ فيه، وما عداه باطلٌ، إنَّ لليهود مناهجَ وطرقاً ضالةً، وللنصارى مناهجَ وسُنناً باطلةً، شرعوا لهم من الدينِ ما لم يأذنْ به اللهُ.

كلٌّ من أحبارِ اليهودِ وقساوسةِ النصارى يدعو الناسَ إلى حزبه، ويَدَّعي أنه على الحقِّ وغيرُه على الباطلِ، قال تعالى: ﴿قَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

كُلٌّ يُلْقِي بالتهمةِ والتبعةِ على الآخرِ، فهم فيما بينهم مختصمون، ولكنهم يقفون ضد المسلمين يداً واحدةً متكاتفين متعاضدين، يتربصون بنا الدوائر، يُكِنُّونَ لنا الحسدَ والغلَّ، ويضمرون لنا الشرَّ والكراهيةَ قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِى جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يحاولون بشتى الوسائل أن يبعدونا عن ديننا، وأن نصبح يهوداً أو نصارى ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ تلك أمانيهم الكاذبة وأحلامهم الباطلة ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أين دليلكم على دعواكم ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

إن النجاةَ ليست في زمرةِ اليهودِ ولا في حزبِ النصارى، إنما في ملةِ الإسلامِ، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

عبادَ الله: إننا في كلِّ صلاةٍ من صلواتِنا نردد سورةَ الفاتحةِ، وندعو اللهَ من خلالِ آياتها أن يهدينا صراطَه المستقيم، وأن يدلَّنا على صراطِ عبادِه الصادقين، الذين أنعمَ عليهم باتباعِه، ونسألُه أن يجنبَنا صراطَ المغضوبِ عليهم من اليهودِ ومن والاهم، والضالين من النصارى ومن شايعَهم، هكذا علّمنا اللهُ ورسولُه أن ندعوَه في صلواتِنا وأورادِنا ومناجاتِنا.

إن اللهَ قد غَضِبَ على اليهودِ، ولعنَهم وطردَهم من رحمتِه؛ لأنهم ابتدعوا في دينهم ما ليس منه، وشرعُوا لهم من الأحكامِ ما لم يأذن به اللهُ من الأباطيلِ والخرافاتِ، والافتراءاتِ والأكاذيبِ، التي ما أنزل اللهُ بها من سلطانٍ، وكذا النصارى ضلوا وأضلوا، وحرفوا وبدلوا، لما ادعوا ألوهيةَ عيسى وأمِّه عليه السلام وغير ذلك من الأباطيل التي بينها اللهُ في القرآن.

عبادَ الله: إن كلاً من اليهودِ والنصارى كانوا يصلون ويصومون ويتصدقون، ولكنهم ضلوا في العقيدةِ والتوحيدِ وحرفوها، وزوروها، يحرفون الكَلِمَ عن مواضعِه، ونسوا حظاً مما ذُكِّرُوا به.

عبادَ الله: من المعلومِ الذي لاشكَّ فيه أنَّ كلاً من اليهودِ والنصارى قد ضلَّ عن سبيلِ اللهِ، واللهُ قد بيّنَ لنا أسبابَ ضلالِهم وغوايتِهم في القرآنِ الكريمِ، والله سبحانه وتعالى لم يعرض علينا أخبارَ اليهودِ من بني إسرائيلَ وقصصِ النصارى وغيرِهم إلا لنعتبرَ ونتعظَ ونأخذَ من سيرِهم العبرة والعظة.

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

والمرادُ بالعبرةِ هو أنْ تأخذَ درساً من غيرِك وتستفيدَ من أخطائِهم، ومن أجلِ أن نحذرَ أن نقعَ فيما وقعوا فيه، أو أن نقولَ بمقالتهم، فنستحق بذلك غضبَ اللهِ وسخطَه، وفي هذا الشأنِ وردَ حديثٌ عن الرسولِ الأعظمِ صلواتُ اللهِ عليه وعلى آلِه يحذرُنا من ذلك حيثُ قالَ: ((لتتبعنَّ سُنَنَ مَن كان قبلَكم حذوَ القذة

بالقذةِ، حتى لو دخلوا جحرَ ضبٍّ لدخلتموه، قيل: يا رسولَ الله اليهودَ والنصارى؟ قال: فمَنْ؟!)).

هذه كلمةُ سيدِ البشرِ الذي لا ينطقُ عن الهوى ينبئُنا بها ألهمَه اللهُ بأنَّ مِنْ هذه الأمةِ من يتتبعُ عثراتِ بني إسرائيلَ ومقالاتِهم وبدعِهم ويتبعُها ويقولُ بها، ولا يتركُ باطلاً قالت به اليهودُ إلا قال به، حتى لو أنهم دخلوا في جُحْرَ ضبٍّ لدخلَ فيه، والعياذُ باللهِ، وهذا تشبيهٌ بليغٌ أرادَ ﷺ أن يبينَ به شدةَ حرصِ بعضِ الناسِ على تتبعِ وتقليدِ أولئك اليهود.

ـ اللهم إنا نسألك أن تجعلَنا من المتمسكين بحبلِك والمتبعين لشرعِك السائرين على نهجِ نبينا محمدٍ وآله يا ربَّ العالمين.

عبادَ الله: إياكم والتقليدَ الأعمى في العقائدِ، فلا بد فيها من اليقين القاطعِ الجازمِ حتى تطمئنَّ به النفوسُ، أما الظن فلا يغني من الحقِّ شيئا.

عبادَ الله: أودُّ أن أصحبَكم في ظِلالِ القرآنِ الوارفةِ، وبين سطورِه المباركةِ لنطَّلع وإياكم على التجاوزاتِ والخروقاتِ التي اقترفها اليهودُ والنصارى، ونتعرفَ وإياكم على الأسبابِ التي جَعَلَت اللهَ يغضبُ عليهم ويطردُهم من رحمتِه لكي نتجنبهَا، ونحذرَ أن نقعَ فيها فنستوجبُ بذلك غضبَه، وعقابَه أجارَنا اللهُ منه.

فأقول وبالله التوفيقُ: من المعلوم أن لله تعالى صراطاً سويًّا غيرَ صراطِ اليهودِ والنصارى وأن لليهودِ صراطاً معوجًّا، وعقائدَ باطلةً؛ من اعتقدها وقال بها فهو من المغضوبِ عليهم، وأن للنصارى منهجاً وصراطاً باطلاً؛ من نهجه ضلَّ ومن تبعه أوصله إلى النارِ.

فالمطلوب منَّا **عبادَ الله** هو البحث عن صراطِ اللهِ الذي قال فيه: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾ فنتبعُه ونسيرُ على نهجِه وأن نخالفَ أصحابَ الجحيمِ من اليهودِ والنصارى وسائرِ مللِ الكفرِ، وقد أمرَنا اللهُ عز وجل أن نتبرأَ منهم ونستعيذَ به من طريقتِهم في كلِّ صلاةٍ من صلواتنا فنقولُ:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ الصراطَ السوي المنزه عن مقالات اليهود التي لعنوا عليها وغضبَ اللهُ عليهم بسببِها كما حكى اللهُ عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، أرادوا بمقالتِهم هذه أنَّ الله بخيلٌ، فردَّ الله عليهم بقوله تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾.

فمن قال بمقولتهم هذه استحق من اللهِ الغضبَّ واللعنةَ، ومنها قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ فمن هذه الآيةِ يتضحُ لنا بأنَّ الذين لا يتناهون عن المنكرِ عاصون معتدون معطلون لحدود الله ملعونون.

عبادَ الله: يجبُ أن نتأملَ في كتابِ اللهِ، وأن نقفَ مع كلِّ آية نتدبرَها ونتأملَها، ونعملُ بما فيها، فليس المرادُ مجردَ القراءةِ، فكم من قارئٍ للقرآنِ والقرآنُ يلعنُه.

فإياكم **عبادَ الله** من الغفلةِ، واللهُ ينبهنا بقوله: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

عبادَ الله: إذا كان بنو إسرائيلَ قد أخطأوا وأذنبوا، فلا ينبغي لنا أن نقعَ في خطأٍ قد بينَه اللهُ لنا في القرآنِ الكريمِ، ورد عليهم بأن هذا خطأ، وهذا غيرُ جائزٍ، ونحن نقرأُ ذلك في كتابِنا وقرآنِنا ونؤمنُ بما جاءَنا به، وإلا فما الفائدةُ أن ينزل ذلك علينا في القرآن: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾.

ومِن ذلِك قولُ بعضِ الناسِ بأن أهلَ النارِ سيخرجون منها مع أن بني إسرائيلَ قد قالوها من قبلُ، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً﴾ هذا قولُهم وهذه عقيدَتُهم؛ فردَّ اللهُ عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْداً فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

من قال لكم يا بني إسرائيل إنكم ستُعذَّبون بقدرِ ذنوبكم ثم تَخرجون؟ هل هذا عهدٌ قطعناه لكم، فلن نخلفَه؟! أم أنكم تفترون علينا الكذبَ بقولِكم ما لا علمَ لكم به؟! ليس الأمرُ كما زعمتم أو كما تظنون.

﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيـئَتُهُ فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون﴾ ألا تكون هذه الآياتُ القاطعاتُ رادعةً لمن يقول بالخروجِ من النارِ هذه الأيام؟!

وأيضا نرى بعض الناسِ يعملُ المعاصي، ويعتقدُ بأن ذلك من الله قضاه اللهُ له وقدّرَه عليه، مع أن اللهَ قد نفى ذلك في القرآنِ الكريمِ في سورةِ الأعراف الآية (٢٨) قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴿٢٨﴾﴾ يفعلون الفواحشَ ثم يقولون قدَّرَها علينا اللهُ وأمرَنا بها، فردَّ اللهُ عليهم قائلاً: ﴿قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۞ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ .

إن الله ينهانا ويحذرُنا أن نسألَه شيئاً قد أهلكَ بسببِه قوماً قبلنا قال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾ ما هو السؤالُ الذي سألَه بنو إسرائيلَ فضلوا بسببه عن سواءِ السبيلِ، واستبدلوا إيمانَهم بالكفرِ، إنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ قالوها بألسنتهم فاستحقّوا من الله غضبه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

ماتوا جميعاً، وهلكوا عن بكرةِ أبيهم لقبحِ سؤالِهم، وحتى موسى عليه السلام لم يَسْلَمْ من شرِّ سؤالهم فقد غشيَ عليه كما أخبرَنا اللهُ عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ قام يدعو ربَّه ويناجيه بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ

أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ فقد نطقَ موسى عليه السلام بثلاثِ عباراتٍ بعد أن أفاق من غشيتِه فـقَالَ ﴿ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لكل عبارة معناها الأولى: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أنزهك، وأقدسك عن رؤيةِ الأبصارِ، والثانية ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من مقالةِ بني إسرائيلَ واعتقادِهم ، والثالثة ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بأنك الظاهرُ للعقولِ الباطنُ للعيونِ، تُدْرِكُ الأبصارَ ولا تُدْرِكُكَ الأبصارُ وأنت اللطيفُ الخبير.

عبادَ الله: هذه هي قصةُ موسى عليه السلام مع قومِه في مسألةِ الرؤية حكاها اللهُ في عِدَّةِ سورٍ من القرآنِ الكريمِ، وأبان خطأهم، وكيف عاقبَهم بصيحةٍ أهلكتهم.

فكيف لعاقلٍ يقرأُ القرآن ويعرف هذه القصةَ ثم يقولُ بقولِ بني إسرائيلَ، ويدَّعي أنه سَيَرَى الله ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ .

ويقول الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ وقوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾، يقرأون هذه الآياتِ ثم يقولون للهِ يدٌ ورجلٌ وعينٌ ووجهٌ وأسنانٌ، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

يقرأون قولَ الله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ثم يقولون اللهُ مستوٍ على كرسي وله عرشٌ في السماءِ السابعةِ، ينزل كلَّ ليلةٍ إلى سماءِ الدنيا، تعالى اللهُ عن ذلك علوًّا كبيرًا، فمن نسب إلى الله أعضاءً وآلاتٍ كبني آدمَ فقد شبهَه وذمَّه، ونَقَّصَ في حقِّه، فكيف يُشَبّه الملكَ الجبارَ بهذا البشرِ الضعيفِ الذي قال عنه تعالى: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾ وقوله تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ﴾

بل لقد قرن اللهُ ابنَ آدم بالذباب في آية ونسب لكليهما الضعف بقوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۝٧٣ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ فمن شبَّهَ الله بخلقِه فقد وصفَه بالنقصِ، ونسب إليه الضعف، تعالىٰ عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

عبادَ الله: إن القرآنَ محكمٌ ومتشابهٌ، فالمؤمنُ باللهِ يتبع المحكمَ ويعملُ به امتثالاً لقول الله: ﴿هُوَ الَّذِىَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّه وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾.

أقول ما تسمعون وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.



الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يُشْهِدْ أَحَداً حِينَ فَطَرَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ، وَلَا اتَّخَذَ مُعِيناً حِينَ بَرَأَ النَّسَماتِ، لَمْ يُشارَكْ فِي الألوهِيَّةِ، وَلَمْ يُظَاهَرْ فِي الْوَحْدانِيَّةِ.

كَلَّتِ الأَلْسُنُ عَنْ غايَةِ صِفَتِهِ، وَانْحَسَرَتِ الْعُقُولُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ، وَتَوَاضَعَتِ الْجَبابِرَةُ لِهَيْبَتِهِ، وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِخَشْيَتِهِ، وَانْقَادَ كُلُّ عَظِيمٍ لِعَظَمَتِهِ، رب لك الْحَمْدُ مُتَوَاتِراً مُتَّسِقاً، وَمُتَوَالِياً مُسْتَوْسِقاً.

وأشهد ألّا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه الذي أكرمه وبَجَّلَه، ونبيه الذي أرسله بكتابٍ أنزلَه، وأسمى فضلَه، وبين سُبُله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما كبر اللهَ عبدٌ وهَلَّله.

أما بعد:

عبادَ الله: لقد أبان اللهُ لنا بأنَّ له سبيلاً لا عوجَ له، وأنَّ للشياطينِ سبيلَ غيٍّ وضلالٍ.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وهذا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يخبرُنا بأنَّ هذه الأمةَ ستفترق إلى نيفٍ وسبعين فرقة كلها هالكة إلا فرقة.

إنَّ الأمرَ جدٌّ فجدّوا، والخطبَ جسيمٌ فشمروا ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾.

ليست هذه الحياةُ إلا دارَ ربحٍ أو خسارةٍ لا غير، وخسارتُها فادحةٌ قاصمةٌ ليست خسارةَ مال، ولا خسارةَ متاعٍ ولا خسارةَ تجارة.

إنها خسارةُ نفسٍ تتردى في دركاتِ لظى بين ثلاثِ شعب، لا ظليلٍ ولا يُغني من اللهب.

فالكيِّسُ من دانَ نفسَه، وعَمِلَ لما بعدَ الموتِ، ومن سألَ عن أمورِ دينِه، وبحث عن الحقِّ وأهلِه، فليس كلُّ مَن دعا فهو على حقٍّ، هناك المخطئُ والمصيبُ، وهناك المحقُّ والمبطلُ، وهناك المبتدعُ والمتسننُ، هناك من يدعو إلى اللهِ، وهناك من يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير.

إنها نيفٌ وسبعون فرقةً كلها هالكة إلا فرقة، ابحث عن هذه الفرقةِ واسأل عن دينِك حتى يُقالَ إنك مجنونٌ، ولا تغتر بكثرةِ أهلِ ملة، فما ذُكِرَتْ كثرةٌ في القرآن إلا ذمَها اللهُ، ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وما ذُكِرَتْ القلةُ إلا مُدحت ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ وليس الحقُّ مع أصحابِ المالِ والثرى، ولا بالمظاهرِ وجمالِ الظاهرِ، ولا مع أهلِ الثيابِ البرَّاقةِ والأجسامِ الناعمةِ، فكم من أشعثٍ أغبر، مدفوعٌ بالأبوابِ، لا يؤبَهُ بِه، لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّه، ومن الناسِ من يُشْبه الحياتِ ملمسُها ناعمٌ، ومنظرُها جميلٌ وتضم بين حناياها السمَّ القاتلَ.

قال تعالى في ذمهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

وليس الحق بكثرة الأتباعِ، ولا في حلاوةِ الكلامِ، ولا في فصاحةِ اللسانِ وبلاغةِ الوعظِ، ولا في حسنِ التلاوةِ وحسنِ الصوتِ قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الفَسَادَ۝٢٠٥﴾.

مما لا شكَّ فيه أنَّ المعيارَ الصحيحَ للحقِّ هو الحقُّ ذاتُه، ولا عبرةَ بالرجالِ والأشخاصِ؛ وعلى هذا فإنه عندما قال الحارثُ بنُ حوطٍ لعلي عليه السلام: يا أميرَ

المؤمنين أترى أن أهلَ العراقِ مع قلتِهم على الحقِّ؟ وأن أهلَ الشامِ مع كثرتِهم على الباطلِ؟ قال: (يا حار؛ إنه لملبوسٌ عليك، إن الحقَّ لا يُعْرَفُ بالرجالِ، وإنما الرجالُ يُعرفون بالحقِّ، فاعرف الحقَّ تعرفْ أهلَه قلُّوا أم كثُروا، واعرف الباطلَ تعرفْ أهلَه قلُّوا أم كثُروا) فالكثرةُ ليست مقياساً للحقِّ حيث نجدُ أنَّ اللّهَ قد ذمَّ الكثرةَ، ومدحَ القلةَ في كثيرٍ من آياتِ الكتاب، ومنها قولُه تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾، وقال جلَّ شأنُه: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقوله تعالى مادحاً القلةَ: ﴿وقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، وقوله تعالى حاكياً عن داودَ عليه السلام: ﴿وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ إلى غير ذلك من الآيات الذامة للكثرة والمادحة للقلة.

والحقُّ أحقُّ بالإتباعِ، وهو حاكمٌ لا محكومٌ، فهو الذي يحكمُ على معتقداتِ وسلوكِ الأفرادِ بالخطأِ أو الصوابِ.

وإياكم أن تكونوا إمَّعة أتباعَ كلِّ ناعقٍ كما قال الرسولُ صلى الله عليه وآله وسلم فيما رُوِيَ عنه: ((لا تكونوا إمَّعةً تقولوا إن أحسنَ الناسُ أحسنا وإن أساءوا أسأنا، ولكن وَطِّنُوا أنفسَكم على أنه إن أحسنَ الناسُ أن تُحسنوا وإن أساؤوا فلا تَظلِموا))، فالإتباعُ بغيرِ علمٍ، فاتحُ بابِ كلِّ ضلالةٍ ومكمن كل جهالةٍ، وما عُصِيَ اللهُ بأعظمَ من الجهل.

ولقد وردَ عن الإمامِ علي عليه السلام في تقسيمِ أحوالِ الناس أنه قال: (النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِق، يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيح، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَؤُوا إِلَى رُكْن وَثِيق).

فانظر عبدَ اللهِ من أيِّ الأصنافِ أنت، واحذر أن تكونَ من الصنفِ الثالثِ: وهم الهمجُ الرعاعُ الذين يعبدونَ اللهَ على غيرِ هُدى وبصيرةٍ، ولا كتابٍ منيرٍ.

ففي الحديثِ المرويِّ عن خاتمِ الرسلِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((من أخذ دينَه عن التفكرِ في آلاءِ اللهِ، والتدبرِ لكتابِ اللهِ، والتفهمِ لسنتي، زالت الرواسي ولم يزُل، ومن أخذ دينَه من أفواهِ الرجالِ، وقلدَهم فيه، ذهبت به الرجالُ من يمينٍ إلى شمالٍ، وكان من دينِ اللهِ على أعظمِ زوال)).

عبادَ الله: إن الإنسانَ قد يأتيه الكفرُ من حيث لا يعلمُ؛ فرُبَّ اعتقادٍ في غيرِ محله يودي بصاحبِه إلى النارِ والعياذُ باللهِ.

ـ اللهم إنا نسألك الثباتَ والسدادَ والرشادَ، وحُسنَ الختامِ، اللهم اسلك بنا الطريقةَ المُثلى، واجعلنا على مِلَّتِكَ نموتُ ونحيا، واهدنا إلى الحقِّ، وإلى الطريقِ المستقيمِ، اللهم أرنا الحقَّ حقًّا، وارزقنا اتباعَه، وأرنا الباطلَ باطلاً وارزقنا اجتنابَهُ، وأحينا على ملة نبيئنا محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أبداً ما أبقيتَنا، واجعلْهُ الوارثَ منا، وبَلِّغْ في هذه الساعةِ المباركةِ روحَ نبيئنا وآلِ نبيئنا منَّا أطيبَ الصلواتِ وأتمَّ التبريكاتِ وسَلِّمْ تسليماً كثيراً، اللهم صلِّ عليه صلاةً دائمةً ناميةً لا انقطاعَ لأبِدها، ولا انتهاءَ لأمدِها، ولا حصرَ لعددِها يا أرحمَ الراحمين، اللهم وصل على أخيه وابنِ عمهِ أميرِ المؤمنين ويعسوبِ المتقين علي بنِ أبي طالبٍ، وعلى زوجتِه الحوراءِ فلذةِ كبدِ المصطفى، فاطمةَ البتولِ الزهراء، وعلى ولديهما الإمامين الشهيدين أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ وعلى مولانا الولي بنِ الولي الإمام زيدِ بنِ علي، وعلى إمام اليمنِ الميمونِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيمَ، وعلى سائرِ أهلِ بيتِ نبيئِك المطهرين دعاةً منهم ومقتصدين، وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من الأنصارِ والمهاجرين والتابعين لهم بإحسانٍ وتابعي التابعين من يومنا هذا إلى يوم الدين، وارض عنا معهم بمنِّك وفضلِكَ يا كريم.

ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، واجعلنا من ورثةِ جنةِ النعيم، واهدنا إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيمٍ، وثبتنا على دينك القويم،

واجعلنا من أتباعِ محمدٍ وآلِ محمدٍ، وأحينا على ملتهم، واحشرنا في زمرتِهم، برحمتِكَ يا أرحمَ الراحمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. فاذكروا اللهَ العظيمَ يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.



[١٢]- تعظيم الله في حياة المؤمن

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكبيرِ المتعالِ، المخصوصِ بالكمالِ، المعروفِ بالعزةِ والجلالِ، تنزه عن الشبيهِ والمثالِ، وتعالىٰ عن قبحِ الفعالِ، تقدست أسماؤُه، وتعالىٰ عن كلِّ شأن شأنُه ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

نشهد بأنه الله الذي لا ربَّ سواه ولا معبودَ غيرُه، عَدْلٌ في الحكمِ، صادقُ الوعدِ، وفيُّ العهدِ، رحيمٌ بالعباد.

ونشهد بأن محمداً عبدُه ورسولُه وخيرتُه من خلقِه، عليه وعلىٰ آلِه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ من يومِنا هذا إلىٰ يومِ الزحام.

أما بعد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

عبادَ الله: لقد مضت أربعةَ عشرَ قرناً منذُ بزوغِ فجرِ الدعوةِ وظهورِ الإسلامِ، ذلك الدينُ القيمُ الذي شقَّ بفرقانِ رسالتِه غياهبَ الظلماتِ، وقشعَ بأنوارِه سحائبَ الجهالاتِ، تلك الرسالةُ الخالدةُ التي جاءت لتعيدَ للإنسانيةِ مجدَها وعزَّها وكرامتَها، وتُعرّفَ الإنسانَ بقدرِه وقيمتِه، وتفهمَه بأن لحياتِه شأناً وأن هناك هدفٌ وغايةٌ عظيمةٌ من وجودِه، وأنه لم يُخلق للَّهْوِ واللعبِ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.

عبادَ الله: لقد جاء محمدٌ صلى الله عليه وآله وسلم لِيُنَبِّهَ الأمةَ من غفلةٍ عظيمةٍ، ويبينَ لهم قيمةَ الحياةِ وما هو المطلوبُ من هذا الإنسانِ، أتىٰ صلى الله عليه وآله وسلم ليُخرجَ الناسَ من حياةِ البهيميةِ التي لا هَمَّ لها إلا الأكلُ والشربُ والسطوُ والنهبُ، إلىٰ حياةٍ خالدةٍ كريمةٍ وعيشةٍ هنيئةٍ مرضيةٍ، فعرَّفَهُم معالمَ دينِهم وبيّنَ لهم بأن لهذا الكونِ

الواسعِ ربًّا وخالقاً، وأن وراءَ هذه المخلوقاتِ البديعةِ صانعاً ومدبراً، وأنه المالكُ الخبيرُ الذي بيده تجري المقاديرُ، وأنه المنشئُ للسحابِ، ومرسلُ الرياحِ، ومنزلُ الغيثِ، ومكورُ الليلِ على النهارِ، ومجري الأفلاكِ، ومنبتُ النباتِ، ومدبرُ الأمورِ، وأنه المحيطُ عِلْماً بالكبيرِ والصغيرِ، والقائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسبت، لا يخفى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، غَرَسَ الرسولُ هذه المعاني في قلوبِ المؤمنين فعلَّمَ الصحابةَ كلَّ ذلك؛ فكَبُرَ الخالقُ في أنفسِهم، وعَظُمَ شأنُه في قلوبِهم، فوحَّدوه ونزَّهوه، وعظَّموه وقدَّسوه، وصَغُرَ ما دونَه في أعينِهم، وهانت عليهم أنفسُهم، فصارَ للهِ في قلوبِهم مكانةٌ عظيمةٌ، ومنزلةٌ كريمةٌ، فامتلأت قلوبُهم بتلك العظمةِ والجلالِ والكبرياءِ، فأخبتوا لله، ووقَّرُوا اللهَ، وانقادوا إليهِ مذعنين، وفي طاعتِه ونيلِ رضاه مسارعين.

نعم: لقد عرفوا من عظمةِ اللهِ وجلالِه ما حَيَّرَ الألبابَ؛ أيقنوا بوجودِ اللهِ وعرفوا بأنه صاحبُ السلطانِ الذي لا يزولُ، والملكِ الذي لا يفنى، والقُوَّةِ التي لا تُقهر، علموا بأنَّ اللهَ تعالى هو صاحبُ الأمرِ المطلقِ، وأن بيده النفعَ والضرَّ يُعِزُّ من يشاءُ، ويُذِلُّ من يشاء، ولله العزةُ ولرسولِه وللمؤمنين، عرفت قلوبُهم كلَّ ذلك فسارعوا إلى طاعتِه وتنافسوا في القربِ إليه، يرجون رحمتَه ونيلَ رضاه، عرفوا قدرَ اللهِ وعظمةَ ملكِه، فتزاحموا على أبوابِ رضوانِه يخطبون ودَّه ورضاه، لينالوا العزةَ والكرامةَ التي قال عنها تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ وقال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ كانوا يرون في طاعةِ الله وخدمتِه كلَّ الشرفِ والفخرِ والعزِّ الذي لا حَدَّ لَهُ، كانوا يشعرون بالعزةِ والكرامةِ لأنهم عبيدٌ لذلك الربِّ العظيمِ والملك القوي الكريمِ، يصورُ لنا تلك النشوةَ واللذة والسعادةَ أميرُ المؤمنين علي عليه السلام بقولِه: (كفاني فخراً أنك لي ربٌّ، وكفاني عزّاً أني لك عبدٌ).

نعم عبادَ الله: لقد كان المؤمنون في زمنِ الرسولِ ﷺ يعيشون حياةً سعيدةً يسودُها الرحمةُ والطمأنينةُ، وتغشاهم الرهبةُ والسكينةُ، كانوا يؤدون جميعَ مناسِكِ العبادةِ والطاعةِ على أكملِ وجوهِها بلا تعبٍ ولا كللٍ ولا مللٍ، بكلِّ حبٍّ وشوقٍ، وبكاملِ نشاطِهم العقلي والبدني، إذا نادى المؤذنُ للصلاةِ قاموا كلُّهم يصدعون بصوتٍ واحدٍ: (أهلاً ومرحباً بالصلاة) يذهبون نحو المسجدِ في خشوعٍ ووقارٍ تغشاهم السكينةُ فرحين بلقاءِ اللهِ والوقوفِ بين يديه، قد تطأطأتْ أعناقُهم هيبةً للهِ وحياءً من ذلك الملكِ العظيمِ الذي هم عليه قادمون، ففيما يُروى بأن الحسنَ السبط عليه السلام كان إذا توضأَ اصفرَّ لونُه؛ فلمَّا سُئِلَ عن ذلك رَدَّ عليهم قائلاً: ألا تعلمون من أُقابل؟!

هم ذلك النسل الذين لسانُهم ... تخطُّ عنه جميع ألسنة الورى
تلك العصابةُ مَن يَحِدْ عن سُبْلها ... حقّاً يُقالُ لمثْلِهِ أطْرِقْ كَرَا

نعم عبادَ الله: إنها معرفةُ اللهِ، والعلمُ بقدرِه وجلالِه، إذا خالطت القلوبَ ملأتها بالهيبةِ والخشيةِ من اللهِ، هكذا كانت حالةُ المؤمنين مع اللهِ حيث بلغوا من درجات اليقينِ أعلى الدرجاتِ إذا دخلوا في الصلاةِ دخلوا بأجسادِهم وقلوبِهم يتجهون إلى الله قلباً وقالباً، قلوبُهم معلقةٌ بالله تكادُ أن تتقطعَ هيبةً وجلالاً من اللهِ، أصبحت الصلاةُ شغلَهم الشاغل لا يشغلُهم عنها شيءٌ، لا بالوساوسِ يلتهون ولا بالأفكارِ يشتغلون، بل يقفون وقفةَ العبدِ الذليلِ المذنبِ بين يدي الملكِ القوي القاهرِ، كأنّ على رؤوسِهم الطيرَ، في أدبٍ وخشوعٍ وذلةٍ وخضوعٍ يبكون ويتضرعون، يصلون صلاةَ مودعٍ وكأنما هي آخرُ صلاتهم من الدنيا، وهنا يصفُ لنا أحدُ الصالحين حالتَهم في الصلاةِ كيف يخشعُ فيها فقال: أقومُ فأكبرُ للصلاةِ وأتخيلُ الكعبةَ أمامَ عيني، والصراطَ تحتَ قدمي، والجنةَ عن يميني والنارَ عن يساري وملكَ الموتِ ورائي وأن رسولَ اللهِ ﷺ يتأملُ صلاتي وأظنها آخرَ صلاةٍ، فأكبرُ اللهَ بتعظيمٍ، وأقرأُ بتدبرٍ، وأركعُ بخضوعٍ،

وأسجدُ بخشوعٍ، وأجعل في صلاتي الخوفَ من اللهِ والرجاءَ في رحمتِه، ثم أُسَلِّمُ ولا أدري أقُبِلَتْ أم لا.

نعم عبادَ الله: كانوا بعدَ كلِّ هذا يتمُّون الصلاةَ وهم وَجِلون خائفون أن يردَّ اللهُ عليهم صلاتَهم ولا يقبلها منهم، وليس كحالِنا حين ننفضُّ من الصلاةِ كالبركانِ يتسابقون من البابِ كأنما هم خارجون من سجنٍ لا يهمهم قُبِلَتْ صلاتُهم أم رُدَّتْ عليهم، ومن صورِ الخشوعِ والإقبالِ على اللهِ والانقطاعِ إليه ما رُوِيَ عن أميرِ المؤمنين عليه السلام يوم أُصيبَ بسهمٍ في عضدِه ولم يقدروا على إخراجِه منه فقال لهم: إذا قمتُ إلى ربي فأنتم وشأنكم، فلما توجَّه إلى الصلاةِ وانقطعَ إلى الصلاةِ وتعلقَ قلبُه باللهِ ونسي كلَّ ما حولَه فلانت أعضاؤُه وسكنت جوارحُه فقام الصحابةُ إليه واستخرجوا منه السهمَ وهو في رحابِ مولاه لا يحس بهم كأنما خدر جسمه وكأنهم ينحتون في جمادٍ.

وكذا رُوِيَ عن ولدِه زينِ العابدين عليه السلام أنه احترقَ بيتُه وهو في الصلاةِ وهم يصيحون عليه النارَ النارَ؛ وهو لا يعي ولا يحسُّ بشيءٍ حتى أكملَ صلاتَه وقد خمدت النارُ من حوله ولم يُصَبْ بسوءٍ، فقيل له في ذلك؛ قال: شغلتني النارُ الكبرى عن النارِ الصغرى.

عرفوا بحقِّ اللهِ وانقادوا له ... خضعوا له ذلاً مع العرفان
سكنت جوارحُهم إليه على هدىً ... منهم ومعرفةٍ وصدقِ جنان

لقد عرف أولئك المؤمنون معنى الصلاةِ، وعرفوا قدرَ العبادةِ للهِ، فالتهوا بها ونسوا كلَّ شيءٍ سواها، عرفوا بأنها ليست مجردَ قيامٍ وقعودٍ وحركاتٍ؛ بل لقد أيقنوا أنهم في حال مقابلةٍ ولقاءٍ مع اللهِ، وقفوا وقفة عبدٍ يناجي مولاه الذي يعلم سرَّه ونجواه.

إنه مقامٌ مهيبٌ وموقفٌ رهيبٌ لا يمكنُ للعبدِ أن يلهوَ أو يغفلَ وهو يناجي مالكَ الملوكِ وربَّ الأربابِ، إنهم يعدون الغفلةَ بين يدي الله جرماً لا يُغفر

واستهانةً واستخفافاً بمقامِ الله، كيف يتجاهلُ العبدُ ربَّه وهو بين يديه يناجيه؟ وكيف ينشغلُ بغيرِ مولاه الذي أقبلَ عليه ووجَّهَ وجهَهُ إليه؟

عبادَ الله: لقد كان الصالحون على حرصٍ بالغٍ في توثيقِ علاقتِهم باللهِ وحريصون على أن يؤدوا طاعةَ اللهِ على أكملِ وجهٍ وبأحسنِ صوره بلا عجلةٍ وبمنتهى الدقةِ والإتقانِ، لأنهم على ثقةٍ ويقين بأن هذا العملَ سيعرضُ على اللهِ ومن حقِّ العظيمِ الجليلِ ألا يُقدَّمَ إليه إلا ما هو طيبٌ وجميلٌ وعلى أحسنِ حالٍ يليقُ بجلالِه حتى يقبلَه اللهُ كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآنِ العظيمِ ونفعنا بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ إنه تعالى جوادٌ ملكٌ برٌ رؤوفٌ رحيمٌ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.



الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الملكِ الجبارِ العزيزِ القهارِ العلي الأعلى ذي الجلالِ والإكرامِ والجودِ والإنعامِ سبحانك ربي ما أعظمَ شأنَك وأقوى سلطانَك سبحانك خضعت لهيبتِك الكائناتُ وضعت لعظمتك السماواتُ كنفيها وسبحت لك الأرضُ ومن عليها.

وأشهد ألَّا إله إلا أنت ولا معبودَ سواك تقدست أسماؤُك وتعالى شأنُك وعظمَ سلطانُك.

وأشهد أن محمداً عبدُك ورسولُك وخليفتُك في أرضِك صلى الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم.

أما بعد:

عبادَ الله: لقد كان المؤمنون يكنون للهِ من الحبِّ والولاءِ الشيءَ الكثيرَ وكان للهِ من المكانة والتعظيمِ في قلوبهم الشيءُ العظيمُ، كانوا يجلون اللهَ في كلِّ شيءٍ ويعظمون شعائرَه ويحترمون بيوتَه ويقدسون أنبيائَه والعلماءَ، كانوا لا يتجاسرون رفعَ أصواتِهم في محضرِ رسول الله ويتحاشون الجهرَ له بالقولِ تعظيماً لمقامِه وإجلالاً لحرمةِ الرسالةِ التي أتى بها من عندِ الله.

بل إن اللهَ قد أدّبهم بذلك ونهاهم عنه بقولِه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ۝ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وكذا فإن الله قد علمهم ألَّا يدعوا رسولَ اللهِ باسمه بل أمرَهم بتعظيمِه حتى في النداءِ بأن يقولوا يا رسولَ اللهِ يا نبيَّ الله، يا حبيبَ الله ونحو ذلك من الألقاب الكريمة والعظيمة قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذاً فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ

أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ذلك لأنه خليفةُ اللهِ في أرضه ورسولُه إلى خلقِه فأين نحن من تلك الآدابِ وأين هذه الأمةُ من تلك لقد أصبحنا في حالةٍ يُرثى لها فلا من اللهِ نستحي ولم يعد في القلوب وزنُ ذرةٍ من التعظيمِ للهِ والإجلالِ لمقامِه، لم نقدِّرِ اللهَ حقَّ قدرِه ولم يعد هناك من يعظمُ شعائرَه ويعظمُ حرماتِه ومقدساتِه بل إن هناك مَن يستخفُّ بالقرآنِ وينكت بآياته ويستهزئ بالعلماء ويسبُّهُم ويهتكُ أعراضَهم، ويستخف بمقامِهم ومكانتِهم حتى بيوت الله أصبحت مسرحاً للضحكِ والمزاح ولعبِ الأطفالِ بلا نكيرٍ، مع ما يصاحبُ ذلك من توسيخٍ لفرشِها وبصاقٍ في أرضِها، وتحدث بالقصصِ والأخبارِ بدلاً من تلاوةِ آياتِ الذكرِ الحكيمِ وتأمُّلها وطلبِ العلم وكثرةِ الأذكارِ والاستغفارِ إن هذا لعمري من قلةِ الدين ومن استخف بشيءٍ من شعائرِ اللهِ فإنه مستخفٌ بحقِ اللهِ ومتطاولٌ على مقامه، **عبادَ الله**: جهلنا بالله وقلَّتْ معرفتُنا به وقل تعظيمُنا وإجلالُنا له وثقنا بما في أيدي الناسِ ولم نثق بما عندَ اللهِ طمعنا بما عندَ البشرِ ونسينا فضلَ اللهِ، أحببنا كلَّ شيءٍ أكثرَ من حبِّنا للهِ- عظمنا أربابَ الدنيا والسلاطينَ واستخففْنا بعظمةِ اللهِ فكان جزاؤُنا أن سَلَّطَ اللهُ بعضَنا على بعضٍ وخفنا من كلِّ شيءٍ وأوكلنا الله إلى من يسومونا سوءَ العذاب فعشنا عبيداً لبعضِنا وخدماً لغيرنا وذلك جزاءُ الظالمين، ليس هناك من صلة لنا بالله، علاقَتُنا مع الله أوهنُ من خيطِ العنكبوتِ قطعنا حبالَ الوصلِ بأنفسِنا وبسوءِ أعمالِنا وقبحِ أفعالنا، صلاتُنا كلُّها لعبٌ وضحكٌ ووسوسةٌ، إن تصدقنا فمِن أبخسِ ما نملِكُ لا نذكرُ اللهَ في شيءٍ ولا نقدره في حالٍ وصدقَ اللهُ القائل ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ وقال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾ أين التعظيمُ لحرماتِه والإجلالُ لشعائرِه والخوفُ والرهبةُ منه؟

عبادَ الله: هناك مَن يعبدُ اللهَ خوفا من النارِ وهناك من يعبدُه طمعاً في الجنةِ، ولكن هناك صنفٌ ثالثٌ أعظمُ وأحبُّ إلى اللهِ منهما ـ سُمُّوا بالأحرارِ لم يدفعهم

لطاعةِ الله غرضٌ ولا مطمعٌ لا من نارٍ ولا إلىٰ جنة، ولكنهم عرفوا رباً عظيماً رحيماً بيده العزةُ وإليه ينتهي الفخرُ والعظمةُ وأنه المتفضلُ عليهم بالحياةِ والموجدُ لهم من العدمِ وأن كلَّ ما في الكونِ ملكٌ له وفي قبضته فأحبوه وعظموه واستحيوا منه حقَّ الحياءِ وعبدوه وأخلصوا له في الطاعة لا لشيءٍ بل لأنه أهلٌ لذلك وأهلٌ لأن يُعَظَّمَ وأن تُعفّر الوجوه علىٰ عتباتِ أبوابِه، لقد عَظُمَ في قلوبِهم وجلَّ قدرُه في نفوسِهم وتعالىٰ عندهم عزه وشأنه فطمعوا في خدمتِه وأحبوا قربَه أيقنوا بأنهم لو صاموا الدهرَ وقاموا حتىٰ تتخلعَ أصلابُهم وركعوا حتىٰ يصيروا كالحنايا وبكوا حتىٰ تنفدَ الدموعُ وسبَّحوه حتىٰ تكل ألسنتُهم ما ردوا له معروفَه وما أوفوه حقَّه ولا جازوه ببعض نعمه، لقد أحبوا الله حباً خالطَ قلوبَهم وملك جوانحَهم فكان أحبَّ إليهم من أنفسِهم وأهليهم ومن كلِّ شيءٍ قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ﴾ ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ بل لقد كان ذكرُ اللهِ وطاعتُه أحبَّ شيءٍ إلىٰ قلوبِهم يتلذذون به في كلِّ حينٍ فينسيهم ذلك ألمَ الجوعِ ولوعةَ العطشِ وألمَ الخوفِ وكلَّ ضررٍ لَحِقَ بهم، راحتُهم وسعادتُهم في طاعة الله لا رغبةَ لهم في غير الله ولا طمعَ لهم في سواه، الخيرُ كلُّه مع اللهِ والملكُ كلُّه بيدِ اللهِ، والعزةُ من اللهِ والرزقُ من عندِه فماذا بقي للفجرةِ والشياطين.

ما الذي يملكُه أهلُ الكفرِ والنفاقِ ليطمعوا فيه وما الذي بأيديهم ليعطوه وهم المفلسون الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله فأيهما أفضلُ أن يكونوا عبيداً لمالكِ الملكِ أم عبيداً لعبيدٍ مثلِهم.

نسألُ اللهَ أن يرزقنا معرفتَه وأن يسلكَ بنا سبيلَ الصالحين من عبادِه وصراط الذين أنعمَ عليهم من أوليائِه إنه وليُّنا ومولانا وهو حسبُنا ونعمَ الوكيل.

عبادَ الله: إن يومَكم هذا من شعائرِ الله التي أمرَ بتعظيمِهما وضاعفَ الأجرَ للمطيعين فيها، فعظموا هذا اليومَ بالعملِ وأجِلُّوه بتركِ العصيان، وأكثروا فيه من الصلاةِ والسلامِ على نبيكم الكريمِ امتثالاً لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾.

اللهم فصل وسلم على أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وصل اللهم وسلم على أخيه ووصيه من بعدِه الليثِ الغالبِ مولانا الإمامِ علي بنِ أبي طالبٍ، وصل اللهم على زوجته الحوراءِ فلذةِ كبدِ المصطفى فاطمةَ البتولِ الزهراءِ وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ، وصل اللهم على مولانا الإمام الولي بن الولي زيدِ بنِ علي، وصل اللهم على الإمامِ الهادي للحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيمَ وعلى سائرِ أهلِ بيتِ نبيئِكَ المطهرين دعاةً منهم ومقتصدين، وارضَ اللهم عن صحابةِ نبيِّك الأخيارِ من المهاجرين والأنصار، وارضَ عنا معهم بفضلِك ومَنِّك يا كريمُ، اللهم إنا نسألُك حبَّك وحبَّ من يحبُّك وحبَّ كلِّ عملٍ يقربنا إليك.

اللهم عرفنا بِكَ وارزقنا خوفَك وإجلالَ حرمتِك وتعظيمَ شعائرك واجعلنا من الراشدين، اللهم اجعلنا من حزبِك فإن حزبَك هم الغالبون واجعلنا من جندِك فإن جندَك لهم المنصورون، واجعلنا من أوليائِك فإن أوليائَك لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون.

اللهم انصر الإسلامَ والمسلمين واخذلِ الكفرةَ والملحدين والمفرقين بين المسلمين والصادينَ عن ذكرِكَ والمخربين لدينِكَ والمتقطعين في سبيلِكَ والمعادين لأوليائِك أينما كان كائنهم اللهم فرق جمعَهم وشتت شملَهم وأنزل عليهم بأسَكَ الذي لا يرد عن القوم الظالمين اللهم اكفنا الفتنَ ما ظهرَ منها وما بطنَ وجنبنا كلَّ شرٍّ وبليةٍ يا أرحمَ الراحمين اللهم اجعل بلدنا هذا وسائرَ بلادِ المسلمين آمنا مطمئنا يا ربَّ العالمين وآخر دعوانا ان الحمد لله ربِّ العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فاذكروا الله العظيم يذكرْكم واشكروه على نعمهِ يزدْكم ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.



[١٣]- مراقبة الله

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي إليه مصائرُ الخلقِ، وعواقبُ الأمرِ نحمدُه على عظيمِ إحسانِه، ونيرِ برهانِه، ونوامي فضلِه وامتنانِه حمداً يكونُ لحقِّه قضاءٌ ولشكرِه أداءٌ، وإلى ثوابِه مقربٌ، ولحسنِ مزيدِه موجبٌ، ونستعينه استعانةَ راجٍ لفضلِه مؤملٍ لنفعِه واثق بدفعِه معترف له بالطولِ، ومذعنا له بالعملِ والقولِ، ونؤمنُ به إيمانَ مَن رجاه، وأنابَ إليه واتقاه، وخضعَ له مذعنا، وأخلصَ له موحدا، وعظمَه ممجداً، وأنابَ إليه راغباً مجتهداً.

وأشهد ألّا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له وليُّ الصالحين، وغايةُ آمالِ العارفين، من ذِكرُه شفاءٌ، وطاعتُهُ غناءٌ، سابغُ النعماءِ، وكاشفُ الضرِّ والبلاءِ، وهو حسبُنا ونعمَ الوكيلِ.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المختارُ الداعي إلى اللهِ بإذنه والسراج المنير، النورُ الذي أضاءَ اللهُ به الصدورَ، وفتحَ به أعيُناً عُمياً، وآذانا صُماً، وقلوباً غلفاً صلى الله عليه وعلى آله الأخيارِ ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ.

أما بعد:

عبادَ الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّه حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ فتقوى الله هي أعظمُ وسيلة لبلوغِ رضوانِ الله، وتقوى الله: هي المراقبةُ للهِ في السرِّ والعلنِ.

المؤمن التقي: هو من يستشعرُ عظمةَ اللهِ في كلِّ حينٍ، يرى اللهَ في كلِّ شيءٍ، لا يغفلُ عنه ساعةً، ويذكره في كل حالٍ ولا ينساه.

والمؤمنُ هو من يذكرُ اللهَ تعالى في كلِّ حالاتِه، ولا ينساه، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

ألا وإنَّ أولَ ما يجبُ على المؤمنِ هو العلمُ باللهِ ومعرفتُه، ومن ثمارِ المعرفةِ باللهِ أن نعلمَ يقيناً بأن الله يرانا، وأنه مراقبٌ لنا مطلعٌ على أحوالنا، ولا يخفى عليه شيءٌ من أمرِنا، فلو أن عبداً عرفَ ذلك يقينا، وأشعرَ نفسَه بمراقبةِ اللهِ له لكفاه ذلك رادعاً عن معصيةِ اللهِ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾.

فالمراقبةُ للهِ: هي أعظمُ ما يقوي الإنسانَ، ويعينه على الثباتِ والاستقامةِ كما قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّه يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّه غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.

أمّا مَن لا يراقبُ اللهَ، ولا يشعرُ نفسَه بأن الله يراه فإنه لا شكَ سيوردُ نفسَه المهالكَ، ويقتحمُ المنكراتِ، لأنه يظنُّ في قرارةِ نفسِه بأنه بعيدٌ عن علمِ اللهِ، وأنه في معزلٍ عن رقابةِ اللهِ، وأنه غيرُ مطلعٍ عليه، بل تراه يخافُ من الناسِ، ويتسترُ منهم، ويتخفى عن أعينِهم، ثم يبارزُ اللهَ بالمعاصي، والعياذُ بالله.

قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّه بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾.

عبادَ الله: إن جهلَ الإنسانِ بربِه، وقلةَ معرفتِه لخالقِه، هي التي أوردته المهالكَ، الفرقُ بين المؤمنِ والفاجرِ هو العلمُ.

المؤمنُ يعيشُ بعلمٍ يرى بنورِ الله، الفاجرُ يعيشُ في جهلٍ يتخبطُ في ظلماتٍ

المؤمنُ يحسُّ بأنه تحتَ رقابةِ الله، وأن ورائَه مباحثَ، وأنه تحت المجهرِ مكشوفٌ لا يغيبُ لحظةً، ولا يخفى على اللهِ من حالِه شيءٌ، فتراه خائفاً يعملُ بحذرٍ، ويتكلم بميزانٍ، ويحاسبُ نفسَه على كلِّ حركةٍ وسكنةٍ.

أما الفاجرُ فإنه بجهلِه يظنُّ بأنه بعيدٌ عن رقابةِ اللهِ، وأنه يمكنُه أن يتخفى عن علمِ اللهِ واطلاعِه .

وقد ذكر اللهُ لنا حالَ المجرمين يوم ينكرون فعلَهم للفواحشِ بين يدي الله فينطقُ اللهُ الجوارحَ لتشهدَ عليهم بما فعلوا كما قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴿٢٣﴾﴾.

هنا العلةُ، وهنا محلُّ الخللِ هذا هو السببُ في تهورِكم في فعلِ المعاصي، السببُ في سوءِ ظنِّكم باللهِ، وجهلِكم بربِّكم، واعتقادِكم أنه لا يعلمُ كثيراً مما تعملون، وهذا هو الذي أرداكم، وأهلككم فأصبحتم من الخاسرين.

بل إن اللهَ تعالى يعاتب الإنسانَ على جهلِه بربه بقولِه عز من قائلٍ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾.

الذي ينسى ربَّه ويتجاهلُ خالقَه في الدنيا سيلقى جزائَه في دركاتِ لظى ومقطعاتِ النيرانِ يومَ ينساه اللهُ كما نَسِيَ ربَّه مِنْ قبلُ.

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا وَمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

عبادَ الله: إن علمَ الله عز وجل محيطٌ بالكائناتِ لا يخفى عليه شيءٌ في الأرضِ، ولا في السماءِ، يعلمُ السرَّ وأخفى، يعلم خائنةَ الأعينِ وما تخفي الصدور، يعلم ما يلجُ في الأرضِ وما يخرجُ منها وما ينزلُ من السماءِ وما يعرجُ فيها وهو معكم أينما كنتم، ويعلمُ ما في البرِّ والبحرِ، وما تسقطُ من ورقةٍ إلا يعلمُها، ولا حبةٍ في ظلماتِ الأرضِ ولا رطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتابٍ مبين ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا

عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

يا من يرى مدَّ البعوضِ جناحَها ... في ظلمةِ الليلِ البهيمِ الأليلِ
ويرى نياطَ عروقِها في نحرِها ... والمخَّ في تلك العظامِ النُّحَّلِ
اغفر لعبدٍ تابَ من زلاتِه ... ما كان منه في الزمانِ الأولِ

يدعوه التائهُ في القفارِ فيسمعُ ندائَه، ويجيبُ دعاءَه، يستغيثُه الملهوفُ في لُجج البحارِ، فيغيثه ويلبي دعاءَه، يدعوه المضطرُّ في الظلماتِ فيجيبُه، ويكشفُ بلواه ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

عبد الله: راقبَ الله، واستحيي منه حقَّ الحياءِ فهو الذي يراك حين تقومُ، وتقلُّبكَ في الساجدين، ولا يخفى عليه من أمرِك شيءٌ، وهو العالمُ بما تُكِنُّ الضمائرُ، وما تخفي السرائرُ يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تخفي الصدورُ، فلا تغفل عنه، وإياك بأن تنسى مراقبتَه لك، وتمثل دوما بقولِ الشاعر:

إذا خلوت الدهر يوما فلا تقل ... خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن اللهَ يغفلُ ساعةً ... ولا أنَّ ما تُخفي عليه يغيب

نسألُ اللهَ تعالى أن يرزقَنا خوفَه، وحسنَ المراقبةِ له في السرِّ والعلنِ، والخشيةَ له في القولِ و العملِ إنه قريبٌ سميعٌ مجيب.

أقول ما تسمعون واستغفر الله العظيمَ الجليلَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

أعوذ بالله من الشيطانِ الرجيم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِى تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾.

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ۝ قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً﴾.

الحمد لله عالمِ الغيبِ والشهادةِ العليمِ الخبيرِ الذي لا تخفى عليه خافيةٌ في الأرضِ ولا في السماءِ وما يعزبُ عنه من مثقالِ ذرةٍ، يعلمُ ما نُخفي وما نُعلنُ ولا يخفى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ وهو بكلِّ شيءٍ عليم

وأشهد ألّا إله إلا الله العالمُ بما توسوسُ به الصدورُ وما تكنه الضمائرُ وما تخفي السرائرُ.

وأشهد أن محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه المختارُ، عليه وعلى عترتِه الأطهارِ أفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليمِ.

أما بعد:

عبادَ الله: جاء في الأثرِ أن جبريلَ عليه السلام جاءَ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن الإحسانِ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((الإحسانُ أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)).

الإحسانُ في العبادةِ أن يعبدَ المؤمنُ ربَّه على وجهِ الحضورِ والمراقبةِ كأنه يراه بقلبِه، وأن يُشعِرَ نفسَه بأن اللهَ يراه، حين يصلي ومطلعٌ على قلبه وسريرتِه، ويعلمُ بنيتِه فإذا استشعر كلَّ ذلك أدّى عبادتَه على أكملِ وجوهِها، وقام بطاعةِ ربِّه على أحسنِ حالاتِها، وإذا علمَ في قرارةِ نفسِه بأن اللهَ مطلعٌ عليه وأن عملَه سيعرضُ على ربِّه أحسنَ في فعلِه، واجتهدَ وجد في إخلاصِ عملِه، وتذكرَ قولَ اللهِ تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّه عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

عبادَ الله: رُويَ أن رجلاً اختلى في غابةٍ ليفعلَ المعصيةَ، وظنَّ في نفسِه ألَّا أحدَ يراه، رأى الشجرَ قد غطاه ونسي اللهَ، ورأى الليلَ قد سترَه وحماه وآواه، ونسي اللهَ، ثم قال في قرارةِ نفسه وقد أقبل على المعصيةِ هنا لا يراني أحدٌ، ولا يعلمُ بي أحدٌ فسمع هاتفاً يقولُ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾.

وُرِوَي أن رجلاً شكا إلى أحدِ العُبَّادِ فقال له: إني لا أستطيع الصبرَ عن المعصيةِ ولا طاقةَ لي بالكفِّ عنها.

فقال له العابد: إن شئتَ أن تعصيَ اللهَ فاعصه في مكانٍ لا يراكَ فيه.

فقال الرجل، وأين أذهب واللهُ محيطٌ بكل شيء عِلْماً؟!

قال: ألا تستحي أن تعصيَه وهو يراك؟

فعاد الرجلُ إلى رشدِه، وتابَ إلى الله.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّه بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً﴾

أرسلَ اللهُ تعالى نبيَّه موسى عليه السلام، وأخاه هارون إلى فرعونَ وأمرَهم بأن يبلغوه رسالةَ الله.

فردَّ موسى عليه السلام، وقال: يا ربِّ إنَّ بلساني ثقلاً ولهم عليَّ ذنبٌ وجنايةُ قتلٍ فأخافُ أن يقتلون.

فأمرَه اللهُ أن يمضيَ لما أُمِرَ، ولا يخاف، وعلمه درساً في الثباتِ فقال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ وكان هذا الدرسُ كفيلاً بأن يقلبَ كلَّ الموازين في حياةِ موسى عليه السلام، وأن تتعمقَ صلتُه بربِّه، وتزداد ثقتُه ويقينُه بأن الله تعالى لن يخذلَه، وأنه قريبٌ منه في كلِّ حينٍ، وقد أثبت عليه السلام نجاحَه في هذا الاختبارِ، واستيعابه لذلك الدرسِ بعد حينٍ من الزمنِ وذلك عندما خرجَ من مصرَ مع من آمنَ به من قومِه وتبعهم فرعونُ بجنودِه وحالَ عليهم البحرُ من أمامِهم، وفرعونُ من خلفِهم، فوقع موسى وقومُه في اختبارٍ صعبٍ يبين مدى

قوةِ إيمانِهم بالله وسرعانَ ما انكشفت الحقائقُ وبان ضعيفُ الإيمانِ من القوي فقالوا: يا موسى إنا لمدركون ﴿هلكنا﴾ تزعزعَ إيمانُهم ونقصَ يقينُهم، فردَّ عليهم موسى وكلُّه ثقةٌ باللهِ: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ۝٦٢﴾.

لم يقلْ موسى عليه السلام: إن معنا، بل قال: معي وحدي، أما أنتم فقد نسيتموه فنسيكم. ﴿نَسُواْ اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ وذلك جزاءُ الظالمين.

أما الواثقُ باللهِ المتكلُ على اللهِ، المفوضُ أمرَه إلى اللهِ، والذاكرُ له، سيكونُ اللهُ عونَه وأنيسَه، والمفرجُ عنه كلَّ كربةٍ كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾

ولقد تكررَ مثلُ هذا المشهدِ في قصةٍ مماثلةٍ ومع نبي من أنبياءِ اللهِ ألا وهو خليلُ الرحمنِ إبراهيمُ عليه السلام يومَ كادَه النمرودُ وقومُه وجمعوا الحطبَ له ليحرقوه، وأوقدوا النارَ، وأشعلوا الحطبَ، وإبراهيمُ عليه السلام يومئذ مقيدٌ مكبلةٌ يداه ينظر إلى نارٍ قد تَلَهْجَمَ لظاها، واشتد حماها، وإنها لتحرقُ الطيرَ في جوِّ السماءِ من شدةِ حرِّها، وإبراهيمُ عليه السلام ينظرُ حولَه ويتأملُ في ما أعدوه له، ولا يرى من يمدُّ له يدَ العونِ أو يرفقُ بحالِه أو تأخذُه الشفقةُ عليه حتى أهله وأقاربه قدموه قربانا لتلك الأصنامِ، وحكموا عليه بالإحراقِ والإعدام، ولكن إبراهيمَ عليه السلام كان أقوى من أن يتسللَ إلى قلبِه الخوفُ، لقد كان واثقاً باللهِ، موقنا بنصر اللهِ، ومن كان اللهُ في عونِه فهو حسبُه، فلما عاين عليه السلام هذا الموقفَ رفعَ طرفَه إلى السماءِ ولسانُ حالِه يقول: ﴿حسبي الله ونعم الوكيل﴾، فعند ذلك ضجت الأملاكُ في السماءِ وأشفقت عليه الأرضُ والسماءُ، وهكذا المؤمن يحنُ عليه كلُّ رطبٍ ويابسٍ ويشفقُ عليه كلُّ مخلوقٍ لأنه مطيعٌ للهِ، واثق باللهِ، عابدٌ للهِ- فمن خاف اللهَ خافَ منه كلُّ شيءٍ، ومن أطاعَ اللهَ أشفق عليه كلُّ شيء- ونادت الأرضُ والسماءُ، والجبالُ والملائكةُ: ربنا عبدُك إبراهيمُ يحترقُ فيك فأذن لنا في نصرتِه.

فقال جل جلاله: (أنا أعلمُ به، وإنْ دعاكم فأغيثوه).

ولكن هيهاتَ هيهاتَ أن يستنجدَ ذلك العبدُ المؤمنُ بغيرِ ربِّه، وهيهاتَ أن يطلبَ الغوثَ من سواه فقد قال كلمتَه الفاصلةَ (حسبي الله ونعم الوكيل) فهو وحده يكفيني ولا أدعو سواه.

عند ذلك، قُذِفَ بإبراهيمَ عليه السلام في النارِ.

فاستقبله جبرائيلُ عليه السلام في الهواءِ، فقال يا إبراهيمُ ألكَ حاجةٌ.

فقال إبراهيمُ لجبريلَ عليهما السلام: أمّا إليك فلا.

فقال جبرائيلُ: إذن فاسأل ربَّك.

فقال إبراهيم عليه السلام: حسبي من سؤالي علمه بحالي ـ أي هو أعلم بي وأدرى بحالي، وما أحتاجه في هذا الحال، وهذا يغني عن سؤالي ـ

فقال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ وبهذا الأمرِ تلقت النارُ الملتهبةُ بجمرِها المتسعرِ نبيَّ اللهِ إبراهيمَ عليه السلام كما تتلقى الأمُّ وليدَها لم يمسسْهُ من لهبِها ضرٌّ ولا بأساء، إلا ما أحرق القيودَ وفكَّ عنه تلك الأغلال ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾

وتكررَ مشهدٌ آخرُ مع نبيِّنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو مع صاحبِه في الغارِ حين طاردته فلولُ قريشٍ ليلةَ الهجرة إلى المدينةِ ولحقوا به، وقد التجأ في غارِ ثورٍ، ووصلوا إلى بابِ الغار فقال له صاحبُه: لو نظروا تحتَ أقدامِهم لرأونا، قد ينسى المرءُ أحيانا أن وراءَه قدرةً خارقةً، وعنايةً ربانيةً لا تغيبُ عنه، وقد يتسللُ إلى قلبِه الخوفُ والوجلُ لأمرٍ مّا ولكنَّ المؤمنَ دائماً يعودُ إلى رشدِه في النهاية ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾

فقال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما رأى خوفَ صاحبِه وما هو فيه من الجزع: ((ما ظنك باثنين اللهُ ثالثُهما)) فهو يُذَكِّرُهُ بأن هناك قوةٌ وقدرةٌ حاضرةٌ في ذلك الوقتِ، لها القدرةُ على أن تحولَ بين هؤلاءِ المشركين وبينما قصدوه من الأذى والكيد.

فبهذه الثقةِ، وبهذا اليقينِ الصادقِ الذي كان يفيضُ به قلبُ النبي صلى الله

عليه وعلى آله، وما كان يحملُ في صدرِه من توكلٍ، واعتمادٍ على الله نجَّاه اللهُ هو وصاحبُه من كيدِ الكافرين، وحكى ذلك في القرآنِ ليكونَ درسا لكلِّ مَن ضَعُفَ إيمانُه ووهنت ثقتُه بالله.

فقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

فمشكلةُ الناسِ في هذا الزمانِ، تكمنُ في ضعفِ إيمانِهم باللهِ، وقلةِ المعرفةِ باللهِ، وجهلِهم بصفاتِ الله العظمى ونسيانِهم لرقابةِ اللهِ، والتي بسببِها ضلَّ كثيرٌ من الخلقِ، واستباحوا المحرماتِ، وارتكبوا الفواحشَ ظناً منهم بأن الله لا يعلمُ كثيراً مما يعملون.

فيأتي البائعُ فينسى ربَّه الذي يعلمُ السرَّ وأخفى فيغشُّ في بيعِه، ويطففُ في كيلِه، ويحتكرُ السلعَةَ، ويبخس البائعَ بضاعتَه.

يأتي العاملُ فينقصُ في عملِه، ويخون أمانتَه، ويهملُ واجبَه، وهو يظنُّ أنه بعيدٌ عن الله.

يأتي الحاكمُ والقاضي فيداهنُ ويُزَوِّرُ أحكامَ اللهِ، ويحكمُ بما لم يأذن به اللهُ، وهو يظنُّ بأنه في معزلٍ عن رقابة الله، وواللهِ ما ذهبَ عن قبضةِ اللهِ، وليس له من فكاكٍ.

ألا يعلمون أن اللهَ قد أرسلَ رسولَه ﷺ من أجلِ أن يُعَلِّمَ الأمةَ بربِّها، ويربطَها بخالقِها ومنشئِها وفاطرِها، وأن يذكرَ الناسَ بخالقِهم، وأن يذكروا بأنه يراهم، ويعلمُ سرَّهم ونجواهم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

لو أيقنَ الناسُ بكلِّ هذا لاستقامت أمورُهم، وصلح حالُ الأمةِ، ولكن بسببِ ضعفِ اليقينِ باللهِ، وعدمِ استشعارِنا لرقابةِ اللهِ، قَلَّت الخشيةُ من القلوبِ، ونقص الخوفُ من النفوسِ؛ فأكلوا الحرامَ، وارتكبوا الآثامَ، واستحلوا الربا، واستباحوا الزنا، وانتشر البخسُ والغشُّ في البيعِ والشراءِ، وخان الموظفُ وظيفتَه، وأهملَ العاملُ عملَه، وقصرَ الأجيرُ في واجبِه، وانتشرت الرشوةُ، وكثر النصبُ والاحتيالُ، وأُكِلَت الأموالُ بالباطل.

فضاعَ الحقُّ، وكثرَ الفسادُ، وقحطت البلادُ، ثم دعونا اللهَ فلم يُجِبْ دعائنا، ولم يسمعْ ندائَنا لسوءِ فعالنا، وكثرةِ ذنوبنا ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

ألا وصلوا وسلموا على من أمرَكم اللهُ بالصلاةِ عليه أبي الطيبِ، والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وعلى أخيه ووصيِّه، وبابِ مدينةِ علمِه الليثِ الغالبِ علي بنِ أبي طالبٍ، وعلى زوجتِه الحوراءِ خامسةِ أهلِ الكساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراء، وعلى ولديها الإمامين قاما أو قعدا أبي محمدٍ الحسنِ المسمومِ، وأبي عبدِ اللهِ الحسين المظلوم وعلى التقي الولي الإمام الأعظم زيدِ بنِ علي، وعلى إمامِ اليمنِ محيي الفرائض والسنن الهادي إلى الحقِّ القويم يحيى بن الحسين بن القاسمِ ابن إبراهيم، وعلى من بيننا وبينهم من الأئمة الهادين دعاةً منهم ومقتصدين، وارض اللهم عن الصحابة الأخيار، وعنا معهم بمنك، وكرمك يا أرحم الرحمين.

اللهم انصر الإسلامَ والمسلمين وأعز أولياءَ الدين، اللهم وَحِّدْ كلمةَ المسلمين وأعلي مقامَهم، وثبت أقدامَهم، وأثبهم فتحاً قريباً.

اللهم دمر الكفرةَ والملحدين، والجاحدين والمخربين للدين، اللهم شتت شملَهم، واطفِ نارَهم، واجعل الدائرةَ عليهم واجعلهم غنيمةً للمسلمين، وعبرةً للمعتبرين، وأنزل عليهم بَأْسَكَ الذي لا يُرد عن القوم الظالمين.

اللهم اسقنا الغيثَ وأمنا من الخوفِ، ولا تجعلنا من القانطين، ولا تهلكنا بالسنين برحمتِك يا أرحمَ الراحمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.



[١٤]- بعض ما نحن فيه اليوم

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا يبلغ مدحتَه القائلون، ولا يحصي نعماءَه العادُّون، ولا يؤدي حقَّه المجتهدون، الذي لا يدركه بُعْدُ الهمم، ولا يناله غوصُ الفطن، الذي ليس لصفته حدٌّ محدود، ولا نعتٌ موجود، ولا وقتٌ محدود، ولا أجلٌ ممدود، فطر الخلائقَ بقدرتِه، ونشر الرياحَ برحمتِه، أولُ الدينِ معرفتُه، وكمالُ معرفتِه التصديقُ به، وكمالُ التصديقِ به توحيدُه، وكمالَ توحيدِه الإخلاصُ له، وكمالُ الإخلاصِ له نفيُ الشبيه عنه.

وأشهد ألّا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، شهادةً ممتحن إخلاصُها معتقداً مصاصها، نتمسكُ بها أبدا ما أبقانا، وندخرُها لأهاويلِ ما يلقانا، فإنها عزيمةُ الإيمانِ، وفاتحةُ الإحسانِ، ومرضاةُ الرحمنِ، ومدحرةُ الشيطان.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه: أرسله بالدين المشهورِ، والعلمِ المأثورِ، والكتابِ المسطورِ، والنورِ الساطعِ، والضياءِ اللامعِ، والأمرِ الصادعِ، صلى الله عليه وعلى آله الولاةِ، سفنِ النجاةِ وسلمَ تسليماً كثيراً.

يا سيدي يا رسولَ الله معذرةً ... إذا كبا فيك بياني وتعبيري
ماذا أفيكَ من حقٍّ وتكرمةٍ ... وأنت تعلو على ظني وتقديري

أما بعد:

عبادَ الله: يقول المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((بدأَ الإسلامُ غريباً، وسيعودُ غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء)).

إن المتأملَ لحالنا نحنُ المسلمون اليومَ، وحالِ زمانِنا، وما ظهر فيه من الآفاتِ والفتنِ وانفتاحٍ على الدنيا وزخرفِها، وإقبالٍ على اللهوِ والترفِ فيها، وعزوفٍ عن

الآخرةِ وثوابِها، وتركٍ للدين ومعالِمه، وهجرٍ للعلم والعلماءِ، واستخفافٍ بالدين وأهلِه، وتعظيمٍ للدنيا وأبنائِها، وتعطيلٍ لحدودِ اللهِ، والمجاهرةِ بالعصيان عياناً، ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، دون حياءٍ أو خجلٍ، على مرأى ومسمعٍ من البشرِ.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، ولكن يا للأسفِ: ليس هناك مَن يأمرُ بمعروفٍ أو ينهى عن منكرٍ غيرةً للهِ، وانتصاراً لدينِه إلا مَن رَحِمَ الله، لقد غدى صاحبُ الدين خائفاً مغموراً ضعيفاً وحيداً لا يُسْمَعُ قولُه، ولا يُلتفتُ إلى رأيِه، وأصبحَ الظالمُ صاحبَ الكلمةِ العليا، يتجبرُ في أرضِ اللهِ، يعثوا فيها فساداً، يستعبد العبادَ، ويجاهرُ بالعنادِ و يقربُ العصاةَ ويدنيهم، ويستذلُّ المتقين ويجفوهم، حتى غدا المعروفُ منكراً والمنكرُ معروفا.

بَــحَّ المنــادي والمســامعُ تشــتكي صــمماً وأصــبحتِ الضــمائرُ تُشــتَرى

إن المتأملَ لهذهِ الحالةِ المؤسفةِ التي آلَ إليها البلادُ والعبادُ، يشعرُ بالرهبةِ والخوفِ الشديدِ من عواقبِ هذه الحالِ التي نحن فيها، إذ قد قست منا القلوبُ، وتحجرت العيونُ، وهُجِرَ كتابُ علامِ الغيوب، لا يُقْرَأُ: وإن قُرِأَ قُرِئَ، والقلوبُ ساهيةٌ لاهيةٌ في لججِ الدنيا، وأوديتها سابحةٌ، بل جعلت البركة في مجرد حملِه وتلاوتِه، وتُرِكَت بركتُه الحقيقيةُ المتمثلةُ في أتباعه وتطبيقِ أحكامه، ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾.

اختلط الحابلُ بالنابلِ، ورُمِيَ حبلُ الدينِ على غاربِه، وزعم الغافلُ خفاء الحقِّ، وهو أظهرُ من الشمسِ في رابعةِ النهار ولكنه الهوى وما أدراك ما الهوى!!

وإذا النفوسُ رضـعت مـن ثـدي الهـوا فالمســتحيلُ المســتحيلُ فطــامُ

❁❁❁❁❁

قد تُنكرُ العينُ ضوء الشمس مـن رمـدٍ وينكرُ الفمُ طعمَ الماءِ مـن سَـقم

حتى ادعى الإسلامَ من ليس أهلِه، ونُسِبَ إلى الإيمانِ من لا يعرف حده، تراه تاركاً للصلاةِ، مفطراً لشهرِ الله، يكنز المالَ، ويمنع حقَّ اللهِ فيه، ويُسَوِّفُ الحجَ حتى يأتيَه الأجلُ ويوافيه، أو يَضْعُفَ جسدُه ويحلَّ البلاءُ فيه، ثم ينكر وجوبَه بدعوى الضعفِ، وقلةِ المالِ.

مالُه من الربا، وأعمالُه رياء، وأصحابُه أشقياءُ، استبدل الذكرَ بالغناءِ، وهَتْكِ أعراضِ أهلِ التقى، أكره شيء لديه العلماءُ، يرجو الجنةَ ولا يعملُ لها، ويستجيرُ من النارِ وهو أولى بها، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّه أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

ومنا من حالُه حالَ الآلةِ المؤقتة، والحيواناتِ المدربةِ، يؤدي الصلاةَ بجوارحِه ولسانه و يلفظ بما لا يوافق قلبه، لا يتم ركوعَها ولا سجودَها وينقرُها نقرَ الديكةِ للحَبِّ، وهو عنها لاهٍ مبعد، يفكر في المعصيةِ وهو يؤدي الطاعةَ، لا يهتم بطهارةٍ، ولا يعرفُ ألفاظَ الصلاةِ ولا يسبغُ الوضوءَ.

لم يخصص وقتاً لتعلمِها، ولا فهم علةَ وجوبِها، وعظمَ منزلتِها، إن أداها فعلى عجلٍ ، وإن عزم لها أصابَه الكسلُ، وإن قام لجماعةٍ أخرجه منها الملل. ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلَاةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّه إِلَّا قَلِيلاً﴾ ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾.

وأما صيامُه فعن المأكلِ والمشربِ، لا حرجَ إن أكل إلى أذانِ الفجر، ويتعمدُ الإفطارَ قبلَ دخولِ الليلِ، يقضي النهارَ نائما، وإن قام أخافَ أهلَه وآذى جيرانَه، لا يصبر على أتفهِ الأسبابِ، ولا يتنازل عن سهو في مقال، وأكثرُ كلامِه القيلُ والقالُ، لا يتحرى من سماعِ لغوٍ أو غناءٍ، ومغرم بالنظرِ للنساءِ، الدكاكينُ والأسواقُ أفضلُ أمكنتِه، وتقاربُ أيامِ الشهرِ للنفادِ أمنيتُه و لا يتحسرُ لفواتِ طاعةٍ، ولا يندمُ على فعلِ معصيةٍ، يقضي نهارَه في هفواتٍ وليلَه على الأفلام والمسلسلات.

وأما زكاتُه فلا يخرجُها إلا بتكلفٍ، يعدها مغرما، يُعطيها من لا يستحقُّها، ويتبعها منّاً وأذى.

وأما حجُّه إن حجَّ فرفثٌ وفسوقٌ، يفعلُ المحظورَ ولا يفدي، ويرتكبُ كلَّ منهي عنه ولا يستبري، لا يعرفُ مناسكَ الحجِّ ولا يستفتي، يمشي مع من مشى، ويرمي مع من رمى، يقلدُ الجهالَ والجمَ الغفيرَ، ويتركُ العَالِمَ البصيرَ، وبعد عودته يدّعي ضلالَ أهلِ ملتِه، وعلماءَ مذهبِه، ويدعي أنهم على غير شيءٍ، وأن الحقَّ مع غيرِهم، بلا دليلٍ ولا حجةٍ، ويغتر بالجمِّ الغفيرِ والجمعِ الكثيرِ ظنا منه أن الحقَّ بالكثرةِ، ونسي قولَ المولى جلَّ ذكرُه: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾، وقول الإمام علي عليه السلام: ((إن الحقَّ لَا يُعرف بالرجالِ وإنما الرجالُ يعرفون بالحقِّ فاعرفِ الحقَّ تعرف أهلَه قلُّوا أو كثروا)).

عبادَ الله: إن هذه الحالةَ -وللأسفِ- هي ما عليه أغلبُ العوامِ، لا يسمعون نصحاً، ولا يهتدون سبيلاً، لا يحضرون مجلسَ ذكرٍ، ولا محضرَ وعظٍ، ولا يزورون عالماً.

ترى الواحدَ منهم يعيشُ في عزلة، ويعيشُ في غفلةٍ، قد شُغِلَ بالعاجلِ عن الآجلِ وبالدنيا عن الدينِ، لا يسألُ عن أمورِ دينِه، ولا يلجأُ إلى ركنٍ وثيقٍ، ولا يرجعُ إلى عالمٍ يستفتيه بل يفعل ما وافق هواه.

لا يسمع وعظاً ولا ذكراً إلا يومَ الجمعةِ إن كان فارغاً، وإن حضر الخطبةَ كان مشغولَ البالِ، شاردَ الذهنِ، وقد يغلبه النعاسُ لشدةِ التعب، ويستسلمُ للنومِ، فلا يوقظه إلا إقامةُ الصلاةِ، فيقومُ لا ليعيدُ وضوءَه، بل ليصطف مع المصلين، ويؤدي صلاتَه بلا وضوءٍ، وعلى غيرِ طهارة.

فهذه كلها ثمراتُ الجهلِ الذي هلكَ بسببِه كثيرٌ من الخلقِ، وضلوا عن سواءِ السبيل، وإذا نصحت الواحدَ منهم قال في أنفةٍ وكبرٍ: (كلُّ شيءٍ ظاهرٌ) كلُّ قد عرف ما له وما عليه، وطريقُ الحقِّ واضحةٌ.

يظنون بأنفسهم الصلاحَ، ويحسبون أنهم مهتدون، وهم الأخسرون أعمالاً كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾ ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

أضاع نفسَه، وأضاعَ أولادَه، وأهلك نفسَه وأهله، وضيعَ أمانةَ اللهِ التي أودعه إياها، وأمر الله القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

فأهمل أولادَه وجهَّلَهم، ولم يربهم ولم يعلمْهم، ونسي قولَ النبي ﷺ: ((لعنَ اللهُ من جَهَّلَ أهلَه، لعنَ اللهُ من جهل أهلَه، لعن الله من جهلَ أهله))

فترى أولادَه في السفهِ خائضون، ومع رفقاءِ السوء تائهون، يضيعون الصلاةَ، ويرتكبون المعاصي ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾.

ثم يدعي كذباً أنه لا يستطيع منعهم، وأنهم غيرُ مطيعين له، أما إذا خالفَه أولادُه في شيءٍ هو له فتراه يضربُ ويطردُ ويشرِّدُ، يلجأُ إلى أنواع العنفِ حتى يرغمَهم على فعلِ ما أمرَهم به.

أما النساءُ ففي البيتِ وفي المزارعِ، أشبه ما يكونون بالبهائمِ، إلا أنهم ينطقون فلا صلاةَ يعرفون، ولا وعظَ يسمعون، إن صَلَّتْ صلتْ في غير طُهْرٍ، وتترك الصلاةَ إن عرض لها عذرٌ ولو كان تافها، كعرسٍ أو زيارةٍ، تصلي بعض الصلواتِ من قعودٍ، وبعضَها من غيرِ قراءةٍ أو تسبيح، تسمع باسم جنةٍ لا تعلمُها، وتسمعُ بذكرِ نارٍ ولا تعرف كنهَها، جهلٌ على جهلٍ، وظلماتٌ بعضُها فوقَ بعض.

ولا تسألْ عن الأرحامِ وقطيعتهم، والمالِ ومكاسبِه، والمواريثِ والحقوقِ للجارِ والأولادِ والنساءِ ونحو ذلك، فكلنا يعلمُ التقصيرَ في ذلك، فهو أظهرُ من أن يُذكر، وأعرف من أن يُعرف، وهكذا تجري الأيامُ وتتبعها الليالي، وتنقضي الشهورُ والأعوامُ وتفنى الأعمارُ دونَ يقظةٍ منا ولا توبةٍ، ولا خوفٍ ولا أوبةٍ، فيا حسرةَ المقصرين، يومَ يقولون نادمين حين لا ينفعُ الندمُ ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾.

فيا أصحاب الإنصافِ، ويا أهلَ العقولِ: هل هذه هي العبادةُ التي أمرنا اللهُ بها؟ وحثنا عليها، وهل أعد الله الجنة وما فيها لمن يفعلُ هذه الأفعالَ، ويتحلى بهذه الصفاتِ؟، وهل أمرَ اللهُ ملائكتَه، وأشرفَ خلقِه بخدمةِ هذه الطوائفِ في الجنةِ، نعوذُ باللهِ من الشقاءِ وسوءِ المنقلبِ ومن الضلالةِ والعمى.

جعلنا اللهُ وإياكم من الرابحين السعداء، يوم يخسر المبطلون الأشقياء، إن ربي وليُّ النعماءِ، وكاشفُ الضرَّ والبلاء.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾.



الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله العلي العظيمِ المدبرِ لخلقهِ كما يشاءُ وهو الحكيمُ العليمُ، حرم على عبادِه كلَّ ما يضرُّهم في دينِهم أو دنياهم رحمةً بهم وهو الغفورُ الرحيم، وجعل تعاطي ما حرَّمَه عليهم سبباً للخسرانِ في الدنيا والدين، وأوجب على المؤمنين أن يتعاونوا على البرِّ والتقوى، وأن يأخذوا على أيدي السفهاء فيأطروهم على الحق أطراً، فإن فعلوا ذلك استقامت أمورَهم وصلحت أحوالُهم في الدنيا والأخرى، وإن هم أضاعوا ذلك وأهملوا ذلك خسروا الصفقة ووقعوا في الهلاكِ والردى، نحمده على نعمِه التي لا تُحصى ونشكره على فضائِله العظمى.

وأشهد ألّا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ يومَ يجمعُ الخلائقَ في صعيدٍ واحدٍ ويجزي كلَّ نفسٍ بما تسعى.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه الصابرُ للهِ وباللهِ وفي اللهِ حتى أقامَ اللهُ به الدينَ صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:-

عبادَ الله: أيها المؤمنون، استيقظوا، انتبهوا، أفيقوا، ارجعوا إلى الدليلِ المرشدِ، والدستورِ الرباني، والرسالةِ الإلهيةِ، وتصفحوها، وتفقهوا أقوالَها، أهي مطابقةٌ لما نعملُ؟ أم أنها في جانبٍ ونحن في جانبٍ آخر.

عبادَ الله: والله إننا لنخشى أن نصبحَ في زمرةِ مَن قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾

عبادَ الله: إننا قد ابتعدنا عن الدين بما تعنيه الكلمةُ، وتلبسنا بجلبابٍ حسبناه جلبابَ التقوى، فإذا هو دثارُ الغرورِ، وتسمينا بالمسلمين، اسم بلا معنى، إذ أخذنا ديننا من غيرِ أهلِه، واستقيناه من غيرِ منبعِه، واللهُ تعالى يقول: ﴿فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

ويقول الرسولُ ﷺ: ((إن هذا العلمَ دينٌ فانظروا عَمَّن تأخذون دينَكم عنه)).

علْمُنا بأوامرِ اللهِ محدودٌ، أوامرٌ ونواهٍ مستقلةٌ، مجردُ كلماتٍ جوفاء، نفهمها على غير معناها، ونفسرُها على حسبِ أهوائنا، اعتمادنا في عبادتنا على فهمٍ خاطئٍ، أو روايةٍ كاذبةٍ، أو قصةٍ غير واقعيةٍ، أو مثلٍ مضروبٍ أخذناه ممن جَهْلُه بالدينِ كجهلِنا به، ولا تسمعُ من أحدِنا قال الله وقال رسولُه، هكذا نشأ التفقهُ في الدينِ لدى الكثيرِ من العوامِّ، ثم نشأ من بعدهم جيلٌ جديدٌ، فطرَه اللهُ على فطرتِه التي فطرَ الناسَ عليها و ترعرعَ في أحضانِ والديه، وعلمه كلٌ منهما مما لديه، فنشأ نشأةً جاهليةً وعلى طريقةٍ منحرفةٍ، كما قال رسول الله ﷺ: ((كل مولودٍ يولدُ على الفطرةِ، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)).

وعلى هذه الطريقة مضى الناسُ، حتى أضحت أكثرُ العباداتِ والشعائر الروحية أشبه ما تكون بعاداتٍ فطريةٍ، وتقاليدَ عرفيةٍ، كغيرها من العاداتِ، شبَّ عليها الصغارُ وشاب عليها الكبارُ، توارثوها قانعين بها راضين عن أنفسهم بفعلها،، غير ملتفتين إلى دليل يقنعهم بها، وبشروط معرفتها وكيفية تأديتها، وما يُبطلُها أو يُفسدُها، تراهم مكتفين بالتقليدِ الأعمى، بلا دليلٍ ولا كتابٍ ولا سراجٍ منيرٍ، لا يسئلون عن أمورِهم عالماً، ولا يلتزمون بتقليدِ محقٍّ، بل تراهم يتعمدون الجهلَ، ويتجنبون العلمَ، وإن علموا تجاهلوا، ويسعوا جادين للبحثِ عما يُبعدهم عن العلمِ والعلماءِ وعن مجالسِهم، ويتعللون أنهم لا يريدون التعلمَ حتى لا يتحملوا حجة العملِ بما عَلِمُوا، عذرٌ أقبحُ من ذنبٍ.

ألم يعلموا أن تَعلُّمَ ما أوجبَ الله واجبٌ؟ وأن الجهلَ ليس بعذرٍ عندَ الله سبحانه وتعالى، بل يتوجبُ العقابُ على من جهلَ ولم يتعلم، وإذا دعوا إلى ما يصلحُهم جعلوا أصابعَهم في آذانِهم وأصروا واستكبروا استكبارا

مــن قلــد الآراءَ ضــلَّ عــن الهُــدى ... ومن قَلَّدَ المعصومَ في الدينِ يهتــدي

يقولُ الرسولُ ﷺ: ((من أخذَ دينَه عن التفكرِ في آلاءِ الله تبارك وتعالى وعن التدبرِ لكتابِه والتفهمِ لسنتي زالت الروسي ولم يزل، ومن أخذ دينَه من أفواه الرجالِ وقلدهم فيه مالت به الرجالُ من يمينٍ إلى شمالٍ وكان من دينِه على أعظم زوال)) صدق رسول الله، وعلى هذا نشأ أكثرُ الناسِ يكرعون من آجن، ويتركون الآسن.

لهذا كلِّه ولغيرِه رأيتُ أن كثيراً من الناسِ يدعي الإيمانَ والتقوى، وبينه وبينهما بُعْدَ المشرقين، ولهذا كثرت مذاهبُ الضلالِ، من جبرٍ وتشبيهٍ وإرجاءٍ وقَدَرٍ وغيرِها من الأباطيلِ والبدعِ التي ما أنزل اللهُ بها من سلطانٍ.

حتى لم يبقَ من الإسلامِ إلا اسمُه، ولا من القرآنِ إلا رسمُه، فلولا النور الساطعُ، والضياءُ اللامع، السلالةُ النبويةُ الطاهرةُ، الذين بلغوا الناس عَبْرَ التاريخِ الطويلِ، وما زالوا يبلغون ويرشدون إلى طريقِ الحقِّ على أتمِّ وجهٍ، ويظهرون فسادَ كلِّ فتنة ويحذرون من كلِّ ضلالةٍ، لولا هؤلاء العترة، لتعرضَ الدينُ الإسلامي للمسخِ والطمسِ والتبديلِ والحذفِ والتغييرِ كما فعلَ بنو إسرائيلَ في التوراةِ والإنجيلِ، كما أخبرَ اللهُ تعالى عنهم بقوله: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾.

عبادَ الله: لقد ابتعدَ الناسُ عن العلمِ والعلماءِ من أهلِ البيت الكرماءِ، فعاشوا في ظلامٍ وغفلةٍ، وعبدوا اللهَ على جهلٍ، وهجروا العلمَ الذي أوجبَه اللهَ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، وكانت تُشَدُّ إليه الرحالُ، من كلِّ مكانٍ أين ما كان؟ بتكاليفَ باهظةٍ، وطرقٍ مُتْعِبَةٍ، وبأساليبَ بدائيةٍ معقدةٍ، أما اليومَ فمعَ توفر وسائلِ التعليمِ، ووسائلِ النقلِ وسهولةِ المواصلاتِ بأنواعِها، وكثرت العلماء، وقربِ مدارسِه وسهولةِ طلبِه وتعلمِه، ولكن للأسفِ لا ترى من يحركُ ساكناً

للهجرةِ وتحصيلِ العلم ومجالسةِ العلماء، بل أصبحَ طالبُ العلم موضعَ سخريةِ السفهاءِ، جاهلين أو متجاهلين لقدرِه، ولقدرِ العلمِ الذي يتعلمُه، والطريقِ التي يسلُكها، ويرون أن مَن انظمَّ إلىٰ رَكْبِ أولئك السابقين و بحثَ عمّا يُعَرِّفُه بربِّه وكيفيةِ طاعته أنه رجلٌ ضعيف لا قيمةَ له في مجتمعه.

ولهذه النظرةِ حقروا العلمَ وأهلَه ، فلما رأىٰ العلماءُ الناسَ علىٰ هذه الحالةِ المؤسفةِ التي غمرتهم، والجهالةِ العمياءِ التي خيمت عليهم، ولم يروا من يستجيبُ لدعوتِهم، ولما يصلح أمر دينهم، وطلب العلم الصحيح الذي يرضي اللهَ ورسولَه ﷺ.

ألجأَهم الحالُ وكلفَتْهم الشريعةُ بالخروجِ والدعوةِ للناسِ في بلدانِهم وفي مساجدِهم وبين أهليهم، وقل أن تجدَ لهم آذانا صاغيةً، وقلوباً واعيةً تستجيب لأمرِ الله ويتقبلون أحكام دينه.

أصبح العلمُ يعرض عرضَ السلعةِ الرخيصةِ في السوقِ الكاسدةِ، لا تجدُ لها من يشتريها، وهكذا بدأَ الإسلامُ غريباً وعاد غريباً فطوبىٰ للغرباء.

كيف ذلك: الناسُ كانوا قد اعتادوا الحالةَ التي سلفَ ذكرُها، وجُبِلَتْ قلوبُهم عليها، ظانين أنها المقصودةُ بالذاتِ، وأنها هي الشرائعُ التي جاءَ بها الرسلُ من عندِ اللهِ لا غير، وقاموا بأدائِها علىٰ تلك الهيئاتِ والكيفياتِ، التي ألفوها فقط، فتمسكوا بها، مطمئنين بفعلِها وتطبيقِها، ظانين أنهم قد بلغوا المقصودَ في العبادَةِ، وزينَ لهم الشيطانُ ما كانوا يعملون.

فلما أتىٰ العلماءُ والدعاةُ إلىٰ اللهِ لتذكيرِ الناسِ وتعليمِهم أمورَ دينِهم وتوضيحِ ما التبسَ عليهم، حينئذٍ رأىٰ الناسُ وسمعوا من العلماءِ مالم يسمعوا به من قبلُ، وأوجبوا عليهم أشياءَ ما كانت لتخطرَ لهم علىٰ بالٍ، استغربوه ورفضوه واستنكروا بعضَ تعاليمِه بحجةِ أنه دينٌ جديدٌ، وشيءٌ مبتدعٌ، حالهم ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾.

كانوا قد ألفوا استماعَ الغناءِ، واختلاطَ الرجال بالنساءِ، وكشفَ العوراتِ والتبرجَ في الشوارِعِ، ونحوَ ذلك من المنكراتِ، وشبُّوا عليها جيلاً بعد جيلٍ فألفوها وجرت عليها عادتُهم، فلما نهو عن ذلك وعلموا أنه حرامٌ، ولا يحق لمؤمنٍ أن يفعلَه استنكروا ذلك وتعاظموه، وآثروا الاستمرارَ على ما هم عليه، اتباعاً للهوى، وإصراراً على الضلالةِ والردى، ومكابرةً ومحاربةً للهدى والمهتدين، فتراهم حين تنهاهم مثلاً عن مصافحةِ غيرِ الأرحامِ، يقولون: ما هذا الدينُ، وإذا قيل لأحدِهم: اتركِ الغناءَ، يقول: من أين جئتم بهذا الدينِ الجديدِ؟

وإذا أمرت أحداً بسترِ عورته، سخرَ واستهزأً، ويقولُ في غرابةٍ: ما هذا الدينُ؟ ما رأينا المصايبَ إلا من حين جاءَ هذا الدينُ، حالهم في ذلك كلِّه ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ فتراهم إن أصابَ البلادَ بَرَدٌ أو جدبٌ، يقولون ما رأينا المصايبَ إلا من حين جاءَ العلمُ، من حين جاء الدين.

أيُّ كلامٍ هذا في الدينِ والإيمانِ الذي هو مصدرُ كلِّ خيرٍ ونعمةٍ ومنبعُ كلِّ فضيلةٍ؟ الذي قال اللهُ فيه تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾.

لو أطاعوا من أنذرَهم، واتبعوا الهدى الذي جاءوا به لما لقوا إلا الخيرَ، والبركةَ في المالِ والأولادِ والأمطارِ، كما قال الله سبحانه على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾.

وهكذا بدأتْ جاهليةُ آخرِ الزمانِ حالُها حالُ الجاهليةِ الأولى في الإنكارِ والتصدي للدينِ والاستهزاءِ به وبحامليه مِصْدَاقاً لحديثِ المصطفى ﷺ القائل: ((بُعِثْتُ بين جاهليتين أخراهما أعظمُ من أولاهما)).

عبادَ الله: أن يومَكم هذا يومٌ مباركٌ ميمون، فأكثروا فيه من الصلاةِ على نبيكم الكريمِ امتثالاً لأمرِ اللهِ القائلِ: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾**.

اللهم فصل وسلم وبارك وترحم على عبدِك ونبيِّك الخاتمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وصل اللهم وسلم على أخيه الليثِ الغالبِ الإمام علي بنِ أبي طالب، وعلى زوجتِه البتولِ الزهراءِ سيدةِ نساءِ الدنيا والأخرى، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين أبي محمدٍ الحسنِ، وأبي عبدِ اللهِ الحسين.

وصل اللهم وسلم على إمامِ الجدِّ والاجتهادِ الولي بن الولي الإمامِ زيدِ بنِ علي، وعلى الإمامِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بن الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيم، وعلى سائرِ أهلِ بيت نبيِّك المطهرين دعاةً منهم ومقتصدين، وعلى من بيننا وبينهم من الأئمةِ الهادين، وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من الأنصارِ والمهاجرين والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين، وارضَ عنا معهم بفضلِكِ ومنك يا أرحمَ الراحمين.

اللهم انصر الإسلامَ والمسلمين ووحد صفَّهم وأعلِ رايتَهم وأنزل عليهمُ السكينةَ وأثبهم فتحاً قريباً، اللهم أخذل مَن خَذَلَ المسلمين وأهلك الكفرةَ والمعاندين والمفرقين بين المسلمين والصادين عن ذكرِك والمخربين لدينِك والمتقطعين في سبيلِكَ والمحاربين لأوليائِكَ من اليهودِ والنصارى والموالين لهم، يا قويُّ يا عزيز.

اللهم فرقْ جمعَهم وشتتْ شملَهم وأهلك أولَهم وآخرَهم وأنزل عليهم بأسَكَ الذي لا يُرَدُّ عن القومِ الظالمين وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ رب العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكركم واشكروه على نعمه يزيدكم وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاءِ والمنكرِ ولذكرُ اللهِ أكبرُ واللهُ يعلمُ ما تصنعون.



[١٥]- الإسلام بين مطرقة اليهود وسندان النصارى

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلامِ، وأعزنا بالإيمانِ، وجعل ديننَا خيرَ الأديانِ، فله الحمدُ دائماً أبداً حتى يرضى وبعدَ الرضى.

اللهم أعنا على ذكرِك وشكرِك وحسنِ عبادتك، وثبتنا على دينِك واحشرنا في زمرةِ الموحدين من عبيدِك، ووفقنا لطاعتِك أبداً ما أبقيتنا يا أرحمَ الراحمين.

وأشهد ألّا إله إلا اللهُ المحمودُ الصفاتِ، والمنزه عن مشابهةِ المخلوقاتِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وأشهد أن سيدنا ونبيئنا محمداً عبدُه ورسولُه الذي طمسَ بنورِ رسالتِه ظُلَمَ الضلالاتِ وأوضحَ بمنهاجه طريقَ الرشادِ فصلواتُ الله عليه وعلى آله الأكرمين، من يومِنا هذا إلى يوم الدين.

أما بعد:

عبادَ الله: إن المتأملَ لحالنا نحن المسلمون اليومَ، وحالِ زمانِنا وتفرقِ كلمتنا وشتاتِ أمرنا. ليشعرُ بالرهبةِ والحسرةِ والندامةِ من عواقبِ هذه الحال.

ما الذي مزّقَ شملَ الإسلامِ؟ ما الذي شقَّ الصفَ وفرّقَ الكلمةَ؟ ما بال المسلمين يقفون مكتوفي الأيدي لا يبدي أحدٌ منهم أمراً ولا يعيد؟

هل ضربت عليهم الذلةُ والمسكنةُ؟ هل ملك الرعبُ أزِمَّة قلوبِهم ؟!! أم إنهم قد باعوا ضمائرَهم وخانوا دينَهم وأمانتهم؟!!

ما الذي غيرَ الموازينَ وقَلَّبَ الحقائقَ، أين ذهبت الدولةُ الإسلاميةُ والسطوةُ والقوةُ التي أسس قواعدَها محمدُ بنُ عبدِ الله صلواتُ اللهِ عليه وعلى آلِه؟ أينَ ذهبَ تعبُ رسولِ الله لقد بُعثَ محمدٌ الخاتم ﷺ حين أرسلَه الله إلى عربِ أجلافِ أقحاح، جفاةِ حفاةِ. عراةِ شعثا غبرا. كلٌ يقتل أخاه ويسلبُه مالَه.

وينهبُ حلالَه لا يحلون حلالاً ولا ينكرون منكرا. يعيثون في الأرض فساداً. بدوٌ رُحَّل، الفقرُ قد أزراهم والجهلُ قد أعماهم ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾.

فأرسلَ اللهُ إليهم خاتمَ رُسُلَه، وصفوةَ خلْقِه، فدعاهم ووعظَهم وأرشدَهم، وصبرَ على غلظتِهم وعلى جفوتِهم، وعلى مالقي من أذاهم وبلاهم. وبالصبرِ وقوةِ الإرادةِ وصدق العزيمةِ والإيمانِ- استطاع أن يحوِّلَ تلك الوحوشَ الضاريةَ والأعرابَ العاريةَ، إلى أسودٍ بواسل وجبالٍ من الإيمان.

استطاع بقوةِ العقيدةِ أن يصنعَ من أعراب تلك الباديةِ القاحلةِ، ومن رعاةِ الأغنامِ والأبقارِ رجالاً وأيَّ رجال ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾.

من مدرسةِ محمدِ بنِ عبدِالله تخرّج رجالٌ ضربوا أروعَ المـثُل في التضحيةِ والفداءِ، رجالٌ سطرُوا سيرَهم بأحرفٍ من نورٍ على صفحاتِ التاريخِ في الشدةِ والرخاءِ. رجالٌ دوخوا مشارقَ الأرضِ ومغاربَها.

هدُّوا معاقلَ كسرى وحصونَ قيصر. أذاقوا الفُرْسَ والرومانَ ألوانَ الذل والخزي والهوان، جابوا مشارقَ الأرضِ ومغاربها، وداسوا بحوافرِ خيلِهم أعتى الممالك وأقوى المعاقل. لم يثنِهم كثرةُ العددِ والعدةِ، ولا وهنوا للبعدِ والشدةِ، وما ضعفوا لطولِ المدة.

وذلك قول الله: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ رفعوا راياتِ الإسلامِ خفاقةً على أرجاءِ المعمورةِ، ترفرفُ حاملةً بين طياتِها كلمةَ التوحيدِ لا إله إلا الله محمدٌ رسولُ الله.

دانت لهم الدنيا من أطرافِ روسيا شرقاً وحتى إسبانيا غرباً وإلى أعماق أوربا شمالاً. بالصبرِ والعزمِ وقوةِ الإيمان، صنعَ محمدٌ بنُ عبدِ اللهِ من أولئك الأعرابِ والبدوِ الرُّحل، أبطالاً وأسوداً يُضرب بهم المثَلُ في التضحيةِ والفداءِ. حولوا ممالك الشرقِ والغربِ إلى دولةٍ إسلاميةٍ خالدة تُدين بالولاء والتوحيدِ وتقر بالرسالة، وقادوا المتمردين أذلةً وهم صاغرون يدفعون الجزيةَ ويؤدون الجبايةَ والخراجَ أذلةً وهم صاغرون.

تحوّل ما يقاربُ ربع العالم إلى مملكةٍ واحدةٍ يقودها أميرٌ واحدٌ، لها عزُّها وهيبتُها وقوتُها. لا يتجاسرُ يهوديٌّ أو نصراني أو مشرك أن يدنسَ قدسيتَها وكرامتَها، إنه نصرُ اللهِ إنه فتحُ اللهِ.

عبادَ الله : ذلك هو السلطانُ الذي خلّفَهُ لنا رسولُ اللهِ، وذلك ميراثُ اللهِ الذي أورثنا إياه. فما الذي غَيَّرَ الحقائقَ وقلبَ الموازين، لماذا تبدلت الأحوالُ كيف تحولنا من أمةٍ منصورةٍ إلى أمةٍ مهزومة؟

ما بالنا أصبحنا أذلةً ضعفاءَ خونةً جبناءَ. ما بال المسلمين اليومَ يدفعون الجزيةَ للقردةِ والخنازيرِ ما بال الكفرة والملحدين أصبحوا يتسلطون علينا ويسوموننا سوءَ العذاب؟

السببُ واضحٌ والأمرُ ظاهرٌ، فما كان نصر المؤمنين إلا سببَ ولائِهم لله وتمسكِهم بحبلِه المتين، والله هو الذي أيدهم بنصرِه، ومن كان مع اللهِ، فاللهُ معه، ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء،، ومن خذل الله خذله الله وماله من نصير.

إننا بطرنا وظَلمنا وابتعدنا عن كلمةِ الحقِّ وابتعدنا عن الإسلامِ والدينِ القيمِ الذي هو سرُّ قوتِنا وعزِّنا، هجرنا معالمَ الشرعِ وتعاليمَ الدينِ فلما زاغوا أزاغَ اللهُ قلوبَهم وأهلكهم بذنوبِهم وجزاهم أسوأَ الذي كانوا يعملون.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ ويقول تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾.

عبادَ الله: إن اللهَ لا يغيرُ ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسِهم. لا بدَّ من الرجوعِ إلى القرآنِ والتمسكِ بأحكامِ الدينِ والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، ((لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليُسلطنَّ اللهُ عليكم شرارَكم ثم يدعوا خيارُكم فلا يستجابُ لهم)).

ما من أمةٍ تبتعدُ عن تعاليمِ دينِها إلا سلطَ اللهُ عليها من يسومُها سوءَ العذابِ، والواقعُ أكبرُ برهان.

انظروا إلى هذه الأمةِ التي مزقَ شملهاَ الفرقةُ والشتاتُ، أمة تدّعي الإسلامَ وتنتسب للقرآنِ، أمة تقدر بحوالي مليار مسلم في أقطارِ الأرض تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتا.

تسلطَ عليهم أحفادُ القردةِ والخنازيرِ من بني إسرائيلَ يهدمون المنازلَ، ويقتلون الأطفالَ والشيوخَ، ويغتصبون النساءَ العفيفاتِ المسلماتِ، أرجاسٌ أدناسٌ يتعدون حدودَ اللهِ، يدنسونَ أعراضَ المسلمينِ وكراماتِهم ثم لا تسمع إلا الشجبَ والتنديدَ ومؤتمراتٍ لها عشراتُ السنين لم تخرج بقرار.

بَحَّ المنادى والمسامعُ تشتكي ... وأصبحت الضمائرُ تشترى

***

لقد أسمعت لو ناديتَ حياً ... ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارٌ نفخت بها أضاءت ... ولكن أنت تنفخ في رمادِ

لقد نصبَ اليهودُ للمسلمين العداءَ، منذ فجرِ الدعوةِ وبزوغِ نورِ الإسلامِ، إلى وقتنا الحاضرِ. وما زالوا يحيكون الخططَ ويبرمون المكائدَ للنيلِ من الإسلامِ، وتفريقِ كلمةِ المسلمين وما تركوا حيلةً إلا دبروها، ولا مكيدةٌ إلا نصبوها.

حاربوا الإسلامَ في بادئ الأمرِ ففشلوا ومنوا بالهزيمةِ والخيبةِ، فلما رأوا بأن المؤمنَ يقاتلُ عن صدقِ عقيدةٍ ورسوخِ إيمانٍ، يحاربُ من أجلِ نيلِ أحدِ الحُسنيين إما النصر وإما الشهادة، خابت مساعيهم وفشلت مخططاتهم، وتكبدوا الخسائر العظيمة في وجه الإسلام.

رأوا بأنهم لا يقدرون على النيلِ من الإسلامِ مادام حُرَّاسُه رجالاً أوفياءَ، الإيمان يملأ قلوبَهم، ومن كتابِ الله ومنهاجِ رسوله يستمدون القوةَ والثبات..

عندها علم أحبارُ اليهودِ وقساوسةُ النصارى ألَّا قدرةَ لهم على الإسلامِ والمسلمين إلا بتفريقِ كلمتِهم وإبعادهم عن معالمِ دينهم وبث الفسادِ والدعارة في أوساطِهم، فقاموا بنشرِ الدعاياتِ الزائفةِ بأن المسلمين متخلفون وأنهم رجعيون وأن الدينَ هو سببُ تخلفِهم وركودِهم !!!

وهكذا راجت لهم هذه الدعايةُ وأخذوا في بثِّ سمومِهم، بنشرِ المدارسِ العلمانية، والعلومِ الغربيةِ، وقللوا من أهميةِ الدين وقللوا من تدريسِه. ثم غزوا وطنَنا الإسلاميَ بآلاتِ اللهوِ والعبثِ والدعارةِ والخلاعةِ. من قصص ماجنةٍ، وأفلامِ خليعةٍ، ومجلاتٍ هابطةٍ، نساءٌ عارياتٌ، وصورٌ سافراتٌ، وأشرطةٌ لمغنين ومغنياتٍ عاهراتٍ فاجراتٍ، وفديو ودشات وقنوات محرمات. لقيت لها رواجاً في أسواقِنا وبين شبابِنا، فاشتريناها بأموالنا لنحرق بلهبها أبنائنا ونهدم بها بيوتنا، ونبيع بها ديننا بعرضٍ من الدنيا وخسر البيع.

هذا ما قدمه لنا الغربُ وهذا الذي يدّعونه تطوراً وهكذا يريدونا أن نكون:

إذا كـان تـركُ الـدين يعنـي تقـدماً ... فيـا نفـسُ مـوتي قبـلَ أن تتقـدمي

ينادون بتحررِ المرأةِ وتمردها وتعريها باسمِ التقدمِ، ينادون بالسفورِ والخمورِ والمجونِ باسم التقدمِ.

عبادَ الله : لقد أثمرت تلك البذرةُ الخبيثةُ ونجحت تلك المؤامرةُ الخطيرةُ التي دبرها أعداءُ الدين.

لقد أصبحَ في مجتمعنا العربي كثيرٌ من الغوغاءِ، الذين يحذون حذوهم ويقلدون حركاتهم وسكناتهم باسم التقدمِ.

تراهم يقلدون الغربَ في المأكلِ والمشربِ، وحتى في الملبسِ وحتى في قصاتِ الشعرِ ونوعِ الحلاقةِ وفي تسريحةِ الرأس، وغير ذلك كثير، كل هذا باسمِ الموضةِ، وتحققت نبوءةُ المصطفى حيثُ قال: ((لتحذون حذوَ بني إسرائيلَ حذو القذة بالقذةِ حتى لو دخلوا جُحرَ ضبٍّ لدخلتموه)). حتى أسماء أبنائِنا وبناتِنا أصبحت أسماءً غريبةً على مجتمعِنا المسلمِ أصبحنا نسمعُ أسماءَ ممثلاتٍ ماجناتٍ غربياتٍ بدلَ أسماءِ المؤمناتِ الصالحات.

عبادَ الله: كهذا بدأت الحربُ الفكريةُ على الإسلامِ وهكذا بدأوا يبثونَ السمومَ في أوساطِ الشبابِ، وعامٌ بعدَ عامٍ والإسلامُ يتتقضُ عروةً بعد عروةٍ، وأحكام تضيع، ومنكراتٌ تنتشرُ، وجرائمُ تظهرُ، عندها عُطّلت طاقاتنا الإيمانية وأبتعد الناسُ عن وحيِ القرآنِ وشريعةِ السماء.

فتفرق المسلمونَ وذهب عزُّهم وأَفَلَ نجمُهم، عندها تسلطَ عليهم الجاحدون الحاقدون من اليهودِ والنصارى وضربوا الإسلام ضربتَهم القاضية فهل ترى لهم من باقية؟

ذهبت حميةُ الدينِ وصِدقُ العقيدة، والإخلاصُ لله، فلم ترى من يقاتل إلا من أجلِ مصلحةٍ شخصيةٍ. أو مناصبَ دنيويةٍ، أما رجالُ الدينِ والمستضعفون فليس لهم من ينصرُهم إلا الله.

عبادَ الله : كان الناسُ أمةً واحدةً ودولةً واحدةً، قائدُها واحدٌ، دستورُها القرآنُ ومنهجُها الإسلامُ، من المحيطِ إلى الخليجِ قلبٌ واحدٌ وهدفٌ واحدٌ وصفٌ واحدٌ.

فلما استجابوا لأطماعِ الغربِ ودعاياتِهم الزائفةِ، باسمِ التحررِ والاستقلالِ والحريةِ والتقدمِ، مزقوهم وشردوهم وفرقوا كلمتَهم وهدموا وحدتَهم، وفصلوا البلادَ العربيةَ إلى دويلاتٍ ذاتِ حدودٍ مستقلةٍ، وحولوا تلك الأمةَ من أمةٍ واحدةٍ. إلى نيفٍ وعشرين دولة، وضعت لها قوانينَ جديدةً، ودساتيرَ غربيةً، ونبذوا القرآنَ والشرعَ ورائَهم ظهريّا فالله المستعان.

فأي خذلانٍ هذا وأيُّ خيانة، أجارنا الله وإياكم من الضلالِ بعد الهدى ومن الجهالةِ والعمى، إن ربي وليُّ النعماءِ وكاشفُ الضرِّ والبلاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾.

أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ لا نشرك بالله شيئاً، ولا نتخذ من دونه إلهاً ولا ولياً، نحمده على ما خصنا به من نعمه، ودلنا عليه من طاعته، واستنقذنا به من الهلكة برحمته، وبصرنا به إلى سبيل النجاةِ، وابتدأنا به من الفضلِ العظيمِ، والإحسانِ الجسيمِ، بمحمدٍ البرَّ الرؤف الرحيم ﷺ، ارسله إلينا فكان كما قال عز وجل: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فبلغ عليه السلام رسالة ربه ﷺ الطيبين الطاهرين.

وأشهد ألّا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ الحقُّ المبين.

وأشهد أن محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه الأمينُ بلغ رسالةَ ربِّه وأُوذِيَ في جنبه وصبرَ وصابرَ حتى أتاه اليقين صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين.

أما بعد:

عبادَ الله: لا بد لنا أن نعرف عدوَّنا وأن نحذر مكره ونتقي شره وليس هناك ما هو أشد فتكا وعداء للإسلام من اليهود كما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾، والعجب العجيب أن تسمع صوتاً من بين المسلمين يمدحُ اليهودَ وأعوانَهم، ويدعي بأنهم أفضلُ من المسلمين.

إن هذا لعمري هو الخذلانُ، والمحادةُ للهِ ولرسولِه، وأعجبُ من ذلك أن تسمعَ من يُحذرُ من إعانةِ مسلم يحاربُ يهودياً ويُحرمُ الدعاءَ له. كيف هذا وقد لعنَ اللهُ اليهودَ وأمرنا بلعنِهم، وشنَّعَ على من أحبَّهم ومدحهم ووالاهم بقوله عز من قائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ

وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

يجب أن نربي أنفسَنا وأبناءَنا على حبِّ الدينِ وأهلِه، وعلى معاداةِ من أمرَ اللهُ بمعاداتِهم حتى يرجعَ إلينا مجدُ أمتِنا وعزُّها وهيبتُها، وما ذلك على الله بعزيز.

عبادَ الله : قارنوا بين اليومِ والأمسِ، انظروا معي صراخَ الأطفالِ الرضعِ، وأنينَ الشيوخِ واستغاثاتِ النساءِ، اللاتي دنسَ الأعداءُ كرامتَهم وانتهكوا حرماتِهم في كافةِ بقاعِ المسلمين .

مليارُ مسلمٍ يسمعون الصراخَ والعويلَ والبكاءَ والنحيبَ، ولكن لا مجيب. كُلٌّ مشغولٌ بنفسه، ماتت الضمائرُ، ودُفِنَت الحميةُ، وذهبت الشهامةُ، وقل الناصرُ والمعينُ، وإلى الله المشتكى.

لقد أسمعتَ لو ناديت حيّاً ولكن لا حياة لمن تنادي

ونارٍ لو نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخُ في رمادِ

انظر إلى الفارقِ بين الأمسِ واليومِ ؟!

والسببُ كلُّ السببِ قلةُ الدينِ وعدمُ مراقبةِ الله، ذهب الدينُ حتى لم يبقَ من الإسلامِ إلا اسمُه ومن القرآنِ إلا رسمُه، لم نعد نرى من يتمسكُ بمعالمِ الإسلامِ ويطبقُ أحكامَه، نسوا الله فأنساهم أنفسَهم.

كيف تنتصرُ أمةٌ شبابُها في دورِ اللهوِ والغناءِ بين شاربِ خمرٍ، وماجنٍ وعربيدٍ، قاطعٍ للصلاةِ، منتهكٍ لحرمات الله، لا يحد لله حدا؟

كيف تنتصرُ أمةٌ نساءُها كاسياتٌ عاريات، مائلاتٌ مُميلات، عاهراتٌ فاجراتٌ، منهن الممثلاتُ والراقصاتُ والمغنياُت واللاهياتُ؟!!

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

عبادَ الله : لا ينبغي أن نخدعَ أنفسَنا ونمنيها الأماني، واللهِ لن نشمَّ للنصرِ رائحةً ما دمنا معطلين لحدودِ اللهِ خارجين عن طاعتِه، ولن يتحررَ القدسُ وفلسطينُ وغيرُها من بلادِ المسلمين إلا برجالٍ مؤمنين صادقين أوفياء.

إنما يؤيد الله بنصرِه عبادَه المتقين ـ أما من خذله الله فما له من ولي ولا نصير. ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ۝﴾.

فعلينا **عبادَ الله** بالتواصي بالحقِّ والتواصي بالصبرِ عليه، وموالاةِ أولياءِ الله ومعاداة أعدائه، وتربيةِ أبنائِه على الفضيلةِ والتقوى وتعليمِهم أمور دينهم، وما أوجب الله عليهم من حبٍّ لله ولرسولِه، ولا يكن همنا التعليم من أجلِ الدنيا أو لنيلِ شهادةٍ أو لغرضٍ وظيفةٍ أو منصبٍ، بل ليكون همنا الوحيد رضاء الله ورسوله ونصرة الله ورسوله والإنتصار للإسلام والمسلمين.

كلٌ بقدرِ جهدِه ووسعِ طاقتِه ولو بالدعاءِ في أدبارِ صلواتِنا وأورادِنا. والله حسبنا ومولانا هو نعم المولى ونعم النصير.

واعلموا عبادَ الله: بأننا في يومٍ شرفه الله وعظمَه وجعلَه عيداً لأوليائِه فأكثروا فيه من الصلاةِ والسلامِ على نبيِّكم، امتثالاً لأمر ربِّكم حيثُ قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهم فصل وسلمْ وبارك وترحم على عبدِك ونبيِّك وخيرتِك من خلقِكَ أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ هاشم.

وصل اللهم وسلم على أخيه وابنِ عمِّه وبابِ مدينة علمِه. أشجع طاعنٍ وضاربٍ، علي بنِ أبي طالبٍ وعلى زوجتِه الحوراءِ خامسةِ أهلِ الكساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ.

وصل اللهم وسلم على ولديها الإمامين الأعظمين أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ.

وعلى إمامنا الولي بن الولي زيدِ بنِ علي، وعلى إمامِ اليمنِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بن إبراهيمَ وصل اللهم وسلم على سائر أهل بيتِ نبيئِكَ المطهرين دعاةً منهم ومقتصدين، وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من والمهاجرين الأنصار، وعنا معهم بفضلِكَ ومنك يا كريم. اللهم أرحمنا رحمةَ الأبرارِ وأسكنا وأياهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار، وأحينا ما كانت الحياةُ خيراً لنا، وبارك لنا فيما قسمت لنا واسقنا غيثَ الإيمانِ في قلوبنا، وغيثَ الرحمةِ في أوطاننا.

اللهم إنا نسألك في هذه الساعةِ المجابِ فيها الدعاء أن تنصر الإسلامَ والمسلمين، اللهم وحد كلمتَهم وأجمع شملَهم وأرفع رأيتَهم وأيدهم بنصرِكَ وأمددهم بجندِكَ وأنزل عليهم السكينة وأثبهم فتحاً قريباً.

اللهم أنصر المجاهدينَ في سبيلِك كائنين أينما كانوا في العراقِ وفي لبنانَ وفلسطين وفي غيرِها من سائرِ بلادِ المسلمين، اللهم كثر عددَهم، وسهل مددَهم، وسدد رميتَهم، وأمنع حومتَهم، وألف جمعهم، ودبر أمرَهم، ووحد صفَّهُم، وأختم لهم بالنصرِ والنجاحِ والفوزِ والفلاحِ، برحمتك وفضلِك يا كريم.

اللهم وأخذل من خذل الإسلامَ والمسلمين، اللهم ومن أرادَ الإسلامَ والمسلمين بسوءٍ فأرِده، ومن كاده فكده، وردَّ كيدَه في نحره، واجعل تدميرَه في تدبيره، واجعله غنيمةً للمسلمين وعبرةً للمعتبرين.

اللهم وأهلك المعاندين والفاجرين والمفرقين بين المسلمين والصادين عن ذكرِك والمخربين لدينِك والمتقطعين في سبيلِك والمحاربين لأهلِ بيتِ نبيك من اليهودِ الأدناسِ والنصارى الأرجاسِ ومن والاهم ومن شايعَهم أو عاونَهم أو رضي بأفعالِهم يا قويُّ يا عزيز .

اللهم ومن أراد الإسلامَ والمسلمين بسوءٍ فأرده، ومن كادَه فكده،

اللهم أصرف عنا شره، وادحر عنا مكرَه، ودرء عنا شرَّه، ورد كيدَه في نحره،

وأجعل من بين يديه سداً حتى تعمى عنا بصرَه، وتصمَّ عن ذكرنا سمعَه، وتقفل دون أخطارِنا قلبَه، وتخرسَ عنا لسانَه وتقمعَ رأسَه، وتذل عزَه وتكسرَ جبروتَه، وتذلَ رقبتَه وتفسخَ كبرَه، وتؤمننَا من جميع ضرِه وشرِّه وغمزِه ولمزه وحسدِه، وعداوتِه وحبائلِه ومصائدِه وخيلِه ورجلِه، إنك عزيزٌ قدير.

اللهم أهلك اليهودَ والأمريكانَ وأعوانَهم وعملاءَهم، وفرق جمعَهم وقلل عددَهم، واوهن قوتَهم، وفُلَّ حدَّهم وأدخل الرعبَ والخوفَ في قلوبِهم. وزلزل أركانَهم واطمس على أبصارِهم واجعل تدميرَهم في تدبيرهم. اللهم أمزج مياهَهم بالوباءِ وأطعمتَهم بالأدواءِ وسلط عليهم البلاءَ. وارم بلادَهم بالخسوفِ وألحّ عليها بالقذوف وافرُعْهَا بالمحول، وأصبهم بالجوعِ المقيمِ، والسقمِ الأليمِ.

اللهم عَقِّمَ أرحامَ نسائِهم ويَبِّسْ اصلابَ رجالِهم واقطع نسلَ دوابِّهم وأنعامِهم ولا تأذن لسمائِهم في قطرٍ ولا لأرضهم في نباتٍ واكفنا شرَّهم وضرَهم كيف شئتَ وأنَّا شئتَ يا ذا القوة المتين.

اللهم إنا نشكو إليكَ غَيْبَةَ نبيئِنا وقلةَ عددِنا وكثرةَ عدوِّنا وتفرقَ كلمتِنا ووهنَ قوتِنا وتظاهرَ الفتنِ وشدةَ الزمنِ وكثرةَ المحن.

اللهم فأيدنا بنصر تعجلُه ونصرٍ نُعَزُّ به وسلطان حق تظهره إله الحق والخلق آمين رب العالمين، وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

❁❁❁❁❁

[١٦]- فضل يوم الجمعة

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي شرعَ لنا من أحكامِ دينهِ ما هو كفيلٌ بالسعادةِ وضاعفَ لنا بالحسنى وزيادة، الحمد لله الذي أمدنا بنعمِه المتتاليةِ وأسبغَ علينا آلائَه المتواليةَ ووهبنا يومَ الجمعةِ المجيد وجعله للمؤمنين عيدا.

ونشهد ألّا إله إلا هو الحيُّ القيومُ الذي لا تأخذُه سنةٌ ولا نومٌ.

ونشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه الذي أبان بنهجِه أوضحَ السبل فختم به الرسلَ صلى الله عليه وعلى آله أفضلَ الصلاة والتسليم.

أما بعد

عبادَ الله: اعلموا رحمني الله وإياكم بأننا في يومٍ عظيمٍ شرفَه الله وكرمَه وجعلَه عيداً لأمةِ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فيه خلقَ اللهُ آدمَ، وفيه ساعةٌ لا يسألُ العبدُ فيها ربَّه إلا أعطاه مالم يسألْه حراماً، بل إن يومَ الجمعةِ هو من أعظمِ الأيامِ وأشرفِها وأعلاها عند الله شأناً وأرفعها فقد رُوِي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((الجمعةُ حجُّ المساكين وهي عيدٌ لأمتي في الدنيا وعيدٌ لأهل الجنةِ في الجنة)) أي أن للضعفاء والمساكين الذين لا يقدرون على الحجِّ في هذا الزمان فرصةً يستطيعون أن يعوضوا ما فاتَهم من أجرِ الحجِّ إلى بيتِ اللهِ فقد ضاعفَ اللهُ فيه الأجرَ وأجزلَ فيه الثوابَ على الأعمالِ فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((أكثروا من الصلاةِ والصدقةِ يومَ الجمعةِ والصلاةِ علي فإنه يومٌ تضاعفُ فيه الأعمالُ)) وكذا فإن في ليلةِ الجمعة من الفضلِ مثل يومها لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أربع لياليهنّ كأيامهنّ وأيامُهُنّ كلياليهنَّ يجزلُ اللهُ فيها القسمَ ويعطي فيها الجزيلَ ليلةَ الجمعةِ وصبيحتها، وليلةَ النصفِ من شعبان وصبيحتها، وليلةَ القدرِ وصبيحتها، وليلةَ عرفةَ وصبيحتها)).

فعلينا **عبادَ الله** أن نجهد أنفسَنا في مثلِ هذا اليومِ وليلتِه بالصلاةِ والأذكارِ وتلاوةِ القرآنِ والصدقةِ والتقربِ إلى اللهِ بالطاعاتِ ولنجعل لهذا اليوم ميزةً وشرفاً لأنه لنا يومُ عيدٍ وقد عظمَه الله وشرفَه، فلنعظم ما عظمَ اللهُ ولنعطي هذا اليومَ حقَّه من التشريفِ والتعظيمِ لأنه من شعائرِ اللهِ وحرماتِه التي أمرَ بتقديسها حيث قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

عبادَ الله: إنه لمن الشرف لنا نحن المسلمين أن نُبَجِّلَ هذا اليومَ وأن نقومَ بحقِّه كعيدٍ جعلَه اللهُ لنا نلبسُ فيه الجديدَ ونلتمس فيه الطيبَ ونرفه فيه أهلَنا وأبنائَنا وننفق فيه على الضعفاءِ والمساكينِ وعلى البهائمِ والأنعامِ، وأن نزاورَ فيها المرضى والأرحام، وأن نقيمه كما أراده الله عيدا كباقي الأعياد قال ﷺ: ((من اغتسل يومَ الجمعةِ ثم مسَّ من طيبِ أهلِه ولبس أحسنَ ما عنده وأنصتَ للإمامِ غُفِرَ له ما بين الجمعتين)).

عبادَ الله: أيُّ عيدٍ أعظم من أن يعود المسلم من صلاته وقد محى اللهُ سيئاتِه وغفرَ زلتَه وقَبِلَ اللهُ توبتَه، وقد مُلئت صحائفُه بالحسناتِ إن هذا لهو الفضلُ العظيمُ من حقنا أن نتأسى برسول الله، وأن نحذوَ حذوَ الصالحين في تعظيمِ شعائرِ الله وحرماتِه، والحذر الحذر من الاستهانة بشعائر الله والتقليل من شأنها وهجران سنن رسوله وما حث عليه لا نكن أشقى الأمم وأبعدَها عن منهاجِ اللهِ، هؤلاءِ بنو إسرائيلَ جعلَ اللهُ لهم يومَ السبتِ عيدا فعظموه ووقروه وما زالوا إلى اليومِ يقدسون هذا اليومَ بل لقد حرموا على أنفسهم فيه العملَ وحتى الخروجَ من منازلِهم واللهُ قد ابتلاهم في هذا اليوم الذي تأتي فيه الحيتانُ والأسماكُ فنهاهم عن الصيدِ فيه ليختبرهم هل سيفون ويتمسكون بحرمةِ هذا اليوم أم إنهم سينتهكون حرمتَه ويستحلونه بالخروج والصيدِ كما حكى الله عنهم ذلك في القرآنِ بقوله: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

عبادَ الله: لا يكن بنو إسرائيلَ أحرصَ منا على تعظيمِ يومِهم والتشريفِ لعيدِهم، فاليهودُ مع أنهم قد خرجوا عن طاعةِ الله وتعدوا حدودَه، ولكن ما زالوا متمسكين بيومِ عيدِهم، فلو أن أحدَنا بذلَ ليهوديٍّ الأموالَ وأغراه بالنقودِ على أن يستحلَّ حرمةَ يومِ السبتِ ويخرجَ فيه للعملِ لرفضَ أشدَّ الرفضِ تعظيماً لحرمتِه، مع أن هناك من المسلمين من لا يفرقُ بين يومِ الجمعة وغيرِه بل هناك من يضيق من يومِ الجمعة ويكون أثقلَ عليه من أيِّ يومٍ آخر.

عبادَ الله: لا يعني هذا أن نجعلَ يومَ الجمعة يومَ عطلةٍ ونومٍ وأن نلزمَ فيه البيوت ونغلقَ على أنفسِنا الأبوابَ لا بل على العكسِ من ذلك فيوم الجمعةِ عندنا يوم عملٍ ويوم جدٍ واجتهادٍ لا في الدنيا بل بالأعمالِ الصالحاتِ والمسابقةِ بالطاعاتِ صلاةٌ وتسبيحٌ، وأذكار وتلاوة قرآن وزيارة للأهل والأرحام وعيادة للمرضى وزيارة للقبور والاعتبار بيوم البعث والنشور ولبس الزينة عند كل مسجد والتبكير لسماع الخطبة مع اجتناب كل مكروه ومحذور هذا هو المشروع الذي دعا إليه ديننا الحنيف، ولكن هناك من ينصبُ العداءَ للدينِ هناك من يحيكُ المؤامراتِ ضدَّ الإسلامِ ويسعى جاهدا لإبعاد الناسِ عن تعاليمِ دينِهم وعن كلِّ ما فيه الخيرُ والثوابُ، بأساليبَ خطيرةٍ وغزوٍ فكري هدّامٍ وبكلِّ الوسائلِ، هناك أعداءٌ عمالٌ للشيطان ينظرون إلى أفضل الأوقاتِ وأعظمِها فضلاً وثوابا عندَ الله فيوفرون فيها كلَّ ما يلهي الناسَ ويبعدَهم عنها فمثلاً شهرُ رمضانَ الذي لا يُنكَرُ فضلُه والذي هو من أعظمِ الأوقاتِ وأفضلِ الشهورِ التي دعا فيها اللهُ عبادَه لملازمةِ المساجد والطاعات فيه تجدُ أنهم قد أعدوا لهذا الشهرِ أشهرَ الحلقاتِ والأفلامِ والبرامجِ الملهياتِ من بعدِ العصرِ وحتى آخر ساعة في الليل وعلى مدار الساعة وكأنهم ينازعون الله في دعوته وينافسونه في جلب الناس.

الله يدعوهم إلى الجنةِ والمغفرةِ وإلى عمارةِ بيوتِه وهم يدعونهم إلى النوادي والمقاهي ليضيعوا فضيلةَ هذا الشهرِ ويخسروا ساعاتٍ هي أفضلُ من الدنيا وما فيها،

على الحلقاتِ والدشاتِ، فأيُّ غزوٍ وأيُّ مكرٍ يحاك ضد المسلمين أكبرُ من هذا وأيُّ فتنةٍ يرادُ بها الدينُ، وأهلُه ألا يجدون غير هذا الشهر يبثون سمومَهم فيه ويضيعون الشبابَ والأطفالَ فيه ألا يعلمون أنهم بهذا يصدون عن سبيلِ الله من آمن ويبغونها عوجاً فاللهُ المستعانُ، وكذا الجمعة لم تسلمْ من شرِّهم فقد علموا فضلَها وفضلَ ليلتِها وما أعد اللهُ فيها من الفضلِ والثوابِ فتراهم يعدون لكل ليلةِ جمعةٍ فِلماً طويلاً فاحشا قبيحا يبدأ من ثلث الليلِ تقريباً ولا ينتهي إلا في الثلث الأخير من الليلِ أحيانا لماذا؟ وما الهدفُ من ورائِه؟

إن الغايةَ منه هي هدمُ الدينِ وإبعادُ المسلمين عنه يسهرون طولَ الليلِ في متابعةِ هذه الأفلامِ فيخسرون فضيلة هذه الليلة ويضيعون أفضلَ الأوقاتِ في الإثمِ والفجورِ ويخسرون الأجرَ والثوابَ، ليس هذا فحسب بل وينامون عن صلاةِ الفجرِ، ويواصلون النومَ إلى منتصفِ النهار فيفوتهم فضلُ يومِ الجمعةِ كما فاتهم فضلُ ليلتِها، وتفوتهم ربما صلاةُ الجمعةِ والعياذُ باللهِ، وهكذا أرادَ أعداءُ الإسلامِ وهكذا يكيدون للدينِ وأهلِه مكر بالليل والنهار، وقد نجحوا في إبعادِ كثيرٍ من الناسِ عن دينِهم وبخاصةٍ في المدنِ والقرى المتحضرةِ، فعلينا **عبادَ الله** أن نكونَ على حيطةٍ وحذرٍ مما يُنصَبُ لنا من المصائدِ وما يُحاكُ ضدنا من المكائدِ، فنحن في زمن فتن القابضُ فيه على دينِه كالقابضِ على الجمرِ يصبحُ الرجلُ فيه مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافراً، يخرجونه عن دينه ويبعدونه عن الإسلام وهو لا يشعر ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

بارك اللهُ لي ولكم في القرآنِ العظيمِ ونفعَنا بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ إنه تعالى جوادٌ ملكٌ برٌ رؤوفٌ رحيم واستغفرُه لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المتفضلِ بالإحسانِ الذي هدانا للإيمانِ وجعل دينَنا من خيرِ الأديانِ وأوجبَ علينا التمسكَ به في كلِّ زمانٍ ومكانٍ نحمدُه حمدُ عبدٍ معترفٍ بفضلِه مقرٍ بنعمتِه.

ونشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، له ولا شبيهَ ولا مثيلَ ليس كمثلِه شيءٌ وهو السميعُ البصير، ونشهدُ بأن محمداً عبدُه ورسولُه وخيرتُه من خلقِه أرسلَه اللهُ رحمةً للعالمين وحجةً على الظالمين صلى الله عليه وعلى آله الأنجبين من يومِنا هذا إلى يوم الدين.

أما بعد:

عبد الله: حاول أن تترقبَ يومَ الجمعةِ من كلِّ أسبوعٍ، ولا تنسى بأنه يومُ عيدٍ ويومِ فرحةٍ وأنه كفارةٌ للأسبوعِ، تُمحى فيه الخطايا وتُغفر فيه الذنوبُ، فأحسِنْ استقبالَه من غروبِ يومِ الخميسِ، وأجهد نفسَك ما استطعت في قيامِ الليلِ بالصلاةِ والدعاءِ والاستغفارِ والإكثارِ من الصلاةِ على محمدٍ وآله فإنه يومٌ تُضاعفُ فيه الأعمالُ، وتُبارك فيه الأجورُ وتُغفر فيه الذنوبُ، فإذا أصبحَ الصباحُ فأجهد نفسَك بالتزينِ لهذا اليومِ تعظيماً لشأنِه وإجلالاً لحرمتِه، بالغ في تنظيفِ بدنَك بالحلقِ والتقصيرِ وتقليمِ الأظافرِ والاغتسالِ والسواكِ، والبس أفضلَ ما تملكُ من الثيابِ واستعمل أفضلَ ما عندَك من العطورِ والطيبِ، وبكر إلى الجامعِ واسع إليه في سكينةٍ وهدوءٍ بلا تكبرٍ ولا خيلاء تنال من الله الفوزَ والنجاحَ، فقد قال ﷺ: ((من اغتسلَ يومَ الجمعةِ ثم مسَّ من طيبِ أهلِه ولبس أحسنَ ما عندَه وأنصت للإمامِ غُفِرَ له ما بين الجمعتين)).

عبادَ الله: إن في التبكيرِ بالخروجِ إلى المسجدِ فضلاً كبيراً وكلما تقدم المصلي كان ذلك له أفضلَ فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: ((من راحَ في الجمعةِ في

الساعةِ الأولى فكأنما قرَّب بَدَنَةً ـ أي من تقدم حضورُه في أولِ النهارِ كان له من الأجر كمن ذبح ناقةً قربةً إلى اللهِ، ومن راح في الساعةِ الثانيةِ فكأنما قرب بقرةً، ومن راح في الساعةِ الثالثةِ فكأنما قرب كبشاً، ومن راح في الساعة الرابعةِ فكأنما أهدى دجاجةً، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضةً، فإذا خرج الإمامُ ـ أي خرج لقراءةِ الخطبة ـ طُويت الصحفُ ورُفعت الأقلامُ واجتمعت الملائكةُ عند المنبرِ يستمعون الذكرَ)) صدق رسول الله.

فكم يا ترى من الفضلِ يفوتُ الناسَ وكم من الأجرِ يخسرون وبخاصةٍ الذين يتجمهرون على أبوابِ المسجد يتضاحكون ويتحدثون حتى يؤذّنَ للصلاةِ، فعلينا عبادَ الله بالمبادرةِ للجامعِ والتبكيرِ بالحضورِ بقدرِ المستطاع امتثالاً لأمر الله القائل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فالله يحثنا على السعي من أول نداءٍ وهو الأذانُ وينهانا عن البيعِ والشراءِ وما شابه ذلك فكل بيعٍ وقعَ بعدَ النداءِ فهو فاسدٌ ولا خيرَ ولا بركةَ فيه، ومن خرج للجمعةِ راكباً فبها ونعمت، وإن خرج راجلاً فهو أفضلُ كما كان يفعلُ رسولُ الله ﷺ وليقرأْ في طريقِه قل هو الله أحد، يرددُها حتى يصلَ، فإذا دخلَ المسجدَ فليطلب الصفَّ الأولَ ثم على يمين الإمام فإن ذلك أفضلُ، على شرط ألا يتخطى رقابَ الناسِ أو يؤذيهم بالزحامِ، فإن دخل قبلَ الخطبةِ فلا يجلس حتى يصليَ تحيةَ المسجد ركعتين، وليقرأ سورةَ الكهفِ لما ورد فيها من الفضلِ في يومِ الجمعة، فإذا قام الإمامُ للخطبةِ فيلزم السكوتَ والإنصاتَ ويمنع الكلامَ والسلامَ. لماذا؟ لأن القصدَ من الجمعةِ هو حضورُ الذكرِ والاستماعِ للوعظِ لقوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ فلنحرص على الفائدةِ وعلى حصولِ المنفعة إن شاءَ اللهُ لقولِه ﷺ: ((إذا دخل أحدُكم المسجدَ والإمامُ على المنبرِ فلا صلاةَ له ولا كلامَ حتى يفرغَ الإمامُ)) وعنه ﷺ: ((إذا قلتَ: (صه)

والإمام يخطبُ فقد لغوتَ)) فالذي يقرأ القرآنَ والإمامُ يخطبُ لا أجرَ له والذي يصلي والإمامُ يخطبُ لا ثوابَ له، لماذا؟ لأن استماعَ الخطبةِ واجبٌ والنوافل وقراءة القرآن مسنون، وكل مسنون عارضَ الواجبَ فهو باطل.

مثلاً: تحيةُ المسجدِ التي يصليها بعضُ الناسِ والإمامُ يخطبُ هي مستحبةٌ، واستماعُ الخطبةِ واجبٌ فإذا صلاها فقد عارضَ الواجبَ بالمندوب وهذا باطل.

تحيةُ المسجدِ هي مندوبةٌ لكلِّ وقتٍ تدخلُ فيه المسجدَ ولكن لا نرى من يهتمُّ بها أو يعتني بأمرِها إلا يومَ الجمعة وبخاصةٍ وقتَ الخطبةِ أما وقت الظهرِ والعصرِ وفي الليلِ فلا يهتمُّ بها أحدٌ وهذا هو عينُ العنادِ والمشاقةِ، وكذا الصلاة على النبي والتأمين ينبغي أن تكون سرّاً.

عبادَ الله: إن من الواجبِ سماعَ الخطبةِ ولكن في داخلِ المسجد وأما من يستمعُ للخطبة من خارجِ المسجد ولم يحضرْ ولم يسمعْ في المسجدِ ولو قدرَ آيةٍ فلا جمعةَ له، ولا يجوزُ لمن حضرَ الصلاةَ في المسجد أن يتركها ويذهب، حيث وقد ورد النهيُ من اللهِ لذلك حين خرجَ الصحابةُ ورسولُ الله يخطبُ فأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَايِماً قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

وأما الذين يتخذون من المسجدِ والحجرةِ أو الصرحِ غيرِ المسبلِ وقتَ الخطبةِ مسمراً للمجابرةِ والكلامِ وقتَ الخطبةِ وبين المواضي فإنهم آثمون مذنبون لأنهم يؤذون الناسَ ويشوشون على المستمعين ولا جمعةَ لهم ونقولُ لهم: هذا يومٌ حضرنا فيه لنحطَّ من أوزارِنا لا لنحملَ أوزاراً مع أوزارِنا فاللهُ المستعانُ ونسأل اللهَ لنا ولهم الهدايةَ والصلاحَ ولنصبّر أنفسَنا في هذا اليومِ وهي ساعةٌ بالكثيرِ فإذا قُضِيت الصلاةُ فانتشروا في أعمالِكم واسألوا اللهَ من فضلِه ولكن لا تنسوا ذكرَ الله لعلكم تفلحون وتنجحون في طلبِ العاجلِ من دنياكم والآجلِ من أخراكم، وادعوا الله في كل ساعة من يوم الجمعة فإن فيها ساعةً الدعاءُ فيها مستجاب.

وأكثروا في هذا اليومِ من الصلاةِ على نبيكم الكريمِ القائل: ((أكثروا عليَّ من الصلاة في يوم الجمعة فإنه يوم تضاعف فيه الأعمال)) والقائل: ((من صلى عليَّ صلاةً واحدةً صلى الله عليه بها عشرَ صلواتٍ ومحى عنه بها عشرَ سيئاتٍ وكتبَ له بها عشرَ حسناتٍ واستبق ملكاه الموكلانِ به أيهما يبلغ روحي منه السلام)) اللهم فصل وسلم وبارك وترحم على عبدِك ورسولِك الأواه مولانا محمدِ بنِ عبدِ الله، وصل اللهم على أخيه ووصيه الإمامِ علي بنِ أبي طالب، وعلى زوجتِه سيدةِ النساء فاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وعلى ولديهما الإمامين قاما أو قعدا أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ، وصل اللهم على الإمام الولي بنِ الولي أميرِ المؤمنين زيدِ بنِ عليٍّ، وعلى الإمام الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ ابن إبراهيمَ، وعلى مَن بيننا وبينهم من أئمةِ الهدى والدينِ دعاةً منهم ومقتصدين، وعلى مَن يستحقُّ الصلاةَ من المخلوقين، وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من الأنصارِ والمهاجرين والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين وارضَ عنا معهم بفضلِكَ ومنِّكَ يا ربَّ العالمين.

اللهم إنا نشكو إليك ذنوباً انهكتنا ونفوساً أهلكتنا، اللهم حُطَّ عنا ثقلنا، واغفر زلتَنا، واقبل توبتَنا واجعلنا من عتقائِك وطلقائِك في هذا اليومِ المباركِ من النارِ واعصمنا من اقترافِ الخطايا والذنوبِ، اللهم اجعلنا من أسعدِ من تعبدَ لك في هذا اليومِ ووفقنا فيه لطاعتِكَ وارزقنا حسنَ مصاحبتِه بكفِّ الجوارحِ عن معاصيك واستعمالِها فيما يرضيك، اللهم أوزعنا فيه شكرَ نعمتِك وانزل علينا فيه رحمتَك وعرفنا قدرَه وفضلَه يا أرحمَ الراحمين، اللهم انصر الإسلامَ والمسلمين وأذل الشركَ والمشركين وأهلك الكفرةَ والملحدين والمفرقين بين المسلمين والمتقطعين في سبيلِك والمحاربين لدينِك والمعادين لأوليائِك أينما كان كائنُهم يا رب العالمين، اللهم وأكفنا شرَّهم وضرَّهم وأذاهم كيف شئتَ وأنى شئت وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.



[١٧]- الصلاة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فرض الصلاةَ على عبادِه رحمةً بهم وإحسانا، وجعلها صلة بينه وبينهم ليزدادوا بذلك إيمانا، وكررها كلَّ يومٍ حتى لا يحصلَ لهم الجفاء، ويسرها عليهم حتى لا يحصل لهم التعبُ والعناءُ، وأجزلَ لهم ثوابها، فكانت بالفعل خمسا، وبالثواب خمسين فضلاً منه وامتنانا.

وأشهد ألّا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له خالقُنا، ومولانا.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه أخشى الناس لربِّه سراً وإعلانا، الذي جعل اللهُ قرةَ عينِه في الصلاةِ، فنعم العملُ الصلاة لمن أراد به فضلاً ورضواناً، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

عبادَ الله: اعلموا رحمني الله وإياكم بأن الله خلقنا ليبتلَينا ومكننا ليختبرَنا، وأسبغ علينا نعمه ظاهرةً وباطنةً لينظرَ شكرنا، والشكر لله يكون بالعمل بمقتضى أوامره كما قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ فالعمل بما كلفنا الله به هو عينُ الشكرِ ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ والله سبحانه وتعالى قد كلفنا بواجباتٍ يمحصنا بها ليعلمَ المفسدَ من المصلحِ، وليميزَ الخبيثَ من الطيبِ، ومن أعظمِ هذه التكاليف أركانُ الإسلامِ الخمسةُ التي بني عليها الإسلامُ وهي: شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ البيتِ من استطاع إليه سبيلا.

فهذه هي أركانُ الإسلامِ، ودعائمُه، ولا يستكمل إيمانُ امرئٍ حتى يستكملَها، ومن نقصها أو أهملها فليس من الله في شيء، ألا وإن أعظمها خطراً وأهمها شأناً الصلاة.

الصلاةُ، وما أدراك ما الصلاةُ، إنها عمودُ الدينِ، ومن تركها فقد هدم الدين.

الصلاةُ صلةٌ بين العبدِ وربه.

الصلاةُ مثلُ الميزانِ من أوفى استوفى.

الصلاةُ نورٌ في القلبِ، ونورٌ في القبرِ، وحصنٌ من النار.

عبادَ الله: إن الصلاة هي ثاني أركانِ الإسلامِ وفضلُها على سائرِ الأركانِ معلوم، ولهذا سُميت عمودُ الدينِ الذي تقوم عليه بقيةُ الفرائضِ ولا تستقيم إلا به، فالصومُ والزكاةُ لا يكونان إلا في العامِ مرة، والحجُّ في العمر مرة لمن استطاع إليه سبيلا، بينما الصلاةُ في كلِّ يومٍ خمسُ مرات لا يُعذر امرئٍ حتى يؤديها، لا تسقطُ عن أحدٍ إلا إذا زال عقلُه، ولا تلحقها الإجازةُ ولا يقبل فيها النيابةُ، فهي فرضٌ فرضَهُ اللهُ على كلِّ مسلمٍ لا تسقط عن أحدٍ ما دام يقدرُ على الإيماءِ، والعجبُ العجابُ في شأنِ من تهاونَ بها في هذا الزمان، وقلل من أهميتها، وهي الفاصلةُ بين الإيمانِ والكفرِ، كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال فيما روي عنه: ((ما بين العبدِ وبين الكفرِ إلا تركُ الصلاة)).

عبادَ الله: يجب أن نكون واقعيين، وصريحين مع أنفسِنا، ولنعلمَ أن المكرَ والخداعَ عاقبتُه علينا، ولا يحيقُ المكرُ السيءُ إلا بأهلِه، في واقعِ الأمرِ نحن جميعاً نحب الجنةَ ونتمناها، وهي غاية أمانينا ومنتهاها، والكل منا يخشى النار ويخافها ويكرهها ويستعيذ بالله من شرها وحميمها، ولكن الجنة ليست بالتحلي ولا بالتمني، وليست بالحظ، ولن ينالها أحد بالطمع قال تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾، كل يريد الجنة؟ نعم، وهذا حق لكل امرئ أن يتمنى ما شاء.

ولكن الجنة ثمنها العمل والبذل والتعب، ونحن نريد أن نأخذ ولا نعطي، نريد كل شيء بلا شيء نريد حياة أبدية سرمدية بنعيم دائم بين جنات ونهر وحور وقصور، وما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ومع ذلك نبخل أن نقف بين يدي الله ولو خمس دقائق لكل صلاة من خمس صلوات يصير مجموعها ثلث ساعة في اليوم، ثلث ساعة أو ساعة من أربعة وعشرين ساعة نقدمها لله والباقي للنفس، إنها يسيرة سهلة ولا يتعاظم الصلاة ويتثاقلها إلا المنافقون، الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ فهؤلاء يعدونها كبيرة وثقيلة كما قال تعالى.

أما الخاشعون والمنيبون فهم يرونها سهلةً يسيرةً خفيفةً بل ولا تسكنُ نفوسُهم ولا تلين قلوبُهم إلا بذكرِ اللهِ، والصلاةِ، فتراهم في صلاتهم خاشعين وعلى صلاتِهم دائمون، وعلى صلاتهم يحافظون، وقد روي عن النبي ﷺ بأنه قال: ((وجُعِلَتْ قُرةُ عيني في الصلاة))، وحتى أنه كان إذا أحزنه أمر فزع إلى الصلاة، بل لقد كانوا ينتظرون الصلاة في لهفةٍ وشوقٍ وإذا حانَ وقتُها نادى النبي بلالاً بقوله: ((يا بلالُ أرِحْنَا بالصلاة)).

هذا رسول الله ﷺ ينادي بلالاً ليؤذن ليرتاح بالصلاةِ بين يدي ربِّه وتغشاه السكينةُ والطمأنينةُ، بينما نرى في زمانِنا هذا من إذا حضرت الصلاةُ قال: أريحونا منها، فهو يرى بأن الصلاة أصبحت عِبْئاً ثقيلاً عليه- يرى راحته بانتهاء الصلاة لا في الصلاة؛ فالله المستعان!

عبادَ الله: كثير هم في هذا الزمان القاطعون للصلاة، هناك من يصلي في رمضانَ ويقطعُها في أولِ أيامِ العيد، وهناك من لا يصلي إلا يومَ الجمعةِ من كل اسبوع ومنا من يصلي أربعة فروض ويقطع الفجر وهم كثير، إن الله كامل لا يقبل إلا كاملا، ولا يقبل من عبده عملا ناقصا مهما كان.

ما مصير هؤلاء وهل يقبل منهم البعض دون البعض؟ وقد قال الله تعالى:

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴿٢٣٨﴾﴾.

لا يكفي أن تصليَ فرضاً وتترك فرضاً؛ لأن اللهَ أمرَ بالمحافظةِ على الصلاة، ومن ينقصها فهو مفرطٌ لا محافظٌ، والله قد وصفَ المؤمنين بأنهم على صلاتهم دائمون والذي يترك بعضها غير مداوم عليها.

عبادَ الله: اعلموا أنه لا نجاة ولا فلاح إلا بالصلاة، ولو أنفق أحدكم ملء الأرض ذهباً ما تُقُبِّلَ منه إلا بالصلاة، ولو صام العبد الدهر كله ما صعد إلى الله من عمله وزن ذرة إلا بالصلاة.

فكلُّ عملٍ موقوفٌ مرهونٌ بالصلاةِ لا يتقبلُ الله منه شيء إلا بها، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ وقاطع الصلاة من المتمردين على أمر الله المعطلين لحدوده، وليس من المتقين، وليكن في العلم والحسبان بأن قاطع الصلاة لا غفران له وليس له مفر من النار والخلود فيها مع الخالدين.

أولم تقرأ قول الله: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾، ما الذي أدخلكم النار وأحلكم دار البوار؟، ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وويل: في بعض التفاسيرِ هو وادٍ في نار جنهم تستعيذ منه جهنم في اليوم سبعين مرة، وقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾، والغي في بعض التفاسير وادٍ في جنهم.

عبادَ الله: لقاطع الصلاة النار في الآخرة، والعذاب في الدنيا، فلربما أصابه الله بمرضٍ في هذه الدنيا، ليكونَ له عذاباً على وجهِ الأرضِ فلا تراه إلا مهموما مغموما في ضيق ونكد، قلق يساوره في الليل ووساوس.. تغمه في النهار، فلا المال أراحه ولا الغنى أسعده، فهو لا يلتذ بمال ولا يهنأ بجاه، حياته جحيم، هم في هم وغم على غم وذلك قول الله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾، فهذا جزاؤه في الدنيا والآخرة.

عبادَ الله: إن هذه الحياة كفاح وعمل تعب، ونصب كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾ لم يخلقِ اللهُ الحياةَ لمجردِ الأكلِ والشربِ والضحكِ واللعبِ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ۝١٦ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾

عبدَ الله: أنت هنا في ميدانِ جهادٍ، جهادٍ أعظمَ وأهمَّ من جهادِ السيفِ وضربِ الرقابِ، إنك في جهادٍ قال عنه الرسول ﷺ لقوم قدموا من الجهاد وبينهم من يظن بأنه سيرجع إلى المدينة ليرتاحَ من مشقةِ الحربِ فبين لهم الرسول ﷺ خطأ ظنهم بقوله: ((قدمتم من الجهادِ الأصغرِ إلى الجهادِ الأكبرِ قيل يا رسول الله، وما الجهادُ الأكبرُ قال: جهادُ النفسِ)) وعنه ﷺ: ((كُف أذاك عن نفسك ولا تتابع هواها)) إنها تريد منك الراحةَ في المأكلِ والمشربِ والملبسِ والمسكنِ، نفسٌ أمارة بالسوء تنظر ما يصلحها وتنسى عاقبة أمرها.

لا يا عبد الله هذه الحياة جهاد وبذل وعطاء ومن وُجد فيها فلا بد أن يتعب ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾ ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾.

هذا رسول الله ﷺ المغفورُ له ما تقدمَ من ذنبِه وما تأخر لم يخلد للراحةِ والنومِ، ولم يتكل على ذلك بل كان يقطعُ جُلَّ ليلِه في الصلاةِ والتهجدِ حتى تورمت قدماه.

عبدَ الله: لا ينبغي أن نستكثر على اللهِ بعضَ ركعاتٍ هي لنا، وفائدتُها راجعةٌ إلينا، يجب أن نعاهد الله على الوفاء، وأن نُصبِّرَ أنفسَنا وأن نُعودَها على الصلاةِ والطاعةِ ولو بالقوةِ، انظروا إلى مَن حولَكم من أهليكم وإخوانِكم الذين يواظبون على الصلاة ولا يقطعون منها فرضا، ماذا نقص عليهم ماذا خسروا ما الذي فات عليهم، لا شيء أصبحنا سواء والسعيدُ من أحسنَ وقدَّمَ لنفسِه خيرا، وكلُّ تعبٍ مرَّ عليهم نسوه وكأنَّ شيئاً لم يكن، فيا حسرةَ العاصين ويا حسرةَ

المقصرين، يوم تتوفاهم الملائكةُ يضربون وجوهَهم وأدبارَكم وذوقوا عذابَ الحريقِ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخطَ اللهَ وكرهوا رضوانَه فأحبطَ أعمالَهم.

عبادَ الله: إن الصلاة لها شأن وأي شأن ولعظمِ شأنها، نرى بأن الله شرعَها وفرضها في السماء دون غيرها من العبادات واحتاجت إلى رحلةٍ تاريخية هي رحلةُ الإسراءِ والمعراج بينما بقية الفروض من صوم وحج وزكاة ونحوها فرضت كلها على وجه الأرض وما ذلك إلا لعظم شأن الصلاة وعلوِّ قدرها ومكانتها. لأنها صلة بين العبد وربه، ولأنها شرح للصدور، ونور في القبور، وبهاء في الحشر والنشور، لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، لأن الصلاة تسهل العسير، وتذهب القلق والهم والبلاء.

ليست هذه الأمة هي أول من تهاون بالصلاة بل هنالك من ضيعها من السابقين كما حكى الله ذلك بقوله: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾ أي واد في جهنم.

فإلى كل من ضَعُفَ عزمُه ووهنت قوتُه وتهاون بعددٍ من الركعاتِ في اليومِ والليلةِ، اعتبروا بمن مضى قبلكم وتأسوا بالسابقين الأوَّابين واقرأوا سيرَهم فقد رُوِي أنَّ زينَ العابدين عليَّ بنِ الحسينِ سلامُ الله عليه كان يصلي في اليومِ والليلةِ ألفَ ركعةٍ حتى اخترمت أنفُه من كثرةِ السجود، وروى الإمامُ الكينعي أن العاملَ الزاهدَ، حاتمَ بنَ منصورٍ صلى بالناس جماعةً زهاء أربعين سنة ما ترك صلاةَ جماعةٍ يعلمها، ولا سجدَ سجدةَ سهوٍ لصلاة مدةِ أربعين سنةً إلا ستَّ مراتٍ، ولا ترك صلاةَ التسبيحِ في ليلٍ ولا نهار، وروي عن سعيدِ بنِ المسيب أنه قال ما فاتني تكبيرةُ الإحرامِ منذ خمسين سنة وما فاتني الصفَ الأولَ مدةَ خمسين سنةً، ورُوي بأنه صلى الفجرَ بوضوءِ العشاءِ خمسين سنة، وكذا روي عن الإمامِ الكاملِ عبدِ الله بن الحسن عليه السلام أنه صلى الفجر بوضوء العشاء ستين سنة، وهذا يدل على أنهم كانوا يحيون الليلَّ كلَّه ولا ينامون، فهذه نماذجُ عن بعضِ

الصالحين، وهنالك غيرهم كثير، فأين من يتعاظم عدداً من الركعات، ويتمنن على الله إذا ما أقامها فالله المستعان، نسأل الله العظيم أن يجعلنا من المفلحين، الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم على صلواتهم يحافظون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝٧﴾

أقول ما تسمعون واستغفر الله العلي القدير لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل الصلاة عماداً للدينِ وقرة عينٍ للمؤمنين ونجاةً للعاملين، انشرحت بها صدورُ أولياءِ اللهِ، وضاقت بها صدورُ أعداءِ الله، فهي روضةٌ من رياضِ العملِ الصالحِ متعةٌ للنفوسِ ومطهرةٌ للقلوبِ،

ونشهد ألَّا إله إلا اللهُ الملكُ الديانُ ذو الجودِ والإحسان.

ونشهد أن محمداً عبدُ الله ورسولُه بلغ الرسالة وأدى الأمانةَ ونصح الأمةَ وكشف اللهُ به الغمةَ فصلواتُ اللهِ عليه يومَ وُلِدَ ويوم ماتَ ويومَ يُبعثُ حياً وعلى آله الأكرمين الأنجبين.

أما بعد:

عبادَ الله: إن الله قد أوضح لنا منهاجاً جلياً واضحاً سوياً لا عوجَ فيه أبان فيه شرائعَه وأحكامَه لئلا يكونَ للناسِ على اللهِ حجةٌ، فالسعيدُ من أطاعَه والشقيُّ من عصاه.

فعلى من يضحكُ العاصي؟ وعلى من يلعبُ المقصرُ؟ من يخادعُ وبمن يمكر؟

إن كان يخادع اللهَ، فاللهَ خادعه، ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾، أيمكر بالله؟ ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۝٣٠﴾ ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

كيف بعبد خلقه الله ورباه، وأنشأه وغذّاه حتى كملت قواه واشتد ساعده ثم كلفه بالصلاةِ فَصَعَّرَ خدَّه وعصاه، وألقى لأمره قفاه، مع العلمِ أنه يعلمُ بأن الصلاةَ واجبةٌ لازمةٌ، وأن التارك لها فاسق عاصٍ موعده النار، ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾.

قد حث الله في كتابه على الصلاة وعلى المحافظة عليها وعلى الالتزام بها بآيات كثيرات تعد بالمئات وقد شدد عليها أشد التشديد قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ لازموا عليها وأقيموها ولا تتركوها فمن ترك فرضاً منها فقد ضيعها، ولم يحافظ عليها بل نسيها فالويل له. ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾

عبادَ الله: إن هناك من يترك الصلاةَ ويتهاونُ بها لأجلِ عجلةٍ في سفرٍ، أو لأجل عارضٍ من مرضٍ أو تعب، ألم يعلم أمثالُ هؤلاءِ بأن الله لم يرخص لأحد في ترك الصلاة بخلاف بقية الفروض ألا ترى الصوم فيه رخصة للمريض والعاجز والمسافر، والحج فيه رخصة لمن لم يستطع إليه سبيلا، أما الصلاة فلا رخصة فيها، ولا يعذر تاركها ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً ما دام بعقله ويقدر على الإيماء والحركة، ففي السفر صلاة، وفي المرض صلاة، مع الخوف صلاة، وفي البرد صلاة، في الحر صلاة، حتى في الحرب والقتال وعلى ظهور الخيل بين صليل السيوف وزهق النفوس لا بد من إقامة الصلاة، الراجل على قدميه، والفارس على ظهر الخيل، والجريح قاعداً قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَاناً﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾ إذا كان هذا هو أمر الله في حق المجاهدين في سبيله مع ما هم عليه من الخوفِ والفزعِ والضيقِ والجزعِ بين جريحٍ وطريحٍ، وشهيدٍ ومنازعٍ، ومع ذلك لم يسقطها عنهم ولم يرخصْ لهم في تركِها، فما بالك بمن يتركُها في الأمنِ والأمانِ في مسجدٍ مفروشٍ وماءٍ عذبٍ معين.

عبادَ الله: من تثاقل أن يقفَ بين يدي اللهِ الآنَ وقفَ يوم القيامة على لوحٍ

مصهورٍ من الحميمِ يؤدي عليه كلَّ صلاةٍ ضيعَها في الدنيا ومن ورائِه عذابٌ غليظ.

عبادَ الله: إن الله قد توعدَ تاركَ الصلاةِ وأغلظَ العقابَ على من عصاه، وحكم الشرع أن يُستتابَ القاطعُ للصلاةِ ثلاثةَ أيامٍ فإن تابَ وإلا قُتِلَ، فلا يُغسل، ولا يُقبرُ في مقابرِ المسلمين.

ـ فهذا ما تيسر نقلُه من أمرِ الصلاة، والعاقلُ من عَمِلَ لنفسِه، وأوفى بعهدِ اللهِ الذي قلد به عنقَه، والحَكَمُ اللهُ والموعدُ القيامةُ، وإلى الله تُرجعُ الأمورُ.

اللهم إنا نعوذ بك من الضلال بعد الرشاد، ومن قلة الزاد، ووحشةِ المعادِ، ومن عيشةٍ في شدةٍ، وموتٍ على غير عُدةٍ، ومن الشقاءِ وسوءِ المآب وحرمان الثواب.

اللهم اجعلنا من المؤمنين المفلحين الذين هم على صلواتِهم يحافظون، والذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم على صلاتِهم دائمون، ومن الذاكرين الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم.

عبادَ الله: أكثروا في هذا اليوم وأمثاله، من الصلاة على نبيكم الأمين وآله، كما أمركم الله جل جلاله، حيث قال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَايِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾.

اللهم فصل وسلم على الطاهر المطهر والنور الأزهرِ سيدنا ومولانا محمدِ بنِ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلب.

وصل اللهم وسلم على أخيه وابنِ عمه الإمامِ علي بنِ أبي طالب، وعلى زوجتِه الحوراءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وعلى ولديهما الأكرمينِ الحسنِ والحسينِ، وعلى الوليِّ بنِ الولي مولانا الإمامِ زيدِ بنِ علي، وعلى إمامِ اليمنِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ الإمامِ الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى سائر أئمة المسلمين دعاة منهم ومقتصدين.

وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين، وارض عنا معهم بفضلك وجودك يا ذا الجود والإحسان.

اللهم إنا نسألك موجباتِ رحمتِك وعزائمَ مغفرتِك، والسلامةَ من كل إثم، والغنيمةَ من كل برٍ، والفوزَ بالجنةِ والنجاةَ من النار.

اللهم ارحمنا رحمة الأبرار، وولنا الأخيار، وأكتب لنا براءة من النار، واسقنا الغيث وأمنا من الخوف ولا تجعلنا من القانطين، اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وأهلك الكفرة والملحدين والمعاندين، والصادين عن ذكرك، والمخربين لدينك، والقاطعين لسبيلك والمعادين لأهل بيت نبيئك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



[١٨]- من مفاهيم الإحسان في التشريع الإسلامي

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ذي الإحسانِ والفضلِ والإنعامِ، الكريمِ المنانِ، الموصوفِ بالإحسانِ، المغدقِ بإنعامِه على الإنسانِ، خلقَه في أتمِّ صورةٍ وأحسنِ تقويمٍ، وأكملَ له النعمةَ بالعقلِ والإدراكِ، فله الحمدُ على نعمه المتوالية، وله الشكرُ على آلائِه المتتالية.

ونشهد ألَّا إله إلا الله الكريمُ المنانُ، عظيمُ الإحسان.

ونشهدُ أن سيدَنا محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه، الذي أكملَ اللهُ به النعمةَ، وأتمَّ ببعثتِه الإحسانَ صلى الله عليه وعلى آله الهداة الطاهرين.

أما بعد:

عبادَ الله : اتقوا الله وأحسنوا ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ فمن هم هؤلاء المحسنون؟ الذين يعيشون بمعية الله وفي رحابه، والذين أكد الله بأنه معهم وأنهم المحسنون، **الإحسان:** ذلك الخُلُقُ العظيمُ، الذي هو محورُ حديثِنا اليومَ، نعيشُ وإياكم في رحابِ كلمةِ الإحسانِ، ندقق في معناها .

إخوةُ الإسلامِ: الإحسانُ في اللغةِ معناه: الإتقانُ وقد نبه على هذا الرسول ﷺ بقوله : ((إن اللهَ يحبُ إذا عملَ أحدٌ منكم عملاً أن يتقنَه)).

والإحسانُ: قد تكرر ذكره في آيات متعددة من كتاب الله.

عبادَ الله: قد أمر الله تعالى بالإحسانِ وحثَّ عليه ووعدَ أهلَه بالأجرِ والثوابِ عليه ولقد بين الله تعالى لنا الحكمةَ والغايةَ من خلقِنا بأنها لأجل غايةٍ واحدةٍ وهي الابتلاءُ في حسن العمل فقال تعالى: ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، فالواجب علينا أن نحسن ونتقن في كل شيء،

امتثالا لأمره تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ تأمل معنى هذه الآية لقد أمر الله بأن تحسن بدون قيد ، فلم يقل أحسن في عبادتك أو في صومك أو في صلاتك أو حجك أو وضوئك ، بل لقد حذف المفعول منها ليفيد الشمول والعموم لكل شيء.

أحسن يا عبد الله، كما أحسن الله إليك في كل أعمالك وأفعالك وأقوالك وحركاتك وسكناتك، إن الله لم يحسن خلق شيء دون شيء، بل لقد أحسن خلق كل شيء، فأحسن أنت في كل أفعالك وبخاصة التي تتقرب بها إلى الله كما أحسن الله إليك في كل شيء خلقه لأجلك.

انظر إحسانَ اللهِ إليكَ بنعمِه السابغةِ عليكَ من بدايةِ خلقِك إلى أن سواكَ رجلاً. انظر كيف أحسن الله في كل أفعاله، وتأمل في قوله تعالى: ﴿الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ بلا نقص ولا عيب، ولا قصور ولا فتور ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

ابنَ آدم: إن الله خلقك فأحسنَ خلقَك فقال مقْسِماً: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ خلقك اللهُ على أحسنِ هيئةٍ، وأكملِ صورةٍ، وأبدعِ تكوين.

فسبحان الذي خلق الإنسان وصوره، في أي صوره ما شاء ركبه ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم.

إن إحسان الله إلينا لم يقتصر على شكلِ الإنسانِ وصورتِه بل لقد شَمَلَ إحسانُه كلَّ شيءٍ في هذا الكون.

عبد الله:

تأمل في هذا الكونِ بما حواه من سماءٍ وأرضٍ وشمسٍ وقمرٍ، وشجرٍ وحيوانٍ، وليلٍ ونهارٍ وغيرِها مما أمتن اللهُ به على ابن آدم، لقد خَلق ذلك كله على أبدع نظام، وأكمل هيئه أينما توجهت وحيثما نظرت تجد إتقان الله وإحسانه

وإحكامه في كل شيء. يقول الله تعالىٰ في خلق السماء ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ بل يؤكد عز وجل ألَّا عيب في خلقه ولا نقص، ﴿الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ بل لقد أمر تعالىٰ بالنظرِ والتدقيق في خلقِ السماءِ. أنظروا تأملوا أمعنوا التدقيقَ والتفحصَ هل من عيبٍ أو نقصٍ.

اجتهد في البحث هل ترىٰ في خلقِ الرحمنِ من اختلافٍ أو تناقضٍ، وإذا ارتد طرفك ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ* ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.

إنه خلقُ اللهِ كلُّه إحسانٌ وإتقانٌ، لا مكانَ للعشوائيةِ والفوضىٰ ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾. إن الله قد أتقن لك يا ابن آدم كلَّ شيءٍ، وأحسنَ لك الخلقَ والإبداعِ في كلِّ شيءٍ، وكل خلق الله بديع، وكل أفعاله حسنة، فأحسن كما أحسن الله إليك.

اجعل كل حركة وسكْنةٍ، وكلَّ عملٍ من أعمالك مشتملاً علىٰ الإحسانِ، لقد أتم اللهُ لك النعمةَ، وأكمل لك الإحسانَ، والآن حانَ دورُكَ لترد الإحسان. هل جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسان؟ أحسن معاملتَك مع ربِّك، أحسن معاملتَك مع الخلْقِ، مع أهلِك، مع أقاربِك، مع جيرانك، في عملِك في بيتِك، في بيعِك وشراك، في صلاتِك في كل أعمالِك وافعالِك.

عبدَ الله: أما تستحي من ربك الذي أحسن خلقَ الكونِ من أجلِك، وأحسنَ خلقَك، وأنزل أحسن الكتب إليك. وأحسن خلق هذا العالم بألوانه وأشكاله، في تصريف الرياح والهواء البارد والنسيم الساري، والسحاب والدواب، والبحر وحيتانه، وكل شيء عنده بمقدار: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ فتبارك الله أحسن الخالقين.

وأنت يا بنَ آدمَ ما الذي شملَهُ الإحسان من أفعالِك، ما الذي أحسنت فيه من أعمالِك، ما الذي عملتَه في أمرِ اللهِ القائل: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾. فأيُّ عملٍ قد أحسنته لله وأيُّ عملٍ أحسنته لأهلِك ومجتمعِك؟

عبادَ الله: إن الله قد كتب الإحسانَ في كل شيءٍ، لا مكانَ للعبثِ ولا موضوعَ للفوضى ولا للعشوائيةِ. لا في القولِ ولا في العملِ ولا حتى في العذاب.

تأمل معي قولَ رسولِ الله ﷺ: ((إن الله كتب الإحسان على كلِّ شيءٍ)) أي أن الله أمر بالإحسان في كل شيء.

إن هذه العبارة لهي والله من جوامع الكَلِمِ. لها أبعادها التي تدعوا للنظر والتأمل في معناها، تابع معي بقية الحديث وما حمل في مضامينه من مفاهيم سامية ومعاني قيمة. يقول المصطفى ﷺ: ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِبْحَةَ)).

سبحان الله حتى في القتلِ والذبحِ إحسانٌ!! وأي إحسانٍ في إزهاقِ الروح يا تُرى؟!! هل بقي إحسانٌ في إزهاق الأنفس؟

إنه كلامُ مَن لا ينطق عن الهوى إنه كلامُ الصادقِ الأمينِ فيه من البلاغة والبيان ما يعزبُ عن إدراكِه أولو الأحلامِ والنهى. إنه مَثَلٌ عظيمٌ ضَرَبه الله لأولى الألباب. له منطوقٌ منظومٌ ومفهومٌ معلوم.

فإن المتأملَ في مدلولِ الحديثِ يدرك أبعادَه العظيمةَ التي يرمي إليها، فهل من المعقول لمن يحسن في الذبح والقتل ألا يحسن في الحياة. حقا إنه مثال لا يخطر على البال.

أي أن الله إذا أمر بالإحسانِ في الذبحِ والقتل فمن باب أولى وجوب الإحسان في حق الأحياء، ولنستكمل سويا بقية الحديث: ((إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته)).

عبد الله: كأن النبيَّ ﷺ يقولُ لك إنه لا يكفي مجردُ نيةِ الإحسانِ فقط، بل لا بد أن تأخذَ بأسبابِ الإحسانِ ووسائلِه فلكي تحسن الذبحَ فلا بد أن تحدّ الشفرةَ وتُرِحَ الذبيحة.

لا بد في كل عمل تريد الإحسان فيه من أن تراعي الأخذ بالأسباب، فالنية وحدها لا تكفي بل خذ بالأسباب، خذ الوقت المناسب وأختر المكان المناسب، خذ بالأسباب ثم أقدم على الفعل، وفي النصح والإرشاد لا بد من اختيار اللفظ المناسب والكلام المعقول المقنع المؤثر، وكذا اغتنام الزمان والمكان والمناسبة ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾.

إذا خاصمك أحد أو شتمك فرد عليه بالتي هي أحسن ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، قال ﷺ: ((لا تكونوا إمّعة تقولوا: إن أحسنَ الناسُ أحسنا، وإن أساؤوا أسأنا، ولكن وطِّنُوا أنفسَكم على أنه إن أحسنَ الناسُ أن تُحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا)).

ومن المعاني البليغةِ في معنى الإحسانِ مبينا للزوج مبدأ الأخلاق من الزواج بقوله تعالى: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾.

فقد ألزم الزوج بأمرين إما أن يبقي زوجته ويعاشرها بالمعروف، أو يفارقها بإحسان، وانظر لقوله: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ فهل بقي في الطلاق إحسان؟ وما معنى أن يُطَلِّق ويحسن في طلاقِه، إن الله يأمر مَن طلق زوجتَه أن يُحسنَ فلا يفشي لها سراً ولا يخدش لها عرضاً، وأن يردها لأهلها معززةً مكرمةً، ويوفيها كلَّ حقوقِها من نفقة وسكن، ومهر وكسوة، وأن يحفظ ما كان بينه وبينها من معروف لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ فإذا لزم كل هذه الأمورِ وجعلَها اللهُ من الإحسان في الطلاق، فكيف يكون الإحسان في الزواج والمعاشرة.

قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، إنه تعالى جوادٌ ملكٌ برٌّ رؤوفٌ رحيمٌ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أحسن خلقَ كلِّ شيءٍ خَلَقه وبدأَ خلقَ الإنسانِ من طينٍ، نحمده على فضلِه وإحسانِه، وعلى جودِه وكرمِه وإنعامِه، ونعوذُ به من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، ونسأله التوفيقَ والسدادَ وحسنَ الطاعةِ في القولِ والعملِ.

ونشهد ألَّا إله إلا الله القريبُ المجيبُ الحليمُ الغفور.

ونشهد أن سيدنا وحبيبَنا المبعوثَ رحمةً للعالمين محمدُ بنُ عبدِ الله الصادقُ الأمينُ ﷺ وآله الطاهرين.

أما بعد:

عبادَ الله: لقد عرفنا بعض معاني الإحسان وفوائدَه، وكيف أمرنا اللهُ بالإحسانِ في جميع أمورنا، وبخاصة في العبادات فإن الله قد أمر بالإحسان فيها، ولعل قائلا يقول وما علاقة الإحسان بالعبادة؟

والجواب: الإحسان في العبادةِ أن تؤديَ العملَ مُتقنا في تأني وترتيبٍ بلا عجلةٍ أو تَسَرُّعٍ.

فالإحسانُ في الوضوءِ إسباغُه وترتيبُه، وتنقيةُ كلِّ عضوٍ بإجراء الماءِ مع الدلك، فالذي لا يخلل أظافره وبين أصابعه، ولا ينقي أعضاءه ويسبغ وضوءه فهو غير محسن في وضوئه، والإحسان في الصلاة هو أدائها بكامل فروضها في تأني، يتم ركوعَها وسجودَها ويؤدي قراءتَها على أكملِ هيئةٍ وبخضوعِها وخشوعِها، وحضورِ القلبِ عند أذكارِها وقراءتها.

فالذي يؤدي صلاتَه على عجلٍ وتسرعٍ، فلا يتمُّ ركوعَها ولا سجودَها، ولا يجيدُ القراءةَ فيها، ولا يُحضِرُ قلبَه عند القراءةِ فهو غيرُ محسنٍ في صلاتِه بل مهملٌ لها متهاون بها.

والإحسانُ في الصدقةِ، الإحسانُ في النفقةِ: أن ينفقَ المرءُ مما يحب كما قال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

وليس من الإحسانِ الإنفاقُ من أبخسِ وأحقرِ ما تملكون لنهيه تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّه غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

فمن قصد الأدنى والأبخسَ مما يملكُ وأنفقه وتصدق به فليس من المحسنين، بل من المسيئين، ومن أنفقَ مالاً من أطيبِ ما يملكُ وأتبعَه بالمنةِ والأذى فليس بمحسنٍ بل مسيءٍ مؤذي، وهو من الذين لا يتقبلُ اللهُ منه نفقاتِهم وباطلَ ما كانوا يعملون.

هناك فرق واضح بين أن تؤدي الصلاة على عجل وبغير تدبر وتركيز، وبين أن تؤدي الصلاة كأفضل ما يكون ـ فهذا هو الإحسان في العبادة.

فهل تستطيع أن تفعلَ ذلك وأنت تصلي؟ تستشعرُ أن اللهَ يراك، تستشعر مراقبةَ اللهِ لك، إذا فعلتَ ذلك فكيف ستكون هذه الصلاة، أكيد أنك سوف تحسنها.

هذه فكرةٌ جيدةٌ وعلاجٌ ناجحٌ من طبيبِ القلوبِ محمدٍ ﷺ، استشعر الله وأنه يراك، وأنك لا تغيب عن علمه طرفة عين، وسوف تحسن في عبادتك، إذا وقرَ في قلبِك هذا الشعورُ فإنك حتما ستؤدي عباداتِك على أكملِ وجهٍ وأحسنِ هيئةٍ وأتمِّ حالةٍ.

قد يسألُ سائلٌ فيقولَ وكيف أحسنُ في العبادةِ؟

والجواب : في الحديثِ المشهورِ أن جبريلَ عليه السلام جاء ذات يوم فسأل رسول الله ﷺ عن الإحسانِ في العبادةِ، فأجابه النبي ﷺ بقوله: ((أن تعبدَ اللهَ كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)) سأله جبريل عليه السلام عن الإحسان في العبادة. فأجابه النبي ﷺ عن الإحسانِ في العبادةِ وهي الصلاةُ، وبيّن المرتبةُ التي إذا بلغها المصلي عُدَّ محسناً.

حاول وابدأ من الآن جَرِّبْ ولو مرةً واحدةً أن تصليَ صلاةً واحدةً وأنت مستشعرُ لرقابةِ اللهِ، إنه أمرٌ سهلٌ وبسيطٌ، إنها مجردُ خمسِ دقائقَ بالكثيرِ فجاهِدْ نفسَك فيها. توكل وابدأ بصلاةٍ واحدةٍ ثم بصلاتين ـ وهكذا، وبعد الممارسةِ، جرِّب أن تعبدَ اللهَ يوماً كاملا على هذا النحو تحت عدسةِ المراقبة.

عبدَ الله: إن قضاء يوما كاملا من عمرك على عبادة الإحسان سيجعلك إنسانا آخر ويولد لديك شعورا باللذة والسعادة، وتحس بأن لهذه العبادةِ متعةً ومذاقاً خاصاً وليست متعبةً كما كنت تتصورُها من قبلُ، الذين يتعبون في الصلاة هم الذين لا يخشعون فيها الذين يؤدونها في عجلة وتسرّع، أما الخاشع المحافظ على صلاته فلا يحس بتعب قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، حاول عند الاستيقاظِ أن تذكرَ اللهَ وكذا عند الخروجِ وعند الأكلِ والشربِ وعند الركوبِ وعند الكلامِ وعند المنامِ وفي الصلاةِ وعند العملِ والمذاكرةِ.

انظر عبدَ اللهِ كم من الأيامِ قضيناها في اللهوِ واللعبِ والغفلةِ سنوات طويلة ذهبت كلُّها هباءً. فلماذا لا نجرب أن نعيش ولو يوماً واحداً من هذا العمرِ كما يحب ربُّنا ويرضى؟

نسألُ اللهَ العونَ على ذلك وحسنَ التوفيقِ والسدادِ إليه.

عبادَ الله: يجب أن نعلمَ ونفهمَ ونعي جيداً بأن العبادةَ والصلاةَ والوضوءَ، وجميعَ الطاعاتِ التي نتقربُ إلى اللهِ بها هي في واقعِ الأمرِ لنا، ومردُّها إلينا، وسيجازينا اللهُ عليها بالثوابِ على قدرِ حسنها، وسوف يلق كلُّ إنسانٍ جزاءَ عمله الذي عمله في الدنيا حسنِه وقبيحِه، إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشر، وإن كان كاملاً فكاملٌ وإن ناقصاً فناقص، فالأعمالُ الكاملةُ الحسنة المتقنة سوف تعاد إلى أصحابها ليجازوا عليها أفضل الجزاء فيحمدوا الله على ذلك لأنهم قدموا بضائع نقية طيبة متقنة مقبولة، فأنا عندما أقدم صدقة أو طاعة فأنا أقدمها قرضاً عند الله وسيردُّه إليَّ فإن أحسنت فلي وإن أسأت فعلي، ومن يبخلْ فإنما يبخلُ على

نفسِه، وأما أصحابُ الأعمالِ الناقصةِ وغيرِ المكتملة كالصلاةِ والوضوءِ والصومِ ونحوها فسوف تعادُ إليهم تلك البضائع المغشوشة الفاسدة فيجازون عليها بالحسرة والندامة لسان حالهم ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ وعندها يندمون حين لا ينفع الندم، ويسألون من الله أن يعيدهم للدنيا ليعملوا عملا صالحا حسنا كما قال تعالى حاكيا عنهم: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ فالله سبحانه وتعالى قد أتقن وأحسن في خلق كل شيء قدمه لك فمن الواجب أن تحسن وتجد وتجتهد في إكمال وإتقان وإحكام كل عمل تقدمه إلى الله، فأعمالنا هذه لا تليق بأن نرفعها إلى الله، فالله أكرم من أن نقدم له مثل هذه الأعمال السيئة الناقصة، فالله تعالى لا يقبل إلا طيبا، ولا يرضى إلا بالخالص الصالح ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

عبادَ الله: يجب أن نشعر بمسئوليةِ العملِ والطاعةِ وأن نأخذَ بعينِ الاعتبارِ بأن هذا العملَ سوف تتسلمه منا الملائكةُ بعدَ الفراغِ منه وأنهم سوف يعرضونه على الله.

أفلا نستحيي من الله أن يُرفع إليه عملٌ ناقصٌ أو قبيحٌ أو مختلٌّ.

فتقول الملائكة: هذا عملُ عبدِك فلانٍ الذي يتقربُ به إليك، يرجوك أن تقبله منه، فيقول جل جلاله، ارموا بهذا العمل وجه صاحبه.

لماذا؟ لأنه عملٌ مخلولٌ، عمل ناقص، عمل غير متقن ولا حسن، فلا ثمن له عند الله، ولا يليق أن يعرض على الله.

عبادَ الله: اتقوا الله وأحسنوا إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميعُ العليمُ وتب علينا إنك أنت التوابُ الرحيم.

عبادَ الله: أكثروا في هذا اليوم وأمثاله من الصلاة على نبيكم الكريم امتثالا لأمر الله القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهم فصل وسلم وبارك وترحم على عبدك ونبيِّك وخيرتِك من خلقِك وصفوتِك من بريتك أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ وبلغ روحَه منا في هذه الساعةِ الطيبةِ المباركةِ أبلغَ الصلواتِ وأتمَّ التسليمِ برحمتِك يا كريم.

وصل اللهم على أخيه ووصيهِ وبابِ مدينةِ علمهِ اشجعِ طاعنٍ وضاربٍ مولانا أميرِ المؤمنين علي بنِ أبي طالب.

وصل اللهم على زوجتِه الحوراءِ سيدةِ النساءِ وخامسةِ أهلِ الكساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ.

وعلى ولديهما السيدينِ الشهيدينِ والقمرينِ النيرينِ أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ.

وعلى مولانا الولي ابنِ الولي صاحبِ المنهجِ الجلي الإمامِ زيدِ بنِ علي.

وعلى إمامِ اليمنِ الميمونِ الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيم.

وعلى سائرِ أهلِ بيتِ نبيك المطهرين دعاةً منهم ومقتصدين.

وأرضَ اللهم عن صحابةِ نبيك الراشدين من الأنصارِ والمهاجرين. والتابعين وتابعي التابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين، وأرضَ عنا معهم بفضلِك ومنِّك يا أرحمَ الراحمين. اللهم إنا نسألُك من مقامنا هذا وفي ساعتِنا هذه أن ترحَمَنا رحمةً تغنينا بها عن رحمةِ من سواك وتفتح لنا بها أبوابَ رضوانِك وتغمرَنا بفيضِ إنعامِك، اللهم لا تدع لنا في مقامنا هذا ذنباً إلا غفرتَه، ولا هماً إلا فرجتَه، ولا ديناً إلا قضيتَه، ولا عسراً إلا يسرتَه. ولا ضالا إلا هديته، ولا مظلوما إلا أعنته ونصرته، ولا ظالما إلا أهلكته وقصمته. ولا طفلا صغيرا إلا هديته وربيته، ولا مريضا مؤمنا إلا شفيته وعافيته.

اللهم انصر الإسلامَ والمسلمين وألف بين قلوبهم واجمع شملَهم ووحد صفَّهم وأعلي رأيتَهم وأيدهم بنصرِك وأنزل عليهم السكينةَ وأثبهم فتحاً قريباً يا أرحمَ الراحمين.

اللهم وأهلك الكفرةَ والمشركين والملاحدةَ والمعاندين والمخربين لدينِك والمتقطعين في سبيلِك والمحاربين لأهلِ بيتِ نبيك أينما كان كائنُهم واكفنا شرَّهم وأذيتَهم كيف شئتَ وأنى شئتَ برحمتِك يا أرحمَ الراحمين اللهم أنزل عليهم بأسَكَ الذي لا يُردُّ عن القومِ الظالمين، اللهم فرق جمعهم وشتت شملَهم واجعل بأسَهم بينهم، واجعل تدميرَهم في تدبيرِهم، وأرح المسلمين من شرورِهم وأذيتِهم يا ذا القوةِ المتين.

اللهم واسقنا الغيث وآمنا من الخوف ولا تجعلنا من القانطين، وجعلنا من الأمرين بالمعروف والفاعلين له ومن الناهين عن المنكر التاركين له ووفقنا لما فيه الخير والسداد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.



[١٩]- تربية الأبناء

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأولِ بلا ابتداء، والآخرِ بلا انتهاء، والدائمِ بلا فناء، المتعالي عن اتخاذِ الصواحبِ والأبناء، سابغ النعم ودافع النقم، ونور المستوحشين في الظُّلَم، فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته.

نشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو، عدلٌ في الحكمِ، رؤوفٌ بالعبادِ، ليس كمثلِه شيءٌ وهو السميعُ البصير.

وأشهد أن سيدَنا وسندَنا وحبيبَ قلوبِنا صفوةَ اللهِ من خلقِه، وخيرتَه في أرضِه، محمدٌ بنُ عبدِ الله صلواتُ الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

عبادَ الله: أوصيكم ونفسي أولاً بتقوى اللهِ، في النفسِ والمالِ والولدِ واعلموا أنّ اللهَ خلقَنا ليبتليَنا، ومكننا بالقدرةِ والعقلِ ليختبرَنا، وأنعمَ علينا بأن فضلنا على سائر المخلوقات، لينظر شكرنا، وأرسل إلينا الرسل، وأيدهم بالمعجزات والبينات النيرات لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ولكننا قلبنا موازين الحق وطففنا مكاييل الفطرة، وغيرنا وبدلنا نعمة الله وأحلينا أنفسنا وأهلينا دار البوار.

إن الله فطرنا على فطرةٍ ارتضاها لنا وملةٍ اختارَها واصطفاها لعبادِه ألا وهي ملةُ الإسلامِ ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾.

عبد الله: إن الله خلقك خلقاً سوياً، وأكملَ تركيبَك على أحسنِ هيئةٍ، وأتمِّ صورةٍ، وأحسنِ تقويمٍ، ونفخَ فيك روحاً طيبةً زكيةً مؤمنةً مسلمةً. فالله جل جلاله عدلٌ حكيمٌ، لم ينفخْ في هذا الجسدِ روحاً طيبةً، وفي ذاك روحاً خبيثةً

حاشا الله وتعالى الله أن يجبل نفسا على الخُبْث والتمرد ثم يعاقبها يوم القيامة بغير ما اكتسبت. تعالى الله عما يقول المفترون علوّاً كبيراً.

إن الله فطر الخلائقَ كلَّها على حدٍ سواءٍ ومنهاجٍ واحدٍ وهو القائل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ فكل نفس، وكل روح فطرها الله وسواها وعلمها طريق الخير والشر، فليس هنالك نفس خلقت للشر، وليس هناك نفس جبلت على الخير، بل إن الخير والشر من فعل العبد، وهو الذي يبني نفسه على الشر أو الخير،

فإن بناها بخيرٍ طاب مسكنُها وإن بناها بشرٍ خاب بانيها

كما قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

فإن الله قد بنى نفوسنا، وآتاها تقواها، وفطرها على العدل والتوحيد كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾.

هذا هو الميثاقُ الغليظُ، والعهدُ القاطعُ الذي أخذه اللهُ على الناسِ، وهم في صلبِ أبيهم آدمَ عليه السلام، عهدٌ عَهِدَه الله إلينا على توحيدِه وتنزيهه وعلى اعتقادِ أنه هو ربُّنا وحدَه لا شريكَ له وأشْهَدَ علينا الفطرةَ التي أودعَها في أرواحنا وإلى هذا أشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: ((المولودُ يولدُ على فطرةِ الإسلام)).

عبادَ الله: هذه هي فطرةُ اللهِ التي فطرَ الناسَ عليها فطرَهم على العدلِ والتوحيدِ، وعلى حبِّ الخيرِ وكراهيةِ الشرِّ، وحبِّ الفضيلةِ، ومقت الرذيلةِ. فالله خلقَ الإنسانَ وصورَه في أيِّ صورةٍ ما شاء ركبَه، ونفثَ في روحِه الخيرَ والهدايةَ، ومكنه من فعلِها. فاللهُ تعالى لم يخلق هذا مؤمناً وهذا كافرا، ولم يجبرِ اللهُ هذا على الخيرِ، وهذا على الشرِّ، ولم يختر الله هذا للجنة، والسعادة، وهذا للنار والشقاء، هذه مقالة الظالمين، وأهل الجبر والضلال الذين حكى الله عنهم بقوله:

﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ فنهاهم الله عن هذا وبين لهم خطأهم وعاتبهم على سوء مقالتهم واعتقادهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾.

إخوة الإسلام: إن عقيدة الأنبياءِ والأصفياءِ تكونُ في تنزيهِ الله وتقديسِه، فهم يعتقدون بأن الله لم يُقَدِّر لنا إلا الخيرَ والصلاحَ، ولم يخلقنا إلا للجنةِ، فنحن الذين اخترنا طريقَ الشرِّ، نحن الذين ربينا أنفسَنا على القبائحِ، و نحن الذين سلكنا طريقَ العصيانِ فاستحققنا الغضبَ والنارَ. إن الله بريءٌ من كلِّ ظُلْمٍ فما كان الله ليظلمَهم ولكن كانوا أنفسَهم يظلمون. ولا يظلمُ ربُّك أحداً وما ربك بظلامٍ للعبيد.

فمن قال إن الله تعالى يجبر هذا على الطاعة، وهذا على المعصية بغير اختياره فقد أعظمَ على اللهِ الفريةَ وكذَّب بالصدقِ إذ جاءه وله عذاب عظيم.

كيف يفترون على الله مثل ذلك ويصفونه بما لا يليق به من الجبر والظلم وهو سبحانه وتعالى القائل: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً۝ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾ وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ۝ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ۝ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾

بل لقد مكَّن الله المخلوق بالقدرة والاختيار على أن يسلك أي السبيلين شاء.

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً﴾.

فهذا ما عليه أهلُ العدلِ والتوحيدِ وما يدينون به من تنزيه الله تعالى، وأما من ينسبُ إلى اللهِ تعالى الظلمَ لعبادِه، وأنه قد خلقهم للشقاءِ أو السعادةِ، ولا اختيارَ لهم، فهذه عقيدةُ أهلِ الجبرِ، وهذه هي مقالةُ القدريةِ الذين قال فيهم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ((صِنْفَانِ من أمتي لا تنالهم شفاعتي لعنهم اللّهُ على لسانِ سبعينَ نبيئاً: القدريةُ،

والمرجئةُ)). قيل: يا رسولَ اللّه ومن القدريةُ؟ قال: ((الذين يعملون المعاصي ويقولون هي من اللّه)). وفي رواية: وقيل: يا رسول اللّه، ومن المرجئة؟ قال: ((الذين يقولون الإيمانُ قولُ بلا عمل)).

فهذا نصٌ صريح وشهادة من صادق أن المجبرة هم القدرية، يؤكد ذلك قوله ﷺ ((القدريةُ مجوسُ هذه الأمةِ))، وهم خصماءُ الرحمنِ، وشهودُ الزورِ، وجنودُ إبليسَ لعنه اللّه.

عبادَ الله : إن العبدَ إذا وُلدَ وُلِد باكياً، ولم نسمع بمخلوقٍ وُلِدَ ضاحكاً، منذ خلق اللهُ الأرضَ لماذا؟ لأن هذه الدار ليست بدارِ فرحٍ ومرحٍ، وليست بدارِ لهوٍ وعبثٍ. بل إنها دارُ بلاءٍ واختبارٍ وامتحانٍ، و دارُ عناءٍ ومشقة، ودارُ غمٍ وهمٍ وحزن.

ولـدتك أمُّـك يـا بـنَ آدمَ باكيـا   والنـاسُ حولـك يضـحكون سرورا

فأعمل لنفسِـك أن تكـونَ إذا بكـوا   في يـوم موتِـك ضـاحكاً مسـرورا

وفي الحديث عن النبي ﷺ ((كلُّ مولودٍ يولدُ على الفطرة)) ما هي هذه الفطرة التي يولد عليها؟ و هل يلد مغنياً مُطَبِّلاً أم يلد مزمراً راقصاً أم يلد سكيراً عربيداً أم يلد عاشقاً هايماً لا.... وحاشا لله بل يلد على فطرة الله التي فطر الناس عليها، يلد على قول لا إله إلا الله وعلى عقيدة العدل والتوحيد، يلد مقدساً لله منـزهاً لجلاله، يخرج من بطن أمه ليقع على أم رأسه ووجهه على الأرض على هيئة الساجد لله.

يقع وهو متجه بفطرته إلى الله، إلى خالقه، الذي أنشأه ورباه، في ظلمات الأرحام وغذاه.

إنما يولد على لا إله إلا الله يخرج من بطن أمه ليقع على رأسه ويديه على هيئة الساجد المطأطئ رأسه لربه وخالقه.

يقع وهو متجه بفطرته إلى الله تعالى القائل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ولكن من الذين بدلوا خلق الله؟ من الذين غيروا فطرة الله؟

إنه الشيطان الرجيم الذي أقسم على نفسه بأن يغوي الناس أجمعين وأن يقعد لهم الصراط المستقيم، وأن يحول بين بني آدم وبين الصراط المستقيم، وأن يثنيهم عن طاعته، وليأمرنهم بالباطل والطغيان. وأن يُغيروا خلق الله وفطرته التي فطر الناس عليها كما حكى الله عنه ذلك بقوله: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً﴾.

عبادَ الله: إننا أمامَ مسؤوليةٍ عظيمةٍ تجاهَ أنفسنا وأبنائِنا، فهم بَذرتُنا وأمانةُ اللهِ التي طوق بها أعناقَنا، وكلكُم راعٍ وكلُّ راعٍ مسئولٌ عن رعيتِه، والأبُ راعٍ ومسئولٌ عن أهلِ بيته، وحتى البدوي راعٍ ومسؤولٌ عن ماشيتِه فلا يكن همنا همَّ البهائمِ، وغايتُنا غايةَ الأنعامِ، نقضي شهواتِنا، وننجب الأبناءَ، بلا حسابٍ حتى تضيق بهم البيوتُ، وتعج بهم الشوارعُ، ثم نتركُهم هملاً بلا عنايةٍ، ولا رعاية، ولا رقابةٍ، فهذا كله من تضييع الأمانة، والتفريط في الرعاية، وإخلال بالمسئولية التي سيسألنا عنها الله فإن الله تعالى لا يعذر عبده المفرط، ولو في حق شاة أهملها، فما بالك بآدمي كرمه الله وأوصى به، وحمّلنا مسئوليته (تربية ورعاية، وتعليما).

عبادَ الله: إن للوالدين دور كبير في صلاح الابن وفساده وعليه تقع مسئولية تربيته، وللمجتمع دور كذلك، وللبيئة دور، وللمدرسة دور، وللرفقاء والزملاء دور. وكما قال ﷺ: ((إن المولود يولد على فطرة الإسلام، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه)).

الابن يقلد أباه، ويتعلم منه الخير والشر، ويرضع عنه الغث والسمين، فابن المسلم ينشأ مسلماً، وابن الكافر ينشئ كافراً، وابن المسيحي ينشأ مسيحياً، والأسرة المتدينة تنجب الأبناء المتدينين، والبيت المنحرف ينشأ أبناؤه منحرفون، وكل إناء بما فيه ينضح.

فعلى كلِّ والدٍ أن يُنشئَ أبنائَه ويُربي أولادَه على تقوى من اللهِ ورضوانٍ، واللهُ سائلُه عنهم هل علمَهم؟ هل أدبَهم؟ هل رباهم وأحسنَ تربيتهم؟

إنهم أمانةُ اللهِ ووديعتُه التي قلدَ بها عنقَه وائتمنَه عليها، ولا بد يوما أن تردَّ الودائعُ، الأبناء الذين نراهم الآن في الشوارع (يسبُّون هذا، ويشتمون هذا، ويلعنون هذا، ويؤذون هذا، لا يحترمون كبيراً ولا يقدرون عاجزاً، ولا يرعون حرمةً لمسجدٍ ولا ذمة) ومَن المسئولُ عنهم؟ و مَن الذنب ذنبُه فيهم؟ وممن الخطأ؟ وعلى من يقعُ اللومَ؟ هل نقول: بأن الله خلقَهم وفطرَهم على هذه الصفةِ ـ ومتى شاء أن يهديهم هداهم؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

أم نقولُ إن الذنبَ ذنبُ ذلك الطفلِ الذي لا يفهمُ ما يقولُ، أم الذنبُ ذنبُ الشارعِ، وابناءِ الشارعِ الذين علموه، أم الذنبُ ذنبُ الوالدينِ الذين أهملوه وتركوه يتيه على وجهه مع رفقاء السوء وإخوان الشياطين حتى تلبسوا به، ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾

عبادَ الله: لماذا فرطنا في وصيةِ اللهِ في أبنائِنا وأهلينا وضيعنا هذه الأمانةَ، وأهملنا أمرَه إلينا وهو القائل: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّه فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ وقوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

عبادَ الله: إن الطفل يلد بفطرةٍ غضةٍ متدينة، ونفسٍ طاهرةٍ بريئةٍ مهيَّأة للصلاح، وعقلُه فارغٌ قابلٌ لكلِّ ما يُلقى إليه فيلد جاهلاً لا يعلم إلا ما علمناه قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فالطفل من يوم ولادتِه يحاولُ أن يرددَ كلَّ ما يسمع، وأن يقلدَ أفعالَ الآخرين، من خيرٍ أو شرٍّ من كلامٍ طيبٍ وخبيثٍ. إن الطفلَ أرضٌ خصبةٌ قابلةٌ للزرعِ تستطيع أن تزرعَ فيها ما تشاءُ. فمن الناس من يعلمُ ابنَه الشتمَ والسبَ واللعنَ والكلامَ البذيءَ، وهناك

من يشتمه ابنه ويسب أمه، ثم لا ترى من والده إلا الضحكَ والتعجبَ منه، بل إنه قد يكون السبب في تشجيعه على السب وشتم الآخرين، فهل هذه هي الأخلاق التي أمر الله بها والوصية التي أوصانا بها، وهل هذا هو شرع الله وميثاقه الذي واثقنا به ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

عبادَ الله: من منا يُعلِّمُ ابنَه آدابَ الإسلامِ، ومكارمَ الأخلاقِ، وفعلَ الخير؟

من منا يربي أولادَه على الهدى، والفضيلةِ، وعلى الإحسانِ إلى الآخرين، ومساعدةِ الضعيفِ والمحتاجِ؟

من منا يعلِّمُ أولادَه الصلاةَ، ويشجعَهم عليها، وعلى حفظِ كتابِ الله؟

من منا يُعلّم ابنه الاستئذان وردّ السلام، والترحيب بالضيف والغريب؟

من منا يعلمُ ابنَه حرمةَ المساجِد، وحرمةَ القرآنِ، وحقَّ الطريقِ، وحقَّ مَن هو أكبرُ منه سنّاً؟ من منا يراقبُ ابنَه ويتتبعُ حالَه، ومع من يسيرُ، ومن يزاملُ، ومن يرافقُ؟ ومن منا يعلِّمُ ولدَه بأن هذا عيبٌ، وهذا حرامٌ، وهذا لا يجوزُ؟

من منا يربي ولدَه على شرعِ اللهِ ويرسمُ في عقلِه بأن الله ربه، وأن نبيئه محمدٌ، وأن القرآن كتاب الله، وأن الكعبة قبلة للصلاة، وأن المساجد بيوت الله، وأن الجنة مقر الصادقين، وأن النار مستقر العصاة والمنافقين؟

ولكن:

إذا كان رَبُّ البيتِ بالدفِّ ضارباً فشيمةُ أهلِ البيتِ كلِّهم الرقصُ

فإذا كان كبيرُ البيتِ نفسُه جاهلاً مهملاً، مقصراً، لا يحل حلالاً ولا يُحرم حراما، ولا يعرفُ معروفاً ولا يُنكر منكراً، فكيف له أن يربي جيلاً مؤمنا صادقا موقنا بالله؟ إن الشوك لا يثمر العنب! وفاقد الشيء لا يعطيه! وكيف يستقيم الظل والعود أعوج.

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾.

عبادَ الله: إن مسؤولية الأب تجاه أبنائه مسؤولية كبيره والله سائله عنها وستذكرون، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ۝٢٧ وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

وأنا –والله– أرى بأننا لم نُبْلغْ مع أبنائِنا الجهدَ الكافي ولم ننصحْ لهم النصحَ الكامل الذي أرادَه الله فنحن مقصرون، ومفرطون، وآباؤنا من قبلنا كذلك إلا من رحمَ الله. والدليلُ على ما نقولُ: أن يسألَ كلٌّ منا نفسَه ممن تعلم صلاتَه ووضوءَه؟ ومن علَّمَه صومَه وحجَه؟ هل والدُه أم غيرُه؟ القليلَ منا تعلمَ من والديه، والأكثرُ تعلمَ من الآخرين، لماذا؟ أليس هذا ولدَك وفلذَة كبدِك أليس الأولى بك أن تُعلمَه بدلاً من غيرِك، ألا يجدر بك أن تخاف عليه من النار بدلا من خوفك عليه من الشمس، والحر، أليس الواجب أن تحميه من عذاب الله وتقيه من النار بتعليمه ما أوجب الله عليه كما تحميه من برد الشتاءِ بِشراءِ الملابسِ، لماذا تخشى عليهم الفقر والحاجة في هذه الدنيا، فتجهد نفسك من أجل كسبِ لقمةِ العيشِ، ولا تخاف عليهم من الفقرِ والإفلاسِ والحاجةِ الحقيقية يين يدي الله يوم لا درهم هناك ولا دينار.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾.

عبادَ الله: إن الأبَّ المثالي الذي يسعى في صلاحِ أبنائِه وهدايتِهم يسهرُ لراحتِهم ويراقبُ حركاتِهم وسكناتِهم، أينما حلوا أو رحلوا. مع من يتمشى مع من يسهر وأين يبيت؟ ومن أين يأكل؟ وأين يأوي؟ وأين ينام، أين يغيب؟ هل يصلي؟ هل يصوم؟

الأبُ الحريصُ على صلاحِ أولادِه، إذا رأى في يدِ ولدِه مالاً سأله من أين أتى به وأين أنفقَه؟

عبد الله: إن الولدَ من جنسِ رفيقِه وعلى منوالِ صاحبِه، والمرءُ على دينِ خليلِه فلينظر أحدكُم مَن يخالِل.

واختر قرينك واصطفيه تفاخراً   إن القرينَ إلى المقارنِ ينسب

وفي هذا الزمان قد كثر الفسادُ، وقل أهلُ الرشاد، وكثر رفقاء السوء، وكثرت وسائل الانحراف، وأسباب الفساد. فحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير.

أقول ما تسمعون وأستغفر اللهَ العظيمَ لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (٩)﴾.



الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الرحيم الرحمن، العظيمِ المنانِ، خلقَ الإنسانَ فصورَه، وعلى أتمِّ حالٍ قدرَه، فله الحمدُ على نعمةِ الإيمانِ، ومنة القرآن.

ونشهدُ ألّا إله إلا اللهُ المنـزهُ عن ظلمِ العبادِ، والمتعالي عن الأضدادِ والأندادِ، لا إله إلا هو العزيزُ الوهاب.

ونشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه وخيرتُه من خلقِه، رباه فأحسنَ تربيتَه، وأدبه فأحسن تأديبَه، وأعلى شأنَه، وأعلى مقامَه، فصلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آله الكرام من يومنا هذا إلى يوم الحشر والزحام.

أما بعد:

عبادَ الله: إن الناسَ في هذا الزمانِ الردي قد تغيرت بهم الأحوالُ وأحدقت بهم الأهوالُ. تراهم يهتمون بكل شيء، ويتسابقون في التعالي في هذه الدنيا، وألهاهم التكاثرُ عن المقابرِ و عن اليومِ الآخرِ فتراهم يسابقون وينافسون في كل صغيرةٍ وكبيرةٍ، مباهاة في كل شيء يسألون عن كلِّ شيءٍ ويبحثون في كل شيء حتى بلغوا مبلغاً كبيراً، في أمور الدنيا ووصلوا إلى معرفة كبيرة بكل صغيرة وكبيرة، في أمور الدنيا العاجلة، ولا يثنيهم عن ذلك حياءٌ ولا خجلٌ، ولا كللٌ ولا مللٌ كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ لا يقصرُ بهم أمرٌ في أمورِ الدنيا، وأما أمرُ الدينِ فهم به جاهلون، وعنه معرضون، يسألون عن كل شيء إلا عن أمور الدين والصلاة، يفهمون كلَّ شيء إلا الإسلام، يعرفون كلَّ شيء إلا القرآنَ والسنةَ،

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون.

عبادَ الله: اللهُ ورسولُه قد أبانوا لنا النهجَ الذي نبني ونربي عليه أبنائَنا.

فهذا رسولُ الله ﷺ يضع البصماتِ الأولى منذ الوهلةِ الأولى فإنه لما وُلدَ الحسنُ عليه السلام أخذَه من ابنتِه فاطمةَ الزهراءِ عليها السلام وهو طفلٌ صغيرٌ فأَذَّنَ في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى، لماذا؟

لكي يكون أولَ صوت يسمعه وأولَ كلامٍ يدخلُ في ذاكرتِه، ويستقر في نفسِه هو ذكر الله، لينشأ على التوحيد والإيمان، وليغرس في أعماقِه نداءَ الإسلامِ، وصوتَ المؤذنِ للصلاةِ، ليهتز شوقا وطربا كلما تردد صدى تلك الكلماتِ. اقتربَ صلوات الله عليه وعلى آله من أذنِ ولدِه الضعيفةِ الرقيقةِ، ليردد (الله أكبر الله أكبر، أشهد ألّا إله إلا الله أشهد ألّا إله إلا الله...) ليقعَ الأذانُ في قلبِه، ولتكونَ أولُ كلمةٍ في ذاكرتِه هي كلمةُ التوحيدِ، لينشأ عبداً مصلياً صائما عابدا ذاكرا مقرا لله بالربوبية ولرسوله بالرسالة، إنه هدي رسول الله الذي أرسله الله معلما للبشرية، وهاديا لها إلى طريق الرشاد، والذي يعلمنا سبل الخير والسداد لو أطعنا أمره واتبعنا مشورته، ولكن ومع الأسف الشديد نشأت في هذا الزمان التربية المعكوسة وهجرت السنة وأقيمت المنكراتُ ونشأ الابنُ على الغناءِ والخَناءِ وعلى الشتمِ واللعنِ لا يعرفُ إلا المجلاتِ الخليعةَ، والأفلامَ الساقطةَ، والأشرطةَ الماجنة، نشأ وشب وهو يحفظ من الأغاني الكثير الكثير، وأسماء الأفلام والحلقات، والممثلين والممثلات، ولديه قاموس يحوي أنواع الشتائم، وتراه لا يحفظ من آيات الله البينات إلا الشذر القليل .

والله سبحانه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾.

مَن الذي خدعَك وغرَّك وأبعدَك عنا؟

من الذي أرداكَ عن منهجي وصراطي؟

ومن زين لك أن تحيدَ عن سبيلي وفطرتي؟ و تتبعَ غيرَ سبيلي؟

ما غرَّكَ بربِّك الكريمِ؟ من خلقَكَ فسواك فعدلَك في أيِّ صورةٍ ما شاء ركبَك؟

من خلقَك فسواكَ نحن أم هم؟

من عدَّلك وقوَّاك نحن أم هم؟

من صوَّرك ورعاكَ نحن أم هم؟

بأي شيءٍ أغروك وبأيِّ ثمنٍ شروك؟

عبادَ الله: إن الواجب على الآباءِ اتقاءُ اللهِ في أبنائِهم، ومراقبتِهم، والنظرِ في ما يصلحهم، والحرصِ على تنميةِ مواهبِهم، وتغذيةِ عقولهم بما هو نافع ومفيد لهم، وَزْرَعِ خصالِ الفضيلةِ والخيرِ في معاملاتِهم من صدقٍ، وكرمٍ وتسامحٍ وعفوٍ، والتنبيه لهم وحمايتهم من وسائل الغزو الفكرية الخبيثة الماكرة، والأفكار الهدامة التي يبث سمومها أعداء الإسلام الذين يتربصون بنا الدوائر بدعوى التطور والتقدم والحرية، وغيرها من الأكاذيب والألاعيب الماكرة التي يسعون من وراءها إلى إبعاد أبناءنا عن مبادئهم، وقيمهم الإسلامية الخالدة، ومن أبرز هذه الوسائل الهدامة، القنوات الفضائية الخليعة، والدشات، والأغاني، والقصص الهابطة التي تزرع في عقول الأبناء الخسةَ والدناءةَ، والانحرافَ الأخلاقي أعاذنا اللهُ من كل ذلك، وأوضحُ برهانٍ على ما قلنا ما نراه اليومَ بينَ أوساطِ الشبابِ من تقليدٍ للغربِ، كالمغنين والممثلين في لبسِهم وسلوكِهم وغيرِ ذلك.

عبادَ الله: إن الله قد أوصى بالأبناءِ خيراً في شأنِ التربيةِ والتعليمِ. ومن صورِ اعتناء الإسلامِ بالطفلِ منذ ولادته إنه حث على حسن اختيار اسمه حتى لا يصير الطفل اضحوكة بين أصحابه وزملائه.

حتى إذا بلغَ السابعةَ من عمرِه أُمِرَ بالصلاة لقول الرسول ﷺ: ((مروهم لسبعٍ، واضربوهم لعشرٍ، وفرِّقوا بينهم في المضاجع)) أي ضعوا بين مراقدهم فواصل.

فإذا بلغ الابنُ مبلغاً كبيراً من العمرِ، ولم يتعرف على بيوتِ الله، ولم يُغَبِّرْ وجهه ساجداً لله، فمتى يرجعُ ويؤوبُ وقد بلغَ أشدَّه، وكَمُلَ عقلُه، وأي خير يرجى منه؟ نسأل الله أن يتداركنا بلطفه ورحمته إنه حميد مجيد.

عبادَ الله: إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسِه وثنّى بملائكتِه المسبحةِ بقدسِه

وثلّثَ بكم أيها المؤمنون من جنِه وإنسه، فقال عزّ من قائلٍ كريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهم فصل وسلم وبارك وترحم على عبدِك ونبيِّك وخيرتِك من خلقِك وصفوتِك من بريتِك أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، وبلِّغ روحَه منّا في هذه الساعةِ الطيبةِ المباركةِ أبلغَ الصلواتِ وأتمَّ التسليمِ برحمتِك يا كريمُ.

وصل اللهم على أخيه ووصيه وبابِ مدينةِ علمهِ أشجعِ طاعنٍ وضاربٍ مولانا أميرِ المؤمنين علي بنِ أبي طالب.

وصل اللهم على زوجتِه الحوراءِ سيدةِ النساءِ وخامسةِ أهلِ الكساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وعلى ولديها السيدين الشهيدين والقمرين النيرين أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ، وعلى مولانا الولي بنِ الولي صاحبِ اللواءِ والمنهجِ الجلي الإمام زيدِ بنِ علي.

وعلى إمام اليمنِ الميمون الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ إبراهيم، وعلى سائر أهلِ بيتِ نبيِّكَ المطهرين دعاةً منهم ومقتصدين.

وارض اللهم عن صحابة نبيك الراشدين من صفوة الأنصار والمهاجرين، والتابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم بفضلك ومنك يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نسألك من مقامنا هذا وفي ساعتنا هذه إن ترحمنا رحمة تغنينا بها عمن سواك وتفتح لنا بها أبوابَ رضوانِك وتغمرنا بفيضِ إنعامِك، اللهم لا تدع لنا في مقامِنا هذا ذنباً إلا غفرتَه ولا هما إلا فرجتَه ولا دينا إلا قضيتَه ولا عسرا إلا يسرتَه. ولا ضالا إلا هديته ولا مظلوما إلا أعنته ونصرته ولا ظالما إلا أهلكته وقصمته. ولا طفلا صغيرا إلا هديته وربيته ولا مريضا مؤمنا إلا شفيته وعافيته.

اللهم انصر الإسلامَ والمسلمين وألف بين قلوبِهم وأجمع شملَهم ووحد صفَّهم وأعلي رأيتَهم وأيدهم بنصرِك وأنزل عليهم السكينةَ وأثبهم فتحا قريبا يا أرحمَ الراحمين.

اللهم وأهلك الكفرةَ والمشركين والملاحدةَ والمعاندين والمخربين لدينك والمتقطعين في سبيلك والمحاربين لأهل بيت نبيك أينما كان كائنهم واكفنا شرهم وأذيتهم كيف شئت وأنى شئت برحمتك يا ارحم الراحمين وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.



[٢٠]- الأمانة ومكانتها في الإسلام

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فرض على العبادِ أداءَ الأمانةِ، وحرم عليهم المكرَ والخيانةَ.

وأشهد ألّا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، شهادةَ مَن يرجو بها النجاةَ يومَ القيامة.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه الذي ختمَ به الرسالةَ صلى الله عليه وعلى آله الموصوفين بالعدالة وسلم تسليماً كثيراً.

وبعدُ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾.

عبادَ الله: لقد كلف اللهُ الإنسانَ وجعلَه محلَّ اختبارِه، وموضعَ تمحيصِه، كرمَه اللهُ وشرفَه على سائرِ الكائناتِ، واختارَه واصطفاه من بين المخلوقاتِ تكريماً لمقامه، وتعظيماً لحاله ليكون خليفته في أرضه، وكلفه بالأوامر والنواهي ليستقيمَ على هداه ويزرع في قلبه حب الخير والفضيلة وينزع عنه داعي الشرِّ والرذيلةِ، ويربيه ويؤدبُه لما فيه نفعَه ورفعتَه في الدنيا والآخرةِ، ومن أعظمِ التكاليفِ وأسناها التي قلد الله بها أعناقَنا **(الأمانة).**

تلك الأمانة التي عُرِضَت على الجبالِ الشامخةِ، والسماءِ المرفوعةِ، والأرضِ المدْحُوَّةِ فأَبَيْنَ أن يحملْنَها وأشفقْنَ من ثقلِ حملِها، وحملَها الإنسانُ! نعم حملَها، فلا تشريف إلا مع تكليف، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ حمّلَنا اللهُ الأمانةَ ليكلفَنا وطوّقَ بها أعناقَنا ليختبرَنا، فحملناها وكلفنا الله بأن نضعَها في مواضعِها، ونعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه منها.

والآن عبادَ الله: هل وفينا للهِ بما كلفَنا به؟ وهل رعينا الأمانةَ حقَّ رعايتِها؟ وهل وفينا بما عاهدْنا عليه اللهَ من صونِ الأمانةِ والوفاءِ بها والعملِ بموجبها؟ ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

إن الغريبَ والعجيبَ ليس في مجردِ تركِ الوفاء بالأمانةِ والعملِ بها. بل إن الطامةَ والقاصمةَ للظهرِ، أن كثيراً منا لا يعلمُ معنى الأمانةِ، ولا يفقه مفهومها، وما مراد الله منها الكثير منا يعتقد بأن الأمانة ليست إلا مجرد حفظ حق الغير من ودائع ومال ونحو ذلك لا غير والمسألة أجلّ وأعظم مما يتصور الناس.

عبد الله : إنك أمامَ أمانةٍ لها ثقلُها في الدينِ بل إنها من أعظمِ مقومات الدين وأوثقِ عرى الإيمان. أمانةٍ في النفسِ، أمانةٍ في البيت، أمانةٍ في المجتمع، أمانةٍ في السفر، والحضر، أمانةٍ في السوق.

أمانةٍ في العمل بإخلاص وإتقان وإبلاغ الجهد في كل ما كُلِّفنا به. أمانةٍ في البيع والشراء النظيف الخالي من الغش، وترك الغبن والبخس في أموال الناس.

أمانةٍ في حقوقِ الضعفاءِ واليتامى والأوقافِ والحقوقِ العامة.

أمانةٍ في التربيةِ الإسلامية للأبناءِ وحسنِ تعليمِهم وتأديبِهم.

أمانةٍ في صدقِ الحديثِ والوفاءِ بالوعدِ والدَّيْن.

أمانةٍ في حفظ حق الجار والأخوة والأرحام.

أمانةٍ في النفس والعين وما ترى، والأذن وما تسمع، واللسان وما ينطق، والإنسان كله أمانة لله.

أمانةٍ في المال، وطرق كسبه، وإنفاقه بلا بخل، ولا إسراف ولا تبذير.

أمانة في كل شيء، ليس هناك من شيء إلا وفيه للأمانة نصيب.

فماذا عملنا بالأمانة هل وفينا بها؟ وأديناها كما أمر الله؟ أم أنا نبذناها وراء ظهورنا واستبدلناها بالغدر والخيانة؟

تأملوا في بيعِنا وشرائِنا هل نتعاملُ فيه بالصدقِ والأمانةِ؟ أم بالغشِ والخيانة!!

مهور نسائنا والتي استحلينا بها فروجهن، هل وفينا بها وأديناها كما أمر الله تعالى بقوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّه كَانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾ أم جعلنا أمرَ الله مجردَ حِبرٍ على ورقٍ في عقدِ النكاح؟

كيف واللهُ تعالى يقول: ﴿وَآتُواْ النَّسَاء صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَّرِيئاً﴾، فجعله الله فريضةً من الفرائضِ الواجبِ أداؤها، واللازم دفعها، وتوعد كل من سولت له نفسه غمط الحق أو التهاون في إخراجه كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهاً وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّه فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ۝١٩ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً ۝٢٠ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾.

فسمى تعالى أخذَه بالبهتانِ، وجعلَه من الإثمِ البيِّنِ الواضحِ، وتوعد آخذَه بالعقابِ الشديدِ، وعن النبي ﷺ أنه قال: ((من تزوج امرأةً على صداقٍ وهو ينوي ألا يؤديَه فهو زانٍ)) وعنه ﷺ ((من تزوج امرأة لا يريد وفاء مهرها فهو عاهر)).

عبادَ الله: إن حقوقَ الضعفاءِ والأيتامِ من أعظمِ الأماناتِ التي كلفَنا اللهُ بأدائِها، فهل حفظناها وأديناها وأنفقناها عليهم كما أمر الله أم أكلناها إسرافا وبدارا قبل أن يكبروا قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّه وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾.

هل حفظنا أمانةَ اللهِ في أبنائِنا ونسائِنا كما أمرَ اللهُ من تعليمهم أمورَ دينِهم، وتأديبِهم؟ أم أهملناهم وتركناهم؟!

هل ائتمنَّا من ائتمننا على حقه من إخواننا المؤمنين؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

عبادَ الله: لا ينبغي أن نخدعَ أنفسَنا. إن قلنا: نعم، فقد كذبْنا، وعلى من نكذب؟ بمن نمكرُ ونخادعُ؟ بيعنا وشراؤنا بالغشِّ، وكلامُنا بالكذبِ، ووعودُنا بالخلفِ، وعهودُنا بالغدرِ والخيانةِ، ومجالسنا في أعراض المؤمنين بالغيبة والنميمة. أي إيمان ننتسب إليه وأي إسلام نتسمى به؟

إن حقيقةَ المؤمنِ من أمنَه الناسُ على أموالِهم وأنفسِهم وأعراضِهم والمسلمُ من سَلِمَ المسلمون من لسانِه ويدِه.

البعض منا يستدينُ ويستقرضُ من أخيهِ ويعدُه بالوفاءِ ويحلفُ له الأيمانَ البالغةَ بأن يردَّ إليه حقَّه فإذا حانَ الوعدُ وجاء وقتُ الوفاءِ تمكَّرَ وتنكرَ، وماطلَ وراوغَ، واختلقَ الأعذارَ والمالُ في متناولِ يدِه و قد أغناه اللهُ ووسع عليه رزقَه، والذي أقرضَه في أشدِّ الحرجِ والحاجةِ. فأين الوفاء بالأمانة؟

ودينِنا الإسلامي يأمرنا بأداءِ الدَّينِ ويمنعُ صحةَ العبادةِ والصلاةِ إذا ضيقَ عليه صاحبُ الدين بل أوجبَ عليه أن يخرجَ من صلاتِه ليفيَ بدينِه، وجعلَ مطلَ الغنيِّ من نواقضِ الوضوءِ، والتي لا يقبل الله من صاحبها صرفا ولا عدلا إلا بأدائها.

ولقد ورد عن النبي ﷺ أنه إذا خرج للجهادِ نادى بعد خروجِه من المدينة: ((ألا من كان عليه دينٌ فليرجِع)).

بل لقد حضرَ ذاتَ يومٍ جنازةَ رجلٍ وعندما هَمَّ بالصلاةِ عليه سأل: هل على صاحبكم دينٌ قالوا: نعم عشرةُ دراهمَ فامتنع من الصلاة عليه حتى يُقضى دينُه، فقام الإمام علي عليه السلام وتحمل دينه فصلى عليه النبي ﷺ ولم يكتف بضمانة الإمام علي وكفالته بل لقد مرَّ الإمام علي عليه السلام آخر النهار فسأله ما فعل في دين الرجل وهل قضاه أم لا...؟ وذلك إن دل على شيء فإنه يدل على أهمية قضاء الدين وخطورة التهاون والمماطلة فيه.

فأين نحن من هذه التعاليمِ النبويةِ، ونحن نرى من يَعِدُ ثم يُخلفُ الوعدَ ولا يهمه، ويقسم بالأيمانِ المغلظةِ ثم يحنثُ بها ولا يبالي، المهم ألا يخرج من ماله ريالاً واحداً، ولو كان ذلك واجباً عليه وحقاً لغيره فهل هذا جزاء من أحسن اليه وأنقذه في وقت شدته وحاجته؟ وهل أمر ديننا بهذا؟ هل جاء الإسلام بالوفاء والإحسان وإيتاء كل ذي حق حقه، أم بالغدر والخيانة والغش والكذب، والتحايل على أملاك الناس.

إن الله يأمرُكم أن تؤدوا الأماناتِ إلى أهلِها، إن الإسلامَ قد حرمَ الحسدَ وتمني حقَّ الغيرِ ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، مجرد التمني لحق الغير حرام منهي عنه، بل إن مجرد النظر في ملك الغير بعين حسد لا يجوز فما بالك بمن أكله شهاراً جهاراً.

إن الإسلام قد جاء بالرحمةِ والمواساةِ وهو أن تؤثرَ أخاك على نفسِك وأن تواسيَه من حقِّك. فما بالك بمن يأخذُ مالَ أخيه، ويكنـزُه إلى مالِه بدون وجهِ حقٍّ ﴿وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً﴾.

عبادَ الله: لقد ابتعدنا عن تعاليمِ الدينِ، ونحن لا نشعرُ أهملنا تعاليمَ الإسلامِ عن جهلٍ وتجاهلٍ منا. أصحبنا أشبهَ شيءٍ بالوحوشِ كل يخاف على نفسه، وعلى ماله من أخيه وجاره، القوي منا يأكلُ الضعيفَ، والغنيُّ منا يمنع الضعيفَ.

إن الرسولَ ﷺ يقولُ في حقِّ الأمانةِ: ((لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له، ولا دينَ لمن لا عهدَ له)).

لقد أصبح الإيمانُ عندنا اسماً بلا معنى وجسداً بلا روحٍ. صفاتُ المؤمنِ الحقَّةِ أصبحت شبهَ معدومةٍ نادرةٍ قليلةٍ في مجتمعاتنا اليوم.

صفاتُ الفضيلةِ ماتت، ومات معها أهلُها، ونشأت أجيالٌ يلبسون جلودَ الضأنِ على قلوبِ الذئابِ، ملئت نفوسُهم بالشرِّ والنفاقِ، لا يُأتمنون على دين أو مال.

تأملوا معي حديثَ رسولِ الله ﷺ وأَمْعِنُوا النظرَ في معانيه يقول الرسول ﷺ: ((آيةُ المنافقِ ثلاثٌ إذا حدثَ كذبَ وإذا وعدَ أخلفَ وإذا أؤتمنَ خان)).

(ثلاثٌ من كن فيه فهو منافقٌ، وإن صلى وصامَ، وإن زعم أنه مؤمنٌ، ومن كانت فيه خصلة ففيه خصلة من النفاق حتى يدعها)، اسمعوها وعوها وكل واحد يعرضها على نفسه ليعرف في أي مكان كتب اسمه عند الله هل في زمرة المؤمنين أم في سجل المنافقين؟

- إذا حدثَ كذبَ.
- إذا وعدَ أخلفَ.
- وإذا أؤتمنَ خانَ.

رُفعت الأقلامُ وطويت الصحفُ بثلاثِ كلماتٍ، يميزُ اللهُ الخبيثَ من الطيبِ، فكم فينا من هذه الثلاثِ؟ النتيجةُ مؤلمةٌ أليس كذلك؟ وأكثرُ من هذه الصفاتِ هو ما عليه عامةُ الناسِ اليومَ وهذه ليست من أخلاقِ المؤمنين المنافقُ يكذبُ ويُخلفُ ويخونُ، والمؤمنُ صادقٌ في حديثِه، وافٍ على عهدِه ووعدِه، أمينٌ على ما أؤتمن عليه. إلى كم سنظلُّ نضحكُ على أنفسِنا ونمكرُ ونلعبُ على عقولِنا؟ ألم يأنِ لنا أن نفيقَ من غفلتِنا ونستيقظَ من نومِنا ونتنبهَ لما أمامِنا من الأهوالِ والمواقفِ العظيمةِ من موتٍ وقبرٍ وحشرٍ ونشرٍ وجنةٍ ونارٍ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

ألم يأنِ لنا أن نُغيرَ الطريقةَ التي نتعاملُ بها. ألم يحن الوقتُ أن نبصرَ رشدَنا ونفيقَ من سباتنا.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

يقولُ الرسولُ ﷺ: ((اضمنوا لي ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة)) ستا فقط، يا **عبادَ الله**: ما أيسرَها وما أسهلَها! ترى ما هذه الست التي مفاتيحُ الجنةِ تحتَ حروفِها ((اصدقوا إذا حدَّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا اؤتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم)).

إنها صفاتُ أهلِ التقوى، وأهلِ المغفرةِ أهل الأمانةِ والوفاءِ، أحفظوها وعاهدوا الله على الوفاء بها فإن ثمن الجنة بين سطورها وتحت ظلالها.

عبادَ الله: إن الأمانةَ لها شأنٌ عظيمٌ وأمرُها بالغُ الأهميةِ، وأسعدُ السعداءِ من رُزِقَها، وأشقى الأشقياءِ من حُرِمَها وأيما مجتمع نُزِعَتْ عنه الأمانةُ فهو هالك متناحر لا خير فيه، فمع هجرانِ الناسِ للأمانةِ ابتلاهم اللهُ بالخوفِ والشكِّ في بعضِهم البعض فلا أحدٌ يأمنُ الآخرَ، ولا يركنُ إليه في أمرٍ، ولا يأمنُه على مالٍ ولا سرٍ، حتى الأسرةُ الواحدةُ، أصبح كلُّ واحدٍ يخافُ الآخرَ، فالرجلُ يخافُ من زوجتِه، وأبنائِه، ويُخفي عنهم أسرارَه، ويغلقُ دونَهم بابَه، ويُخفِ عنهم أموالَه، فأصبحَ لكل فرد في الأسرة غرفةٌ خاصةٌ به وأدراجٌ وصناديقٌ يحفظُ فيها أغراضَه، فيحكم إغلاقها، ويقفل أبوابها خوفا من أهله وأقاربه، وكأنه بين قطاع طرق أو عصابة لصوص وليس بين أهله وإخوته في الله، فالله المستعان على هذه الحال التي وصلنا إليها والتي هي من أمارات قيام الساعة قال رسول الله ﷺ: ((من علامات اقتراب الساعة: إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة واستحلوا الكبائر وأخذوا الرِّشا)).

عبادَ الله: إن الساعة لا يعلمها إلا اللهُ، ولكن عليك بأماراتٍ فارتقبها منها الأمانةُ، إذا ضُيعت واستُبدلت بالغدرِ والخيانةِ وخافَ الرجلُ على نفسِه من أخيه وغشَّ المرءُ من ائتمنَه وخانَ من استودعه فانتظر الساعةَ.

عبادَ الله: ماذا بقي لنا لقد تحققت النبوءاتُ واكتملت الأماراتُ وحان الوقتُ المعلومُ والأجلُ المبرومُ ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾.

اللهم إنا نسألك حسنَ الخاتمةِ والعاقبةِ في ديننا ودنيانا وخواتم أعمالنا وأعمارنا وأختم لنا بالحسنى، واجعلنا من السعداء يوم يخسر المبطلون الأشقياء إن ربي ولي النعماء وكاشف الضر والبلاء وهو حسبنا ونعم الوكيل، أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

 ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ۝٣﴾.

❁❁❁❁❁

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل الأمانةَ في قلوبِ الرجالِ بعد أن أبَتْ عن حملِها السماواتُ والأرضُ والجبالُ، جعل الأمانةَ في قلوبِ بني آدمَ ذكوراً وإناثا لأنه ركبَ فيهم عقولاً بها يفقهون وبصائرَ بها يهتدون فتحملوا الأمانةَ مخاطرين ليعلوا بأدائها إلى درجةِ المؤمنين المتقين أو لينزلوا بإضاعتِها إلى أسفلِ السافلين.

وأشهد ألّا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، إله الأولين والآخرين، خلقَ فأتقنَ وشرعَ فأحكمَ وهو أحكمُ الحاكمين.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه الذي بلَّغَ رسالةَ ربِّه وأدى أمانتَه على الوجهِ الأكملِ وعبدَ ربَّه حتى أتاه اليقينُ صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين من يومنا هذا إلى يومِ الدينِ وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

أيها الناسُ: اتقوا الله تعالى وأدّوا ما حُملتُم من الأمانة فلقد عرضَ اللهُ الأمانةَ على السماواتِ والأرضِ والجبالِ فأبينَ أن يحملْنَها وأشفقْنَ منها وحملَها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا، أدوا الأمانة بالقيام بما أوجب الله عليكم من عبادته وحقوق عباده، ولا تخونوا الله ورسوله وتخونوا أماناتِكم وأنتم تعلمون، لا تخونوا في ذلك بإفراطٍ أو تفريطٍ بزيادة أو نقصٍ فإن الخيانةَ نقصٌ في الإيمان وسببٌ للخسرانِ والحرمانِ. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: ((لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له)). وقال: ((آيةُ المنافقِ ثلاثٌ)) – أي علامتهُ التي يتميزُ بها وخُلُقه الذي يتخلقُ به – ((آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم)). وقال: ((إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء فيقال هذه غدرة فلان ابن فلان)) يرفع له هذا اللواء فضيحةً له بين الخلائقِ وخزياً وعاراً.

أيها المسلمون: إن الأمانةَ تكونُ في العبادةِ والمعاملةِ، فالأمانةُ في العبادةِ أن تقومَ بطاعةِ اللهِ تعالىٰ مخلصا له متبعا لرسوله ﷺ تمتثل أوامره وتجتنب نواهيه تخشى الله في السر والعلانية، تخشاه حيث يراكَ الناسُ وحيث لا يرونك لا تكن ممن يخشى اللهَ في العلانيةِ ويعصيه في السرِّ، فإن هذا هو الرياءُ، ألم تعلمْ أن اللهُ يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تخفي الصدورُ. ألم تعلمْ أنَّ اللهَ أنكر على من هذه حاله بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾.

وأما الأمانةُ في المعاملةِ فأن تعاملَ الناسَ بما تحبُ أن يعاملوك به في النصحِ والبيانِ، وأن تكونَ حافظا لحقوقِهم الماليةِ وغيرِ الماليةِ من كل ما استؤمنت عليه لفظا أو عرفا. فتكون الأمانة بين الرجل وزوجته، يجب على كل منهما أن يحفظ الآخر في ماله وسره، فلا يحدث أحدا بذلك.

فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((إن من شرِّ الناسِ منزلةً عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأتِه وتفضي إليه ثم ينشرُ أحدهُما سرَّ صاحبِه)).

وتكون الأمانةُ بين الرجل وصاحبه، يحدثه بحديث سر يعلم أنه لا يحب أن يطلع عليه أحد ثم يفشي سره ويحدث به الناس. وفي الحديث: ((إذا حدث الرجل رجلاً بحديث ثم التفت فهو أمانة)) لأن التفاته دليل على أنه لا يحب أن يسمعه أحد.

وتكون الأمانةُ في الاستشارةِ فمن استشارَك في شيءٍ فالواجبُ عليك أن تشيرَ عليه بما تراه الأفضلَ ولا تخنه ولو كان في ذلك نقصٌ عليك كأن يستشيرَك في سلعةٍ معك هل يشتريها أم لا، فعليكَ أن تبذلَ له النصحَ لأن ذلك من الأمانةِ لما روي أن (المستشار مؤتمن).

وتكون الأمانةُ في البيعِ والشراءِ والإجارةِ والاستئجارِ، فلا يجوزُ للبائع أن يخونَ المشتري بنقصٍ في الكيلِ أو الوزنِ أو زيادةِ الثمنِ أو كتمانِ العيبِ أو تدليسٍ في الصفةِ، ولا يجوز للمشتري أن يخونَ البائعَ بنقصٍ في الثمنِ، أو إنكارٍ أو مماطلةٍ مع القدرةِ على الوفاءِ. ولا يجوزُ للمؤجر أن يخونَ المستأجر بنقص شيءٍ من مواصفاتِ الأجرةِ أو غيرِ ذلك. ولا يجوزُ للمستأجر أن يخونَ المؤجرَ بنقصِ الأجرةِ أو إنكارِها أو تصرفٍ يضرُ المستأجرَ من دارٍ أو دكانٍ أو آلةٍ أو مركوبٍ.

وتكون الأمانةُ في الوكالاتِ والولاياتِ، فيجب على الوكيلِ أن يتصرفَ بما هو أحسنُ ولا يجوز أن يخونَ موكلَه فيبيع السلعةَ الموكَّلُ في بيعها بأقلَّ من قيمتِها محاباةً للمشتري، أو يشتري السلعةَ الموكل في شرائِها بأكثرَ من قيمتِها محاباة للبائع. وفي الولاياتِ كلُّ مَن كان والياً على شيءٍ خاصٍ أو عامٍ فهو أمينٌ عليه، يجب أن يؤديَ الأمانةَ فيه، فالقاضي أمينٌ، والحاكم أمينٌ، والمدرس أمينٌ، والمدير أمينٌ، وكلُّ مسئولٍ أمينٌ على ما اؤتمنَ عليه، يجب عليهم أن يتصرفوا فيما يتعلق بولايتِهم بالتي هي أحسنُ في ولايتهم، وفيما ولوا عليه حسبما يستطيعون، وأولياء اليتامى وولاة الأوقاف وأوصياء المواريث كل هؤلاء أمناء يجب عليهم أن يقوموا بالأمانة بالتي هي أحسن.

ألا وإن من الأمانةِ ما يتصلُ بالتعليمِ والإرشادِ، وتربيةِ الأبناء فعلى القائمين على ذلك من مُدَرَاءَ ومعلمين والمشرفين عليها أن يُراعوا الأمانةَ في ذلك باختيارِ المناهجِ الصالحةِ، والمدرسين الصالحين المصلحين الأكفَّاء، وتوعية الطلبة ديناً ودنيا عبادةً وخلقاً.

أيها الناسُ: اتقوا اللهَ تعالى وأدوا الأمانةَ التي حُملتُمُوها وتَحملتم مسئوليتَها فقد حُمّلتموها بما وهبَكم اللهُ من العقلِ وأرسلَ إليكم من الرسل. أدوا الأمانةَ التي عرضَها اللهُ على السماواتِ والأرضِ والجبالِ فأبينَ أن يحملْنَها وأشفقْنَ منها وحملَها الإنسانُ إنه كان ظلوماً جهولاً. أدوا الأمانةَ فإنكم عنها مسئولون وعلى حسب القيامِ بها.

أو التفريطِ فيها مجزيون، فإما مغتبِطون بها مسرورون، وإما نادمون في إضاعتها حزنون، أدوا الأمانة فيما بينكم وبين الله، وأدوها فيما بينكم وبين عباد الله.

أما أداؤها فيما بينكم وبين ربِّكم فأن تقوموا بطاعتِه مخلصين له الدينَ وتقربوا إليه بما شرعَه متبعين لرسولِه غيرَ زائدِين عليه ولا ناقصين، فلن يقبلَ اللهُ عملاً حتى يكونَ خالصاً لوجهِه موافقاً لشرعِه.

وأما أداءُ الأمانةِ فيما بينكم وبين العبادِ فأن تقوموا بما أوجبَ اللهُ عليكم من حقوقِهم، بحسب ما يقتضيه العملُ الذي التزم به الإنسان نحو غيره من الناس. فولاة الأمورَ صغاراً كانوا أو كبارا رؤساء أو مديرين أمانتهم أن يقوموا بالعدلِ فيما وُلّوا عليه، وأن يسيروا في ولايتهم حسبما تقتضيه المصلحة في الدين والدنيا وألّا يحابوا في ذلك قريبا ولا صديقا ولا قويا ولا غنيا ولا شريفا، فلقد أقسم رسول الله ﷺ وهو الصادق بدون قسم لو أن فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرقت لقطعَ يدَها. أقسم على ذلك عَلَناً وهو يخطبُ الناسَ، حينما شفع إليه في رفع الحد عن المرأة التي من بني مخزوم، أقسم على ذلك تشريعا للأمة وتبيانا للمنهج السليم الذي يجبُ أن يسيرَ عليه ولاةُ الأمورِ. وعلى ولاة الأمور أن يولوا الأعمالَ مَن هو أحقُّ بها وأجدرُ وأقومُ وأنفعُ. فإن من خيانةِ الأمةِ وخيانةَ العملِ أن يولى على المسلمين أحد وفيهم من هو خير منه في ذلك العمل.

وأصحابُ الأعمالِ أمانتُهم في وظائِفهم أن يقوموا بها على الوجهِ المطلوبِ، وألّا يتأخروا ولا يقصروا في ما أوكل إليهم من أعمالهم، أو يتشاغلوا بغيرها إذا حضروا مكان العمل، وألّا يتعدوا في أمر لا يعنيهم فإن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

ألا وإن من واجبِ الأمانةِ على أي عملٍ سواءً في إدارةٍ معينةٍ، كمستشفى، أو محكمةٍ أو في وظيفةٍ عامةٍ أو أيِّ معاملةٍ، ولو حتى عاملٍ على محطةِ بترولٍ أو غازٍ فالأولوية بالنسبة لمن سبقَ ولا يجوزُ تقديمُ زبونٍ على آخرَ لأن الأمانةَ تقتضي

عدمَ تقديمِ معاملةِ أحدٍ على أحدٍ أولى منه، لأنه قريبُك أو صديقُك أو أهدى إليك هديةً أو دفعَ إليك رشوةً، أو ترجو منه أن يسهلَ لك مهمةً أخرى أو لغيرِ ذلك من الاعتباراتِ غيرِ الشرعية، فإن بعضَ الناسِ يتهاونُ بذلك، وهذا من خيانةِ الوظيفةِ ومن ظلمِ الخلقِ، ربما يتعللُ بعضُ الناسِ بأنه يقدمُ هذا لأنه مسؤولٌ أو تاجرٌ أو صاحبُ سلطةٍ ومستوى رفيعٍ يؤهلُّه أن يتقدمَ على غيرِه، وهذا غيرُ مبررٍ للتقديمِ بل من واجبِ مثلِ هؤلاءِ أن يكونوا أحرصَ الناسِ على التزامِ النظامِ أسوةً لغيرِهم وأن يكونوا قدوةً لغيرِهم في الالتزام وفي مستوى واحدٍ في المعاملات.

فهؤلاء هم رعاةُ الأمورِ فهم كبارُ القومِ والذين عهدت إليهم المسئولية الكاملة برعاية مصالح البلد، فعليهم أن يقوموا بهذه الرعايةِ حقَّ رعايتِها، ناصحين فيما لا يستطيعون إلزام الناسِ به، وملزمين فيما لهم حق الإلزام به وأن يراعوا المصالح الدينية والدنيوية فيما رفع إليهم وما لم يرفع لأنهم، ومتى بذلوا الجهد مخلصين لله تعالى سالكين سبيل الحكمة والعزم فسيوفقهم الله تعالى فإن الله لا يضيع أجر المصلحين.

ويجب مراعاةُ الرجلِ أمانتَه في أهلِه وولدِه، وذلك أن يقوموا بتربيةِ أولادِهم وتوجيهِهم وإرشادِهم ومراقبتِهم مراقبة تامة، لا سيما في الوقت الذي تكثر فيه الفتنُ وتشتد فيه المنكراتُ، فإن الأمانةَ تُحتِّم عليهم الرقابةَ أكثر مما إذا خفت الفتن وقلت المنكراتُ، ألسنا نتحفظ في أموالنا حين تكثر السرقةُ والخيانةُ ونتحفظ عليها أكثر ونطلبُ لها المكانَ الأحرزَ، فكذلك يجب علينا في أولادِنا، بل ملاحظةُ أولادِنا أوجبُ علينا من ملاحظة المال، لما في إهمالِهم من الخطرِ علينا وعلى أنفسِهم وعلى الأجيالِ المقبلةِ كلِّها، إن أولادنا وليس أموالنا هم الذين يصحبوننا في الجنة إذا تبعونا في الإيمان: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾.

إن كلَّ واحدٍ من الناسِ لا يرضى أن يكونَ مُنَعَّماً في الجنةِ وأولادُه معذبين في النار. إننا نجزمُ أن الشخصَ لو رأى النارَ في الدنيا تأكلُ ولدَه أو قريبَه لسعى بكلِّ جهدِه في دفعِها عنه، أفلا يعقلُ ويتنبه وهو يرى ولدَه يسعى في المعاصي التي هي أسبابُ دخولِ النارِ ثم لا يبالي بذلك، مع أن إهمالَه يوجبُ أن يُعذّبَ عليه لأنه عاصٍ لله حيث لم يقهم النارَ كما قال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.

فاتقوا الله أيها المسلمون وأدوا أمانةَ اللهِ التي حُملتموها فقد قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

وفقني اللهُ وإياكم لأداءِ الأمانةِ وحمانا جميعاً من الإضاعةِ والخيانةِ وغفرَ لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمين إنه هو الغفورُ الرحيم.

اللهم اجعلنا ممن حَفِظَ الأمانةَ وأوفى بالعهدِ واجعلنا من الراشدين آمين ربَّ العالمين.

عبادَ الله: إن الله أمرَكم بأمرٍ بدأَ فيه بنفسِه وثنى بملائكتِه المسبِحةِ بقدسه وثَلَّثَ بكم أيها المؤمنون من جِنِّهِ وأنسِه قال عزَّ من قائلٍ كريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهم فصل وسلم وبارك وترحم على عبدِكَ ونبيِكَ وخيرتِكَ من خلقِكَ وصفوتِكَ من بريتِكَ أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ وبلغ روحَه منا في هذه الساعةِ الطيبةِ المباركةِ أبلغَ الصلواتِ وأتمَّ التسليمِ برحمتِك يا كريم.

وصل اللهم على أخيه ووصيه وبابِ مدينة علمِه اشجعِ طاعنٍ وضاربٍ مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

وصل اللهم على زوجتِه الحوراء سيدةِ النساء وخامسةِ أهل الكساء فاطمةَ البتولِ الزهراءِ.

وعلى ولديهما السيدين الشهيدين والقمرين النيرين أبي محمدِ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ.

وعلى مولانا الولي ابنِ الولي صاحبِ المنهجِ الحقِّ الجلي الإمامِ زيدِ بنِ علي.

وعلى إمام اليمن الميمون الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ القاسم بن إبراهيم، وعلى سائر أهلِ بيتِ نبيك المطهرين دعاةً منهم ومقتصدين.

وارض اللهم عن صحابة نبيك الراشدين من الأنصار والمهاجرين. والتابعين وتابعي التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وأرض عنا معهم بفضلك ومنك يا أرحم الراحمين. اللهم إنا نسألك من مقامنا هذا وفي ساعتنا هذه أن ترحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سواك وتفتح لنا بها أبواب رضوانك وتغمرنا بفيض انعامك.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين وألف بين قلوبهم واجمع شملهم ووحد صفهم وأعلِ رأيتهم وأيدهم بنصرك وأنزل عليهم السكينة وأثبهم فتحاً قريباً يا أرحم الراحمين.

اللهم أهلك الكفرة والمشركين والملاحدة والمعاندين والمخربين لدينك والمتقطعين في سبيلك والمحاربين لأهل بيت نبيك أينما كان كائنهم.

واكفنا شرهم وأذيتهم كيف شئت وأنى شئت يا جبار يا منتقم اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم الظالمين.

اللهم فرق جمعَهم وشتت شملَهم واجعل بأسَهم بينهم واجعل تدميرَهم في تدبيرِهم وأرحِ المسلمين من شرورِهم وأذيتِهم يا ذا القوةِ المتين.

اللهم واسقنا الغيثَ وآمنا من الخوفِ ولا تجعلنا من القانطين.

واجعلنا من الآمرين بالمعروفِ الفاعلين له ومن الناهين عن المنكرِ التاركين له، ووفقنا لأداء الأمانة ولما فيه الخير والسداد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وأخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.



[٢١]- الصدق

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله صادقِ الوعدِ، وفيِّ العهدِ، ربِّ الأربابِ، ومالكِ الرقابِ، نحمده على كل حال ونعوذ به من سوء المآل.

ونشهد ألّا إله إلا اللهُ وليُّ الصالحين، الذي لا تراه العيونُ ولا تحيطُ به الظنونُ، ولا يصفه الواصفون.

ونشهد أن سيدَنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه الصادقُ الأمينُ وخاتمُ المرسلين ومؤدبُ المؤمنين ومربيهم على النهجِ القويمِ، صاحبُ الأخلاقِ الفاضلةِ والصفاتِ الكريمة.

صلى الله عليه وعلى عترته الأطهار ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ وسلم تسليماً كثيراً، **أما بعد**:

عبادَ الله: لقد بعث اللهُ نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم برسالةٍ سماويةٍ خالدةٍ، الغاية من ورائها بناء النفس البشرية وتزكيتها، كما قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ**﴾ أي إن مهمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي أرسله الله من أجلها هي تربية البشرية على خصالِ الخيرِ والفضيلة، وتعليمِ الناسِ مكارمِ الأخلاق، التي تسموا بالعبد إلى أعلى مراتب الكمال، وتطهره من الرذائل والآثام.

عبادَ الله: لقد أدبَ اللهُ نبيَّه وتَوَّجهُ بمكارمِ الأخلاقِ، حتى بلغ أعلى مراتبِ الفضيلةِ والكمالِ فأثنى اللهُ عليه بقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ فكان هدفُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينقلَ إلينا تلك الأخلاقَ الفاضلةَ، ويعلمَها كلَّ فردٍ في هذه الأمة، ويربيهم عليها، كما علمَه الله فهذه من أعظمِ الغاياتِ التي من أجلِها بَعَثَ اللهُ الرُّسل.

كما صرح رسولُ الله ﷺ بذلك حيث قال: ((إنما بُعثتُ لأتمم مكارمَ الأخلاق)) ومن مكارمِ الخُلقِ، غرسُ الرحمةِ والمحبةِ بين الناسِ، ونزعُ العداوةِ والبغضاءِ من صدورِ الخَلْق، فقد قال تعالىٰ في حق رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ومن مكارمِ الأخلاقِ بثُّ روحِ العدالةِ والمساواةِ، والقضاءُ علىٰ الظُّلْمِ والاستبدادِ، ونشرُ خصالِ الفضيلةِ كالوفاءِ والأمانةِ والصدقِ ونحوها، وطمسُ خصالِ الرذيلةِ كالخيانةِ والغشِ والخداعِ والكذبِ ونحوها، وقد أدبَّ اللهُ نبيَه ﷺ ورباه علىٰ خصال الخير ومنحه كل فضيلة حتىٰ طبع عليها وعرف بها.

عبادَ الله: لقد أصبح الناسُ في هذا الزمن الرديء يعيشون في أدنىٰ مراتبِ التقوىٰ وبعيدين عن تعاليمِ الدينِ الساميةِ، وشرائعِه السمحةِ، بل لقد طغت خصالُ الرذيلةِ علىٰ خصالِ الخيرِ والفضيلة.

وانتشر الغدرُ والخيانةُ، والكذبُ والغشُ وشهادةُ الزورِ وأيمانُ الفجورِ، وغيرُها من الموبقاتِ، بل أصبحت وسيلةً اعتادها الناسُ في معاملاتِهم من أجل النصبِ والابتزازِ.

ومن أخطرِ الرذائلِ وأكثرِها شيوعاً في هذا الزمان الكذبُ الذي كان يتحاشاه المؤمنون ويهربون عنه، وتمجُّه أسماعُهم وتأنفُ منه طباعَهم، فقد أصبح اليوم أمراً طبيعياً وفكاهة يحلي به الناس حديثهم ويتفكهون به فيما بينهم دون نكير، إن الكذب ذنب وجريمة نبذها الدين وحذر منها وعادة بين الناس فالشاطر عندهم من يكذب.

عبادَ الله: لقد شددَ اللهُ ورسولُه في أمرِ الكذبِ وسوءِ عواقبِه، وحذرَ الناسَ منه، وبين لهم خطرَه، يقولُ الرسولُ ﷺ: ((إن الصدقَ يهدي إلىٰ البرِّ وإنّ البرَّ يهدي إلىٰ الجنةِ، وإن الرجلَ يصدقُ ويتحرىٰ الصدقَ حتىٰ يُكتبَ عند اللهِ صديقاً، وإن الكذبَ يهدي إلىٰ الفجورِ، وإن الفجورَ يهدي إلىٰ النارِ، وإن الرجلَ ليكذب حتىٰ يُكتبَ عند اللهِ كذّاباً)).

فماذا تريدُ أن تُكتبَ عند الله؟ وماذا تريدُ أن يكون أسمُك غداً، عبدَ الله إن باستطاعتك أن تَكتُبَ اسمَك في أيِّ سجلٍ تشاءُ، أترضى أن تكتب عند الله كذاباً، وتأتي يوم القيامة وأنت موسومٌ بالكذبِ، وكلما فَتَحْتَ صحيفتَك وقلبتَها وجدتَ فيها مكتوباً كذاب، إن هذا الأمرَ لا يطاقُ ولا يحتملُه أحدٌ، ولكن ليست هذه هي النهايةُ، والأمر لا يتوقف عند التسمية فحسب بل إن الصادقَ والكاذبَ نهايةٌ يقودُه إليه الصدقُ والكذبُ فقد ورد في آخر الحديث بأن الصدق يهدي إلى البرِّ ثم إلى الجنةِ.

وكأنَّ الصدقَ دليلٌ يأخذ بيدِك حتى يوصلَك إلى الجنةِ، والكذبَ يهدي إلى ماذا؟ إلى الفجورِ والعياذُ بالله أي أن الكذبَ يقودُك إلى كلِّ جريمةٍ ثم يختم بك إلى النارِ.

عبادَ الله: لا يحق لمؤمن أن يتهاون بالكذب مهما كان سواءً أضر أحداً أم لا، إن الكذبَ كذبٌ مهما كان وإن كان مزحاً فليس هناك كذب حلال وكذب حرام ولا كذب أبيض وكذب أسود، بل لقد ورد في حق الكذب وإن كان (مزحاً) وكما ورد الأثر: (ويلٌ للذي يحدثُ بالحديثِ ليُضحِكَ به القومَ فيكذب ويلٌ له ثم ويلٌ له) وأيضاً يجب أن نتعاملَ بالصدقِ مع الأبناءِ حتى يتعلمَ الطفلُ من أبيه الصدقَ، فالرسولُ ﷺ علمنا كيفَ نربي أولادَنا على الصدقِ، وكيف نغرسُ هذه العادةَ الحميدةَ في قلوبِهم، فمما يروى عنه ﷺ إنه كان ذاتَ يومٍ جالساً في بيتِ أحد الصحابةِ، فنادت زوجةُ الصحابي ابنَها فقالت له: تعال، هاكَ، فقال النبي ﷺ: ((ماذا تريدين أن تعطيَه؟ أمعكِ شيءٌ تعطيه؟ قالت نعم معي تمرٌ يا رسولَ الله، قال أما إنك لو لم يكن معكِ ما تعطيه إياه، لكُتِبَتْ عليكِ كذبةٌ)) فأين هنا مما يحدثُ في مجتمعاتنا اليوم؟ هناك من يُعلمُ ابنَه الكذبَ ويأمرَه بالكذبِ فيقول إذا جاءَ فلانٌ فقل له إني نائمٌ أو غيرُ موجودٍ، ثم يشكو من ابنِه بعد ذلك ويقولُ لماذا يكذبُ ابني؟ والجوابُ واضحٌ، السببُ وراء ذلك هما الأبوانِ اللذانِ علماه الكذبَ في صغره.

عبادَ الله: إن الكذبَ ليس من صفاتِ المؤمنين وليس من أخلاقِ الإسلام في شيء، بل لقد صرح رسول الله ﷺ بأن صاحبه خارج عن جماعة المؤمنين، وهو إلى المنافقين أقرب، ووصفه بالمنافق أحق وأولى لما جاء عن النبي ﷺ: ((ثلاثٌ من كُنَّ فيه فهو منافق وإن صام وصلى وزكى وزعم أنه مسلم، من إذا حدثَ كذبَ وإذا وعدَ أخلفَ، وإذا أؤتمن خانَ))

وفي حديث آخر سئل النبي ﷺ: ((أيكون المؤمن جباناً؟ قال نعم، قالوا أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال نعم، قالوا أيكون المؤمن كذّاباً قال لا إن الكذبَ والإيمانَ لا يجتمعان ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾)).

وفيما يروي أن امرأةً قالت للنبي ﷺ يا رسولَ الله أقولُ للطعامِ الذي أشتهيه لا أشتهيه أهي كذبةٌ، فقال ﷺ: ((إن الكذبةَ تُكتبُ كذبة، حتى الكُذيبة تكتب كُذيبة)).

فلم يُرخصْ ﷺ في الكذبِ لأجلِ حياءٍ ولا لأيّ شيءٍ آخر، لم يكن هناك من خُلُق أبغض إلى قلبه ﷺ من الكذبِ، وإن الرجلَ ليتحدث بالكذبة فيتغير عليه قلبُ النبي ﷺ ولا يزال في نفسِه منه شيءٌ حتى يعلمَ أنه قد أحدث منها توبةً، والنبي ﷺ ليس وحدَه من يكره الكذبَ وينفرُ منه ومن صاحبِه، بل إن الملائكةَ هم أيضاً ينفرون من الكذب.

وها هو ربُّ العزةِ يبينُ لنا أن الكذبَ لا يَقدم على افترائه إلا الذين لا يؤمنون قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فما ذا يريد أصحاب الكذب بعد هذا تنبذهم الملائكة ويكرهم رسول الله ﷺ، ويغضب عليهم الله، ويمقتهم الناس ويرفع الله عنهم صفة الإيمان.

ماذا يستفيدُ الكذابُ من كذبِه الذي لا يجني من ورائه كل يوم إلا أحمالاً من السيئات؟

إذا كانت الملائكةُ تبتعد عن الكذابِ، وتهربُ منه، فمن يقتربُ منه يا تُرى؟

إنه الشيطانُ بلا شكٍ والعياذُ باللهِ قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.

عبادَ الله: لا بد لكل عبدٍ من وقفةٍ بين يدي اللهِ وقفةٍ لا يقوىٰ عليها الا أهل الصدق، ولا يثبت معها إلا الصادقون قال الله: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾.

فإذا لم ينفعْك الصدقُ في الدنيا فيومَ القيامةِ أنت علىٰ موعدٍ مع الصدقِ لكي ينفعَك وينقذَك من الأهوالِ، حتىٰ الأنبياء سيسألون عن صدقهم يقول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً (٧) لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً (٨)﴾.

فإذا كان أفضلُ البشرِ سيُسألون عن صدقِهم فعن أيِّ شيءٍ سيُسأل الكذابون؟ هل عن صدقِهم؟ أم عن كذبِهم الذي ملاء صفحاتِ صحائفِهم؟ عبدَ اللهِ تأمل في قوله تعالىٰ: ﴿لِيَجْزِىَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ تأمل بلاغة التعبير في كلام الله لم يقل ليجزي الصادقين بصدقهم، ويعذب الكاذبين بكذبهم بل قال: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾.

ما الحكمةُ من إتيانِه بلفظة المنافقين بدلَ الكذابين؟ إن اللهَ يعلمنا أن الذي يقطع عمره بالكذب فهو في نهاية المطاف سيؤول أمره إلىٰ النفاق حتماً لأن الإيمان أساسه الصدق، والنفاق أساسه الكذب، ولا يمكن أن يجتمع الإيمان والكذب في قلب مؤمن ما بقي الدهر.

لماذا؟ لان الكذبَ الذي نتهاونُ به يُعدُّ من أكبرِ الكبائرِ بل هو بابُ كلِّ جريمةٍ ومفتاحِ كلِّ شرٍّ، ولو أن الناسَ صدقوا ما أذنبوا ولا عصوا، فلو قلنا للعاصي مثلاً اعمل ما شئت وافعل ما تريد، ولكن لا تكذب، اسرق وازن واقتل، ولكن لا تكذب، هل يستطيع؟ لا والله.

لا يستطيعُ السارقُ أن يقولَ سرقتُ هذا من مالِ فلانٍ، لو سُئل الزاني أين كنت هل يستطيع أن يصدقَ، إذا سُئل القاتلُ من قتل فلاناً هل يقدرُ أن يعترفَ ويقولَ الصدقَ.

عبادَ الله: كلُّ عاصٍ كذابٌ قبل كل شيءٍ، ويستخدمُ الكذبَ كوسيلةٍ للتهربِ وإنكارِ جريمتِه، وإذا أرادَ أن يصدقَ فعليه أن يبتعدَ عن كلِّ معصيةٍ، وإلا فضحَ نفسَه، يا له من علاجٍ ناجحٍ (اعمل ما شئتَ ولكن لا تكذب).

اللهم ارزقنا ألسنةً صادقةً وقلوباً خاشعةً ونفوساً قانعةً واجعلنا من الصادقين، أقول ما تسمعون وأستغفر اللهَ العظيمَ الجليلَ لي ولكم من كل ذنبٍ فاستغفروه إنه هو الغفورُ، الرحيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾.



الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي صدقَ وعدَه، وأعزَّ جندَه، لا يقولُ إلا فصلاً، ولا يحكم إلا عدلاً، وعد الصادقين بصدقِهم، ويعذبُ المنافقين ومن أصدقَ من الله قيلا.

وأشهد ألّا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، ولا شبيهَ له ولا مثيلَ.

وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله الصادقُ الأمينُ صلى الله عليه وعلى ذريتِه الطيبين الأكرمين من يومِنا هذا إلى يوم الدين.

أما بعد:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

عبادَ الله: إن لهذه الآيةِ قصةٌ وقعت في عهدِ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تتعلقُ بالصدقِ، ففي غزوةِ تبوكٍ خرجَ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ثلاثينَ ألفاً من أصحابِه لغزوِ الرومِ.

وكان خروجُهم في شهرِ أغسطس، في أشدِّ أيامِ الصيفِ حراً، وكانت المسافةَ بعيدةً حوالي الف كيلو متر من المدينة إلى تبوك، فبدأ المنافقون يعتذرون عن الخروج ويحتالون على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالكذب والخداع.

وكان هناك ثلاثةً من الصحابةِ الصادقين الذين تخلَّفوا عن الخروج مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومنهم الصحابي الذي يحكي لنا هذه القصةَ وهو كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

يقولُ كعبٌ عن نفسِه خرجَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وخرجَ معه الجيشُ وأنا أقولُ ألحقُهم غداً، ويأتي غد، وأقول سألحقُهم غداً.

حتى أصبحَ من المستحيلِ أن ألحقَ بهم، فمشيتُ في طُرقاتِ المدينةِ فلا أجدُ إلا منافقاً معلومَ النفاقِ أو مريضاً قعيداً.

فلما قفلَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عائداً حضرني بثّي -أي شدةُ الحزنِ بسبب تخلفِه عن النبي- فقلت لنفسي ماذا أقولُ للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ كيف أخرجُ مِن سخطِه غداً؟ يقول كعبٌ فطفقت أتذكرُ الكذبَ، وأصبحتْ نفسي تحدثُني بالكذبِ، فلما عادَ

النبي ﷺ أجمعتُ على الصدقِ، فدخل النبيُّ ﷺ المسجدَ فجلسَ، فبدأ المنافقون يدخلون عليه وكلُّهم يقولون سامحني يا رسولَ الله، يختلقون الأعذارَ الكاذبةَ ويحلفون له الإيمانَ الفاجرةَ، ويقبلُ النبيُّ ﷺ علا نيتَهم أي يعاملُهم على الظاهرِ من قولِهم ويستغفرُ لهم، ويبايعُهم ويجددُ لهم البيعةَ ويتركُ أمرَهم إلى الله، فيخرجون من عندِه وهم في منتهى السعادَةِ، لماذا؟ لأنهم اعتقدوا أنهم بكذبِهم وتحايلِهم قد خدعوا رسول الله ﷺ، نسوا بأن الله من ورائِهم محيطٌ ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ .

وجاء دوري -هذا كعبُ بنُ مالكٍ الذي تخلفَ عن الجهادِ يكملُ القصةَ- قال وجاءَ دوري فدخلتُ على النبيِّ ﷺ فتبسمَ تبسمَ الغضبانِ وقال لي: تعالَ: ما خلَّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهراً -أي اشتريت جملاً لتسافرَ عليه-، فقال يا رسولَ الله والله لو جلستُ عند غيرِك من ملوكِ الدنيا لرأيتُ أني سأخرجُ من سخطِه بعذرٍ، لقد أُوتيتُ جَدَلاً -أي أنا أبو الأعذار وصاحبُ فطنةٍ أتخلصُ بها من المآزِقِ- ثم يكملُ ويقولُ ولكن يا رسولَ الله لئن حدثتُك اليومَ حديثاً ترضى به عني ليوشكن اللهُ أن يُسخطَك عليّ.

ولئن حدثتُك حديثَ صدقٍ تجدُّ -أي تغضبُ- فيه عليَّ، إني لأرجو فيه من اللهِ عقبى -أي خير- ثم عزمَ على أن يعترفَ ويقولُ الصدقَ فقال: وواللهِ ما كان لي من عذرٍ.

فقال النبي ﷺ أما هذا فقد صدقَ، قم حتى يقضيَ اللهُ فيك، وكان قد صدقَ معه اثنانِ من أصحابِ النبي ﷺ وهما مرارةُ بنُ الربيعِ وهلالُ بنُ أمية.

قال كعبٌ: قمتُ من عندِ النبي فنهى النبي ﷺ عن كلامِنا نحنُ الثلاثة، أربعين يوماً، ثم مُدَّتْ بعد ذلك وأصبحت خمسين يوماً حتى ضاقت عليهم الأرضُ بما رحبت وضاقت عليهم أنفسُهم.

ويقول كعبٌ لما خرجتُ من عندِ النبي ﷺ جاءني أناسٌ من بني سلمة

يقولون لي لماذا لم تقل مثلَ فلانٍ وفلان، وتعتذرْ أي مثل المنافقين، وكان النبي سيستغفرُ لك أما رأيتَ النبيَّ يستغفرُ لهم، فمن كثرةِ كلامِهم هممتُ أن أعودَ للنبي فأُكذِّبَ نفسي، ولكن عدتُ إلى رشدي -أي لم أفعل-.

ونهى النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن كلامِنا خمسين يوماً حتى نزلت توبةُ اللهِ علينا في قرآنٍ يتلى إلى يومِ القيامة.

فجئت إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ودخلتُ المسجدَ، فنظر إليَّ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فاستنار وجهُهُ من الفرحةِ، فقلتُ يا رسولَ الله ما نجاني إلا الصدقُ وأن من توبتي ألا أحدث بعد ذلك إلا صدقاً، يقولُ كعبٌ عن نفسِه وواللهِ ما كذبتُ بعدها كذبةً، وإني لأرجو من الله أن أستديمَ على ذلك حتى أموت.

حقّاً إنها لقصةٌ وموعظةٌ للمؤمنين فقد رفضَ كعبٌ أن يكذبَ ولو كان في الكذبِ نجاتُه، فما بالك بمن يكذبُ لا لحاجةٍ ولا لضرورةٍ، وهو يعلمُ بأن من يكذب عليهم يعلمون بأنه يكذب.

عبادَ الله: إن الكذبَ آفةٌ ولا ينبغي أن يُعوِّلَ عليه مؤمنٌ في الخلاصِ من مأزقٍ مهما كانت ظروفُه، وكيفما كانت الضرورة، فالنجاة لا تكون في معصيةِ الله أبداً، لما رُوِيَ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: ((تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكةَ فإن فيه النجاةَ وتجنبوا الكذبَ وإن رأيتم فيه النجاةَ فإن فيه الهلكةَ)).

وهذا زيدُ بنُ عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يقولُ عن نفسِه: ((والله ما كذبتُ كذبةً منذُ علمتُ أن الكذبَ يشين بأهلِه)).

عبادَ الله: إن الكذبَ وإن أنجاك في الدنيا فلن ينجيَك يومَ القيامة.

الكذب وإن رفعَك أمامَ الناس فإن الصدقَ يرفعُك عند الله.

فأيهما أحبُّ إليك؟ أن يرفع شأنَك عند اللهِ أم عندَ الناسِ؟ بعضُ الناس مُدْمِنٌ على الكلامِ يريد أن يتكلمَ في كلِّ شيءٍ صدقاً كان أو كذباً، وإذا سمع خبراً نقله ولا يتحقق من صدقِه أو كذبِه، ويدعي بأنه يعرفُ كلَّ شيءٍ، يريد أن

يظهرَ أمامَ الناسِ وأن يترفعَ في كلِّ مجلسٍ، ولا ينظرُ إلى عاقبةِ أمرِه عند اللهِ يومَ يُحشرُ في الأذلين في وادي ويل مع الكاذبين، روي عن أمير المؤمنين أنه قال: (كفى بالمرءِ كذباً أن يحدث بكلِّ ما سَمِعَ).

عبادَ الله: إن ومما يروى في فضل الصدق وحسن عواقبه ما روي أن رجلاً من السلف قال بنيت نفسي على الصدق وذلك أني خرجت من مكةَ إلى بغدادَ أطلبُ العلمَ، فأعطتني أمي أربعين ديناراً، وعاهدتني على الصدقِ، فلما وصلنا أرضَ همدانَ خرجَ علينا عربٌ (من قطاعِ الطريقِ) فأخذوا القافلةَ، فمر واحدٌ منهم وقال ما معك؟

قلت: أربعون ديناراً؛ فظن أني أهزأُ به فتركني، فرآني رجلٌ آخر فقال ما معك؟ فأخبرتُه فأخذني إلى كبيرِهم فسألني فأخبرتُه، فقال ما حملك على الصدقِ؟ قلت عاهدتُ أمي على الصدقِ فأخافُ أن أخونَ عهدَها، فصاح زعيمُ قطاعِ الطريقِ ومزقَ ثيابَه، وقال أنت تخافُ أن تخون عهدَ أمِّك وأنا لا أخافُ أن أخونَ عهدَ اللهِ، ثم أمر بردِّ ما أخذوه من القافلةِ، وقال أنا تائبٌ للهِ على يديك، فقال الذين معه أنت كبيرُنا في قطعِ الطريق، وأنت اليوم كبيرُنا في التوبةِ فتابوا جميعاً ببركةِ الصدقِ.

عبادَ الله: اللسان نعمةٌ من النعمِ التي يجب أن نحفظَها لما ورد عن الرسول ﷺ أنه قال: ((من يضمن لي ما بين فكيه، وما بين فخذية أضمنْ له الجنة)).

فهل نستطيعُ أن نتحكمَ في جوارحِنا وأن نصونَ ألسنتَنا لنحصلَ على ضمانِ رسولِ الله الذي وعدَ به وهو الجنة.

أيها الناسُ: اعلموا أنه ليس من الضروري أن يتكلمَ الإنسانُ في كلِّ شيء وبخاصة في الذي لا علم له به، ففيما يروى بأن أكثر الناس ذنوباً أكثرهم كلاماً فيما لا يعنيه (فمن كان يؤمن باللهِ واليومِ الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) وعنه ﷺ أنه قال: ((رحمَ الله عبداً تكلم فغنم، أو سكت فسلم، إن اللسان

أملك شيء للإنسان، ألا وإن كلام العبد كلّه عليه إلا ذكرَ اللهِ تعالىٰ، أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر، أو إصلاحاً بين المؤمنين)).

فقال معاذُ بنُ جبلٍ رضي الله عنه يا رسولَ الله أنؤاخذُ بها نتكلمُ به [أي هل يحاسبُنا اللهُ على فلتاتِ ألسنتِنا] فقال له رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((وهل يُكَبُّ الناسُ علىٰ مناخرِهم في النارِ إلا حصائدَ السنتهم)).

عبادَ الله: إن من حكمةِ الله أن جعل لابن آدم عينين واذنين وفماً واحد وذلك ليسمعَ ويبصرَ أكثرَ مما يتكلمُ، فمن أراد السلامة فليحفظ ما جرىٰ به لسانه، وليحرس ما أنطوىٰ عليه جنانُه، وليحسن عملَه، وليقصر أملَه قال تعالىٰ: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾.

جعلنا الله وإياكم ممن سَمِعَ فوعىٰ واتعظ فارعوىٰ، إن ربي وليُّ النعماءِ وكاشفُ الضرِّ والبلاءِ وهو حسبُنا ونعمَ الوكيل.

عبادَ الله: إنَّ يومَكم هذا يوم مبارك ميمون، فأكثروا فيه من الصلاة علىٰ نبيكم الكريم امتثالاً لأمر الله القائل.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهم فصل وسلم وبارك وترحم علىٰ عبدك ونبيك الخاتم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وصل اللهم وسلم علىٰ أخيه الليث الغالب الإمام علي بن أبي طالب، وعلىٰ زوجته البتول الزهراء سيدة نساء الدنيا والأخرىٰ، وعلىٰ ولديهما الإمامين الأعظمين أبي محمد الحسن، وأبي عبد الله الحسين.

وصل اللهم وسلم علىٰ إمام الجدِّ والاجتهادِ الولي بنِ الولي الإمامِ زيدِ بن علي، وعلىٰ الإمام الهادي إلىٰ الحقِّ القويم يحيىٰ بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بن إبراهيم، وعلىٰ سائرِ أهلِ بيتِ نبيِّكَ المطهرين دعاةً منهم ومقتصدين، وعلىٰ من بينَنا وبينَهم من الأئمةِ الهادين، وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من الأنصارِ

والمهاجرين والتابعين لهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدينِ، وارضَ عنا معهم بفضلِك ومَنِّك يا أرحمَ الراحمين، أللهم إنا نسألك في يومِنا هذا ومن مقامنا هذا أن تلمَّ شعثَنا وأن توحدَ كلمتَنا وأن تحفظ بلادَنا وسائرَ بلاد المسلمين من كلِّ شرٍّ وبليةٍ يا ربَّ العالمين، ربنا أدخلنا مُدْخَلَ صدقٍ وأخرجنا مُخْرَجَ صدقٍ واجعلنا من الصادقين، اللهم طهر ألسنتنا من الكذبِ والغيبةِ والنميمةِ وشهادةِ الزورِ وأيمانِ الفجورِ واجعلنا لك من الذاكرين، اللهم انصر الإسلامَ والمسلمين ووحد صفهم وأعلِ رايتهم وأنزل عليهم السكينةَ وأثبهم فتحاً قريباً، اللهم أخذل من خذل المسلمين وأهلك الكفرةَ والمعاندين والمفرقين بين المسلمين والصادين عن ذكرك والمخربين لدينك والمتقطعين في سبيلك والمحاربين لأوليائك من اليهود والنصارىٰ والموالين لهم .

اللهم فرق جمعَهم وشتت شملَهم وأهلك أولَهم وآخرَهم وأنزل عليهم بطشَك الذي لا يُردُّ عن القومِ الظالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه علىٰ نعمه يزيدكم، وأقم الصلاة إن الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.



[٢٢]- الرزق

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرزاقِ ذي القوةِ المتين، خلقَ الأرضَ ودحاها، وقدر فيها أقواتَها، وآتاكم من كلِّ ما سألتموه وإن تعدوا نعمةَ اللهِ لا تُحصوها، فله الحمدُ حمداً لا يُحصى بِعدٍّ، ولا يقضى بِحَدٍّ.

ونشهد ألّا إله إلا هو خالقُ الخلقِ، ورازقهم، والمدبرُ لهم القوتَ والمعاش.

ونشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ رحمةً للعالمين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأكرمين من يومنا هذا إلى يوم الدين.

عبادَ الله: إن الله قد خلقَ الخلق لحكمةٍ، ولم يتركْهم هملا، ولن يضيعَهم سُدى، بل لقد خلقَهم اللهُ، وابتدعهم على أكملِ حالٍ وأتمِّ صورةٍ، خلقهم وهو العالمُ بمصالحِهم، والخبيرُ بما ينفعُهم فهو تعالى الخبير بأمورهم، والعالم بأحوالهم، ومن عظيم خلق الله أن سوّى كل مخلوق بما تقتضيه المصلحة، ولا يحق لعبد مهما كان أن يعترض على ربه أو أن يخالف إرادته فيما اختاره وارتضاه، فنحن جهلاء في جنب علم الله المطلق القائل سبحانه: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾.

فالواجب علينا التسليمُ لأمرِه تعالى، والرضى والقبولُ بكلِّ ما أعطى ومنعَ، لأنه تعالى لم يمنعْ شيئا إلا وفيه الضرُّ، ولم يعطِ شيئا إلا وفيه النفعُ فهو العالمُ الخبيرُ القائلُ: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

والعجب ممن يتطاولُ على اللهِ تعالى، ويعترضُ أحكامَه، والذي يصفُ اللهَ بالجورِ في قسمتِه تعالى، ويحتجُّ على اللهِ لماذا أعطى فلاناً ومنع فلاناً، لماذا أغنى فلانا، وأفقرَ فلانا؟ قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

ما أجهلَ العبادَ، وما أكثرَ العنادَ، وصدق اللهُ القائل: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾.

ألا يعلم هذا المتطاولُ على ربِّه بأنه أذنبَ، وتعدى بقولِه هذا، وأنه قد أعظمَ على اللهِ الفريةَ!

ألا يعلم بأنه يتهمُ اللهَ في عدلِه ويصفُه بالظلمِ تعالى عما يقولون علوا كبيرا.

سبحان الله عبدٌ جاهلٌ لئيمٌ يعترضُ على جبارِ السماواتِ والأرضِ، يقول: فلانٌ غني وهو لا يستحق الرزق، فلانٌ افتقرَ وأفلسَ ولا يستاهل.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّه وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّه بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.

﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللّه فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

عبادَ الله: يجب أن نفهمَ بأن المالَ ليس كلَّ شيءٍ، الغنى ليس هو الغايةُ والهدفُ في هذه الحياة.

إن اللهَ قد قسم نعمَه بين خلقِه، وآتى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه على ما تقتضيه الحكمةُ والمصلحةُ، والرزقُ ليس المالَ فقط ـ الرزق ليس الذهبَ والفضةَ.

بل هناك ما هو أعظمُ، هناك ما هو خيرٌ من الغنى والمالِ، هناك نعم عظيمة لا تساويها كنوزُ الدنيا، فالله تعالى إذا سلبَ عبداً مالاً فإنه ولا شك قد أمده بما هو خيرٌ له منه.

صحيحٌ هناك تفاضلٌ بين الخلقِ في المالِ كما قال تعالى: ﴿وَاللّه فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ﴾.

ولكن المتأملَ في قسمةِ اللهِ يجدُ بأن اللهَ لم يسلب عبداً نعمةً إلا وعوضه في مقابلها ما هو خيرٌ له منها، فهناك من حُرِم المال، ورزقَه بالزوجةِ الصالحةِ و الذريةِ الطيبةِ والأبناءِ البررةِ. ﴿وَاللّه جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ

لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾.

وهناك من رَزَقَه اللهُ العافيةَ التي لا تساويها كنوز الدنيا، وهناك من رُزِقَ الأمنَ، وهناك من رَزَقَه القوةَ والصحةَ في بدنِه، كما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: ((من أصبحَ آمناً في سِرْبِه، مُعافىً في بدنِه، عنده قوتُ يومِه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)).

وهناك من رَزَقَه اللهُ الجمالَ وطيبَ الخصالِ، وهناك من رزقه اللهُ رَجَاحةَ العقلِ والذكاءِ الذي لا توازيه نعمةٌ، وهناك من رزقه اللهُ وَالِدَيْنِ رحيمينِ كريمين صالحين، الجلسةُ بين أيديهما والسمرُ معهما يضاحكُهما ويضاحكانِه تساوي كنوزَ الدنيا، وهناك من وهبَه اللهُ الهدايةَ والتقوى التي لا تعدلها نعمةٌ ولا تقدر بثمن كما قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾.

عبادَ الله: لا بد أن يفهمَ المؤمنُ بأن كلَّ مخلوقٍ قد استوفى رزقَه المقسوم له على ما اختاره الله وارتضاه، فليس هناك أحدٌ مغبون، وليس هناك مخلوقٌ مهضوم، فالناس كلُّهم سواء، ونعم الله بينهم متوازنة، وإن اختلفت أشكالها، وتنوعت صفاتها.

فلماذا التذمرُ من هذه الدنيا؟ لماذا الحسدُ وقد أُعطي كلُّ واحدٍ منا ما يكفيه؟

بل إن الواجبَ علينا أن نحمدَ اللهَ على كلِّ حالٍ، وعلى ما اختار لنا، ولا نحزن على ما فاتنا، فربما كان الخير في عدمه كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ۝٢٣﴾.

هناك أغنياء، نعم، ولكن هل لهم من الصحة، والأمن، والذكاء، والأولاد مثل مالك، قد يكون المال والغنا أحياناً عذاب كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

يجبُ على الناسِ أن يفقهوا ذلك لكي يرتاحوا وتطمئنَّ قلوبُهم، ويرضوا بما قسمَه اللهُ لهم.

فمن الأغنياءِ من لا يجدُ الولدَ، ويتمناه ولو بنصفِ ما يملك، وقد يموتُ بغير نسلٍ، وهناك الغنيُّ الذي لم يذق للعافيةِ طعماً، ولم يهنأ بمنامٍ، خائفاً على نفسِه وعلى ماله.

عبادَ الله: من منا يرضى بالمالِ والغنى، ويُبتلى بالمرضِ في نفسِه أو أهلِه وأبنائِه، هذا في المستشفى، وذاك في المصحةِ، وذاك مُقعدٌ، وذاك عاثرٌ، وذاك مصابٌ بجلطةٍ في القلب، وآخرُ في الدماغِ، وذاك بفشلٍ كلوي وآخر يتطلب نقله إلى الخارج، عافانا الله وإياكم من كل بلاء ونسأله العفو والعافية والسلامة من كل داء.

من منا يرضى بالمالِ مع الخوفِ والقلقِ وتبلبلِ البال؟

من منا يرضى بالغنى، ويبتلى بالولد العاق والذرية الفاسدة؟

من الذي يرضى أن يُوهَبَ المالُ، ويَفقدَ تلك الزوجةَ الصالحةَ المطيعةَ، أو الأمَّ الرحيمة الحنون؟

عبادَ الله: لا شماتَة، ولا حسدَ، ولا غبنَ، فكل واحد له من هذه الدنيا نصيبٌ، ولكلِّ واحدٍ منها قسمهُ الذي ارتضاه له ربُّه.

ولنعلمَ بأن النعمَ والغنا اللذانِ نراهما ليسا في الحقيقةِ إلا مظاهر، ومناظر يتباهى بها أصحابها وهم في الواقع لا يشعرون معها بسعادة ولا راحة، ولا يجني من ورائِها أهلُها إلا التعبَ والشقاءَ، لأن السعادةَ والراحةَ الحقيقيةَ هي في

الكفايةِ، والكفافِ وسترِ الحالِ، فإذا كان مدخول الفرد بقدر حاجته كان المال في خدمته، أما ما زاد عن الحاجة فإنه لا يخدم صاحبه، بل صاحبه هو الذي يخدمه ويسهر على حراستِه ويتعب في حفظه.

ولك عبدَ الله أن تنظرَ فيمن يتمرغُ بين الملايين، وقد جمعَ ما يكفيه ويكفي ذريتَه من بعدِه بل ويزيدُ، وما زال يجمعُ ويطمعُ هل من مزيد.

فماذا يريدُ ومعه ما يكفيه، ويزيد؟

أليس هذا هو التعبُ والعذابُ، لماذا يشقى في جمعِ أموالٍ سيتركُها بعده لا محالة؟ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ وتأمل فيمن رُزق الأموال الطائلة، وهو مبتلى بالسكر والضغط أو القلب والكبد وغيرها من الأمراض، وأمواله بين يديه لم تنفعه، وقد مُنِعَ من العسلِ والعنبِ والفواكِه ما لذَّ منها وطابَ، ومحرومٌ من الدهونِ واللحومِ وغيرِها من الملاذِ؟

وقد اقتصرَ على اللبنِ الحامضِ وقرصِ الشعيرِ. فماذا أفادَه المالُ؟ وما الذي جنى من ورائِه؟ وحُقَّ له أن يموتَ كمداً وهو يرى كل شيء بين يديه ولا يستطيع أن يمد يده إليه.

بل إن كثيراً من المترفين، والأغنياءِ قد ابتلوا بأمراضٍ منعتهم من الاستفادةِ من أموالِهِم، وحرمتهم من التمتعِ بغناهم، فتراهم يأكلون كما يأكل الفقيرُ، ويشربون كما يشربُ، بل إن الفقيرَ قد يأكلُ أفضلَ منهم، وينام هادئ البال قرير العين، ليس ورائه ما يخاف عليه، ويطرد النوم من عينيه.

فلنحمد الله على ما قسمه لنا، وعلى ما أولانا من الصحة والعافية.

إنه وليُّ النعماءِ وكاشفُ الضرِّ والبلاءِ، فهو حسبُنا ونعمَ الوكيل.

أقول قولي هذا وأستغفرُ اللهَ العظيم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.



الخطبة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بيده خزائنُ السماواتِ والأرضِ، يرزقُ من يشاءُ بغيرِ حسابٍ، له الملكُ وله الحمدُ في الأولى والأخرى وعلى كل حال.

وأشهد ألّا إله إلا الله وحده لا شريكَ له الرزاقُ ذو القوةِ المتين، مالكُ الملكِ رؤوفُ بالخلقِ يرزقُ من يشاءُ بغيرِ حسابٍ وهو العزيزُ الوهاب، يهبُ لمن يشاءُ إناثاً ويهبُ لمن يشاءُ الذكور.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه وخيرتُه من خلقِه الذي ما شَبعَ من طعامٍ قط، والذي عُرِضَت عليه ُ مكةُ ذهباً وفضةً تسيرُ معه حيث يشاءُ ولا ينقصُ من أجرِه شيئٌ فرفضها قائلا: أشبع يوماً فأحمدُ اللهَ، وأجوعُ يوماً فأسألُ اللهَ، صلى الله عليه وعلى آله الولاة سفن النجاة، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

عبادَ الله: لا بد للمؤمنِ الصادقِ في إيمانِه من أن يُراجعَ حسابَه مع اللهِ، وأن يسعى جاهدا في تجديدِ عهدِه بمولاه، وتقويةِ حبال الوصل فيما بينه وبين خالقِه الذي رباه، وبفضله حباه.

فالملاحظ: بأن علاقتنا بالله شبه منقطعة، وثقتنا بالله شبه معدومة.

إذاً ليس هناك من يقينٍ بالله، ولا ثقةٍ لنا بوعدِه، وهذا ضعفٌ في الإيمان، وخلل في العقيدة، لأن المؤمنَ الصادقَ في إيمانِه على ثقةٍ قويةٍ، وعلاقةٍ متينةٍ مع ربِّه، وموقنٌ بأن اللهَ لن يضيّعَه، ولن يتركَه سُدى.

يركبُ أمواجَ البحارِ العاتيةِ، متوكلاً على ربه في السلامةِ، يرمي الحبَّ في الترابِ، وهو واثقٌ بأن اللهَ لن يضيعه.

كيف للمؤمن أن يفقدَ ثقتَه باللهِ و قد كان قبل فترة من الزمن في ظلم الأرحام نطفة لا يملك لنفسه حولا ولا قوة، يقلبه الله من حال إلى حال، ويسوق له الماء

والغذاء، ويحفظه من الشر والبلاء، حتى إذا كمل خلقه واستوى أخرجَه إلى هذه الدنيا طفلاً رضيعا، لا يعلمُ شيئا، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، إلا بعونِ الله ورعايتِه. ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾.

ما الذي تغيرَ؟ وما الذي تبدّلَ بعد أن كبر الإنسانُ وقوي ساعدُه؟

هل من المعقولِ أن الذي رعاكَ في ظلماتِ الأرحامِ سيتركُكَ الآن؟

هل يبخلُ علينا اللهُ، وهو الذي بيدِه خزائنُ السماواتِ والأرضِ، والذي يستوي عندَه الذهبُ والترابُ، والماسُ والحصى؟

هل يعجزُ وهو القويُّ الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؟

إن الله تعالى أرحمُ بعبادِه من الأمِّ برضيعِها، وأشفقُ علينا من الوالدين، وأكرمُ منا على أبنائِنا وأهلينا، وهو الكريمُ الجوادُ الذي يُعطي بلا حساب، والله تعالى واسع العطاء، وأغنى الأغنياء، ولم يمنع أحداً شيئاً بخلاً ولا فقراً تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

ولكن اللهَ سبحانه وتعالى يتصرفُ على مقتضى الحكمةِ والمصلحةِ التي يقتضيها علمُه، فهو الخبيرُ بأحوالِ عبادِه، والعالمُ بما يصلحُهم وما يفسدُهم، والمحيطُ علماً بما يضرُّهم وما ينفعُهم، وقد صرحَ بذلك وأبانَه بقولِه تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾.

كم من غنيٍّ بَطِرَ، وطغى، وظلمَ، وتعدى بسبب الغناء، وتسلطَ على العبادِ بالقهرِ، والأذى، والظلمِ.

وكما في الحديث القدسي أو ما في معناه: (إن الله جل جلالُه قال: من عبادي من لا يصلح له إلا الغنى ولو أفقرتَه لطغى، ومن عبادي من لا يصلحُ له إلا الفقر، ولو أغنيتَه لبغى).

ومن لم يرض بما قسمَه اللهُ أهلَكَ نفسَه، ولنا في قصةِ ثعلبةَ صاحبِ رسولِ اللهِ

أعظمُ عبرةٍ وأبلغُ موعظةٍ.

فقد كان من أهلِ الصُّفَّةِ ومن أصحابِ المسكنةِ كغيرِه من الفقراءِ.

وكان ملازماً لرسولِ الله ﷺ مواظباً على الصلاةِ مهتماً بأوامرِ الدين ليس عنده ما يشغله عن عبادةِ ربه وعن الصلاةِ، وكان يُلَقبُ بحمامةِ المسجدِ لكثرةِ ملازمتِه للمسجدِ وحرصِه على الجماعاتِ، وقد اقتضت حكمةُ الله أن يبقى فقيراً، وأنه لا خيرَ في غناه، ولكن ثعلبةَ أصرّ على أن يُخالفَ إرادةَ الله ولم يرضَ بما قسمَه اللهُ له.

فقال ذات يومٍ لرسولِ الله ﷺ: ادع اللهَ أن يرزقني مالاً.

فقال رسول الله: ويحك يا ثعلبةُ قليلٌ تؤدي شكرَه خيرٌ من كثيرٍ لا تطيقه.

فلم يلتفت ثعلبةُ إلى قولِ رسولِ الله ﷺ ولم يسمعْ لنصحِه.

بل ألحَّ على الرسولِ ﷺ في أن يدعو اللهَ له بالرزقِ فقال ﷺ: ((أما ترضى أن تكونَ مثلَ نبيِّ اللهِ، فو الذي نفسي بيده لو شئتُ أن تسيرَ الجبالُ معي ذهباً وفضةً لسارت)).

فلم يقنع ثعلبةُ بقولِ رسول الله ﷺ ولم يرض أن يتأسى بنبي الله بل قال: والذي بعثك بالحقِّ لئن دعوتَ اللهَ فرزقَني مالاً لأعطينَّ كلَّ ذي حقٍّ حقه، فلما أيسَ رسولُ الله ﷺ من انصياعِه لنصحِه، قال: ((اللهم ارزق ثعلبةَ مالاً)).

ثم إن ثعلبةَ ذهبَ فاتخذ له غنماً فنمت كما ينمو الدودُ، وتكاثرت بفضلِ دعاءِ النبي ﷺ حتى ضاقت عليه المدينةُ، فخرج منها إلى بعضِ الشعابِ، حتى أنه لم يعدْ يصلي إلا الظهرَ والعصرَ مع القومِ في جماعةٍ ويتركُ ما سواهما، ثم إن أموالَه كثرت وزادت فتنحى إلى خارجِ المدينةِ وشُغِلَ بأغنامِه وأموالِه، وتركَ الجماعاتِ ولم يعدْ يحضر إلا لصلاة الجمعة، ثم إن أمواله نمت وكثرت حتى ترك الجمعة، وابتعد عن رسول الله ﷺ، وانقطعت عنه الأخبارُ، فكان يتلقى الركبانَ يومَ الجمعة عند عودتهم من الصلاة مع رسول الله ليسألَهم عن الأخبارِ.

فلما فقدَه الرسولُ ﷺ بطول غيابه عنه قال لأصحابه: ما فعل ثعلبة؟ فأخبروه بحالِه، وأطلعوه على أمره، فقال ﷺ: ((يا ويحَ ثعلبه ـ يا ويح ثعلبة)).

ولما أوجبَ اللهُ تعالى الزكاةَ، وفرضها على العبادِ، بعثَ رسولُ الله ﷺ رجلين من المسلمين ليجمعا الزكاةَ، وقال لهما: مُرَّا بثعلبةَ وبفلانٍ، رجلٍ من بني سليم فخُذا صدقاتِهما، فخرجَ الرجلان حتى أتيا ثعلبةَ فسألاه الصدقةَ فقال ثعلبةُ: ما هذه إلا جزيه، ما هذه إلا أختُ الجزية، ما أدري ما هذا؟

ثم قال لهما: انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إليّ.

فانطلقا إلى السَّلمي ليأخذا منه الزكاة وسمع بهما السلمي فنظر إلى خيار أسنانِ إبلِه فعزلها للصدقةِ، فلما رأوها قالوا: ما يجبُ عليك هذا، وما نريد أن نأخذَ هذا منك.

فقال: بلى فخذوها فإن نفسي بذلك طيبةٌ.

فأخذاها منه ومرّا على باقي الناس وأخذوا منهم الصدقات.

ثم رجعا إلى ثعلبةَ، فقال: أروني كتابَكما الذي فيه الأمر بجمعِ الزكاةِ؛ فقرأه.

فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أختُ الجزيةِ، انطلقا حتى أرى رأيي.

فانطلقا حتى أتيا النبيَّ ﷺ فلما رآهما قال: يا ويحَ ثعلبة قبل أن يكلمَهما.

ودعا للسلمي بالبركةِ، فأخبراه بالذي صنعَ ثعلبةُ والذي صنع السلمي.

فأنزل الله تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ۝٧٥ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ۝٧٦ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ۝٧٧ أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

ولما نزلت هذه الآية كان عندَ رسولِ الله رجلٌ من أقاربِ ثعلبة، فانطلق إلى ثعلبةَ يخبرُه الخبرَ فلما أتاه قال: ويحكَ يا ثعلبةُ قد أنزلَ اللهُ فيك كذا وكذا.

فانطلق ثعلبةُ إلىٰ رسولِ الله ﷺ حتىٰ وقف بين يديه وسألَه أن يقبلَ منه صدقتَه فقال ﷺ: إن الله منعني أن أقبلَ منك صدقتَك، فجعل ثعلبةُ يحثو الترابَ علىٰ رأسِه.

فقال له رسولُ الله ﷺ: ((هذا عملُك قد أمرتُك فلم تطعني)) أي أن رسولَ اللهِ ﷺ قد نصحَه بأن يقبلَ ما قسمَه الله وأن يرضىٰ بما اختارَه اللهُ له من الفقرِ ولا يخالف إرادةَ اللهِ.

ثم إن ثعلبةَ عادَ إلىٰ منزلِه يتحسرُ علىٰ نفسِه ويتندمُ حين لا ينفعُ ندمٌ ولا حسرةٌ ومات بعدها رسولُ اللهِ ﷺ ولم يقبل من ثعلبَةَ صدقتَه، فأتىٰ ثعلبةُ بصدقتِه إلىٰ أبي بكرٍ فردَّها ولم يقبلها حتىٰ مات.

ثم أتىٰ بها إلىٰ عمرَ بنِ الخطابِ فردها، ولم يقبلها حتىٰ مات.

ثم أتىٰ بها إلىٰ عثمان فردها، ولم يقبلها.

فهلك ثعلبةُ في ذلك العهدِ ليلقىٰ جزاءَ فعله.

فلنعتبرْ بهذه القصةِ ولنأخذْ منها العضةَ، والعبرةَ.

فما الذي انتفع به ثعلبةُ من الغنىٰ غير تركه المسجد ومفارقته لرسول الله وبعده عن المؤمنين وتركه للجماعة والجمعة؟

وفي آخرِ المطافِ ينكرُ الصدقةَ، ويجحدُ نعمةَ اللهِ.

هذا الذي جناهُ ثعلبةُ بنُ حاطبٍ الذي حوَّله الغنىٰ من حمامةٍ كانت في مسجدِ الرسولِ ملازمٍ للطاعةِ والصلاةِ إلىٰ فاجرٍ منافقٍ خائنٍ أهلَك نفسَه، وأحلها دارَ البوارِ وكانت عاقبتُه إلىٰ النارِ.

نسأل الله العظيمَ العفوَ والعافيةَ وأن يرزقَنا القناعةَ بما آتانا والرضىٰ بما قسمه لنا فهو العالم بما فيه نفعنا وضرنا وهو حسبنا ونعم الوكيل.

عبادَ الله: إنكم في يومٍ عظيمٍ ويومِ عيدٍ كريمٍ شرّفَه اللهُ وكرّمَه علىٰ سائرِ الليالي والأيام. فأكثروا فيه من الصلاة والسلام علىٰ نبيكم خير الأنام امتثالاً

لأمر الله القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهم فصل وسلم وبارك وترحم على عبدِك ونبيِّك وخيرتِك من خلقِكَ أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ الله بنِ هاشمِ.

وصل اللهم وسلم على أخيه وابنِ عمِّه وبابِ مدينةِ علمِه أشجعِ طاعنٍ وضاربٍ علي بنِ أبي طالب، وعلى زوجتِه الحوراءِ خامسةِ أهلِ الكساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ.

وصل اللهم وسلم على ولديهما الإمامين الأعظمين أبي محمد الحسن وأبي عبد الله الحسين، وصل اللهم وسلم على الولي بنِ الولي الإمام زيدِ بنِ علي، وصل اللهم وسلم على الإمام الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسينِ بن القاسمِ بن إبراهيم، وصل اللهم وسلم على سائرِ أهلِ بيتِ نبيئِك المطهرين دعاةً منهم ومقتصدين، وارض اللهم عن الصحابة الأخيار من الأنصار والمهاجرين وعنَّا معهم بفضلك ومنِّك يا كريم.

ـ اللهم انصر الإسلامَ والمسلمين، وانصر الحقَّ والمحقين، واخذل الباطلَ والمبطلين، وأذلَّ الشركَ والمشركين، ودمر أعداءَكَ أعداءَ الدين، واجعلهم غنيمةً للمسلمين، وأكفنا شرَّ كلِّ دابةٍ أنت آخذ بناصيتها، إنك قريب مجيب.

ـ اللهم اجعل هذا البلد آمنا وسائر بلاد المسلمين، واكفنا ما أهمنا في دنيانا والدين، واسقنا الغيث وأمنا من الخوف، ولا تجعلنا من القانطين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

[٢٣]- القناعة والزهد في الدنيا

الخطبة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الحمدَ ثمناً لنعمائِه، ومعاذاً من بلائِه، ووسيلةً إلى جنانِه، وسبباً لمزيدِ إحسانه.

واشهد ألّا اله آلا الله الواحدُ الديانُ الملكُ العزيزُ الجبارُ الذي لا تراه العيونُ، ولا تحيط به الظنونُ، ولا يصفه الواصفون، لا تدركه الأبصارُ وهو يدرك الإبصارَ وهو اللطيفُ الخبير.

وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه نبيُّ الرحمةِ وأمامُ الأئمةِ سراجُ الظلمة المنتخبُ من دوحةِ الكرمِ وسلالةِ المنهجِ الأقومِ صلى الله عليه وعلى أهل بيته مصابيحِ الظُلَمِ ومنارِ الدين الواضحةِ ومثاقيلِ الفضلِ الراجحةِ، مَن تمسّكَ بهم نجا ومن تخلفَ عنهم ضلَّ وغوى فصلوات الله عليهم أجمعين من يومنا هذا إلى يوم الدين.

أما بعد:

عبادَ الله: إن هذه الحياةَ التي نعيشُها ليست الا حلماً من أحلامِ الحقيقةِ الأخرى، ومطية على ظهرها ترتحل الأجيال من هذه الدار إلى دار القرار، والعاقل من اعتبر بدروسها واتعظ بغيره فيها. وكان على حذر منها.

كيف لا وهذا ربُّها وسيدُها وخالقُها قد حذّرَنا منها ومن مكرها وخداعها وهو الخالق لها والعالم بأمرها حيث قال عزّ من قائل: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾.

بل إن اللهَ تعالى قد ذمها في القرانِ الكريم أكثرَ من ذمهِ للشيطانِ الرجيم، وما ذلك إلا لخطرِها وعظم مكرها وزخرفِها، بل لقد صرح المصطفى ﷺ بأنها أساسُ كلِّ مُصيبةٍ حيث قال: ((حبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خطيئةٍ)) ومن حكمةِ الله أنه

ملأها بالبلاءِ وجعلها مقراً للهمِّ والشقاء، ولم يجعلْ فيها ما يدعوا لحبِّها والاشتغالِ بها عن الآخرةِ، ومع ذلك نرى من يبحث فيها عن السعادةِ وينقب عن الراحةِ والمسرة، فيزين له الشيطان الدنيا وخدعه بزخرفها فظن أنها الغاية وأنه مخلد فيها.

عبادَ الله: إن الله لم يخلق الدنيا للراحةِ ولم يجعلْها مقراً للمسرَّةِ والسعادة، إنما جُعِلَت الراحةُ في الصحةِ والسلامةِ، وإتباعِ أمرِ الله وتطبيقِ نهجِه وإتباعِ شرعِه كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ولذا نرى كثيراً من الناس في هذا الزمانِ يشكون الهمَّ والضيق ويعانون من القلقِ والاكتئابِ وما ذلك إلا لبُعدِهم عن اللهِ وإعراضهم عن ذكره كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾.

عبادَ الله: إن السعادة ليست في المال ولا في القوةِ والسلطان، ولكنها في غنى النفس والصحةِ والأمنِ كما قال ﷺ: ((مَن أصبحَ آمنا في سربه معافاً في بدنِه له قوتُ يومِه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))، فكم من غنيٍ مترفٍ خائفٍ على نفسِه لا يتنقلُ الا بالجنودِ والحراسِ يتمنى أن يأمنَ على نفسِه ولو لم يملك من الدنيا قليلاً ولا كثيراً، من الأغنياء من ابتلوا بالأمراضِ التي عجز من علاجِها الأطباءُ ولم ينفع فيها دواءٌ يتمنون العافيةَ ولو لم يملكوا من الدنيا قليلاً ولا كثيراً، فالدنيا بلاء وصاحبها معذب كما قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

فأهل الدنيا وأصحابُ الغنا ليسوا في راحةٍ كما يظنهم من يراهم، بل هم في شقاءٍ، أرواحُهم معذبةٌ وهم على الدوامِ في همٍّ وقلقٍ.

عبادَ الله: إن الإنسانَ يبحثُ عن المالِ ليرتاحَ به وليستفيدَ منه، ولكنه على العكسِ من ذلك، فهو يعملُ ويكدُّ ليلاً ونهاراً في حرِّ الشمسِ وألمِ البردِ عاماً

بعد عامٍ حتى يمضي عمرُه وهو يوعدُ نفسَه بالراحةِ هذا العام أو في هذا الشهرِ وتمرُّ الأعوامُ وهو على هذا الحال، حتى لقمت العيش يأكُلها على عجلٍ، وحتى ثيابَه التي اشتراها وزينتَه التي اقتناها، تمضي عليها الشهورُ لم يفرغ لها ليلبسَها لم يستلذ بجلسةٍ مع أهلِه يضاحكُهم ويسامرُهم ولم يفرغ لأبنائه يداعبهم ويلاعبهم، بل على العكس من ذلك فبيتُه في ثورةٍ وخصامٍ بين الأبناءِ، وعداوةٍ بين النساءِ، واختلافٍ مع الإخوةِ، قد ذهبت من بيتِه المودةُ والإخاءُ، وحلّت فيه العداوةُ والبغضاءُ وامتلأت قلوبُ أهلِه بالأحقادِ الضغائنِ، والمشاكلِ التي لا نهايةَ لها، فهو يمسي مهموماً ويصبحُ مغموماً في ضيقٍ وهمٍّ، وعلى قدرِ ما ملك من الدنيا يأتيه التعبُ والشقاءُ، فهناك مِن أهل الدنيا من تغرّبَ عن الأوطانِ وهجرَ الأهلَ والإخوانَ، يسافرُ من مكانٍ إلى مكانٍ ولا يراه أهلُه إلا كالضيفِ في رأسِ العامِ، لقد أصبح غريباً على أبنائِه يستوحشون منه ولا يألفونه إذا عاد إليهم في مناسبةٍ أو عيدٍ، وليته يعودُ إليهم بالراحةِ وطلاقةِ الوجه ويستقبلهم بالابتسامةِ والحنانِ بل يُقبل عليهم بوجه مكفهر عبوس يشكو إليهم تعبه ويحملهم همه ويُحوّل أعيادهم إلى جحيم.

عبادَ الله: أن أهلَ الدنيا لم يضيعوا أنفسَهم وأولادَهم فحسب، بل لقد أضاعوا حتى آخرتَهم وقصّروا في حقِّ الله، فصلاتُهم دائماً على عجلٍ بلا خشوعٍ ولا خضوعٍ يصلونها مرة على الطريق، ومرة في الشارعِ، وأحياناً يتركونها، وهذه مصيبة عظيمة أن يهمل الإنسان نفسه ويهجر أهله ويضيع أبنائه ووصية الله التي قلد بها عنقه، فيحرمهم حتى من تعلم ما أوجب الله عليهم من صلاة وصيام فهمه أن يشبعهم وأن يسعى ليطرد عنهم جوع الدنيا وحاجتها، وينسى أن يقيهم حر النار الكبرى كما أمره الله بقوله: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾.

نسي أبنائَه وأهملَهم فلا يربيهم ولا يؤدبُهم بل يتركُهم لرفقاءِ السوءِ، وسفهاءِ الشوارعِ يُغوونهم ويُفسدون أخلاقَهم، واللهُ تعالى سائلُه عنهم وكلُّ راعٍ مسؤولٌ عن رعيته.

عبادَ الله: باللهِ عليكم متى سيرتاحُ مثلُ هؤلاءِ، ومتى سيفرغون لأنفسِهم ولأهلِهم، ومتى سيتمتعون بالأموالِ التي جمعوها والتي لم يستلذوا بشيءٍ منها، بل يجمعونها ويموتون قبلَ أن يستفيدوا منها، فلينظر العاقلُ في هذه الدنيا وهل وجدت لتخدمَنا أم لنخدمَها، ونفني أعمارَنا في إصلاحِها والسعي ورائَها، ومن المعلومِ عقلاً أن ما نجمعُه من أموالٍ ومتاعٍ في الدنيا فإنه يخدمُنا إذا كان بقدرِ حاجتِنا، أما الغناءُ المفرطُ والزائدُ عن حاجتِنا فإننا نخدمهُ ونسهرُ على حراستِه ونشغلُ أنفسَنا بحفظه.

عبادَ الله:

إن رزقَ ابنَ آدم مكتوبٌ مقسومٌ، كأجلِه الذي كَتبَه اللهَ، وليس لابنَ آدم إلا ما كتبَه له اللهُ تعالى، والله تعالى قد قرنَ الأمورَ بأسبابِها والعللَ بمعلولاتِها فخذوا بالأسبابَ وأتوا البيوتَ من أبوابِها، ولا تأتوا البيوتَ من ظهورِها، ومن أرادَ من اللهِ الكفافَ في النفقةِ والغناءَ في القلبِ والقناعةَ في النفسِ والزيادةَ في الرزق فعليه بكتابِ الله تعالى ففيه بيانُ السبيلِ إلى ذلك حيث قال عز من قائل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ فقد أبان تعالى بأن التقوى هي أحد أسباب الغناء وقوله تعالى في من آمن واتقى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

وقوله تعالى في حق المستغفرين والتائبين: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾.

هذه هي تعاليم مالك الملوك وصاحب الخزائن والكنوز العظمى من بيده خزائن السموات والأرض يعلمنا الطريقة التي بها نغنى بغير تعب ولا نصب ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

هذه بعضُ الأسبابِ وهذه واللهِ مفاتيحُ خزائنِ السماواتِ والأرضِ من أخذ بها رَبِحَ وفازَ، ومن تبعَ غيرُها أتعبَ نفسَه ولم يأتِه من الدنيا إلا ما كتب له.

عبادَ الله: إن الدنيا ملكُ اللهِ والمالَ مالُ اللهِ، ولن يُؤتَ أحدٌ لقمةً إلا بإذنِ اللهِ فعلينا أن نطلبَ حاجتِنا من اللهِ، وأن نتوكلَ عليه في جميعِ أمورِنا، وأن نستعينَه في كلِّ أحوالِنا فهو نعمَ المولى ونعمَ النصير، ونعمَ الكافي، ومن توكلَ عليه فهو حسبُه وهو حسبُنا ونعمَ الوكيل فمن رضيَ بقسمِ الله كفاه الله هم الدنيا، ومن أوكل نفسه إلى غير الله وركن إلى سواه أوكله الله إليه، وجعله في همّ من أمره كما قال ﷺ: ((من أمسى وأصبح والدنيا أكبرُ همِّه جعلَ اللهُ فقرَه بين عينيه وشتتَ عليه شملَه ولم يأتِه من الدنيا إلا ما كُتِبَ له)).

وقد ورد في الحديثِ القدسي عن رسولِ الله ﷺ عن جبريلَ عليه السلام عن الله عز وجل أنه قال: ((يا بنَ آدمَ لا تخافنَّ من ذي سلطانٍ مادامَ سلطاني باقيا وسلطاني لا ينفدُ أبداً، يا بنَ آدمَ لا تخشى من ضيقِ الرزقِ وخزائني ملآنةٌ وخزائني لا تنفدُ أبدًا، يا بنَ آدمَ لا تطلبْ غيري وأنالك فإن طلبتَني وجدتَني وإن فتني فتك وفاتَك الخيرُ كلُّه، يا بنَ آدمَ خلقتُك للعبادةِ فلا تلعب، وقسمتُ لَكَ رزقكَ فلا تتعب، فان أنت رضيتَ بما قسمتُه لك أرحتَ قلبَك وبدنَك وكنتَ عندي محموداً، وإن لم ترضَ بما قسمتُه لك فوعزتي وجلالي لأُسلطنَّ عليك الدنيا تركضُ فيها ركضَ الوحوشِ في البريةِ، ثم لا يكونُ لك إلا ما قسمتُه لك وكنتَ عندي مذموما، يا بنَ آدمَ خلقتُ السمواتِ السبعَ والأرضين السبعَ ولم أعيَ بخلقهنَّ أيُعييني رغيفَ عيشك أسوقُه لك بلا تعب.

يا بنَ آدم إنني لم أنسَ من عصاني فكيف من أطاعني وأنا ربٌّ رحيمٌ وعلى كل شيء قدير، يا بنَ آدمَ لا تسألني رزقَ غدٍ كما لم أطالبْك بعملِ غدٍ، يا بنَ آدمَ أنالك محبٌ فحقي عليك كُن لي مُحباً)) صدق اللهُ ورسولُ الله.

عبادَ الله: كفى بهذا الكلامِ رادعاً لمن ملك الجشعُ نفسَه وليتقِ اللهَ ربَّه، فواللهِ إن هذا القولَ لهو الفصلُ فكفى به وأعظاً، وكفى به ذكرى لمن كانَ له قلبٌ أو القي السمعَ وهو شهيدٌ، واستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفاً وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

❁❁❁❁❁

الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه نحمدُه حمدَ عبدٍ معترفٍ بفضلِه مقرٍ بسوابغِ نعمائِه وترادُفِ آلائِه، فله منا أبلغُ الحمدِ وأوفاه وأجزله وأنماه، عدد خلقه وزنة عرشه ومنتهي رضاه.

واشهد ألّا إلـه غيرُه، ولا معبودَ لنا سواه، هو الأولُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ وهو بكلِّ شيءٍ عليمٍ، واحد أحد لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولم يكن له كفواً أحد.

واشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه وخيرتُه من خلقِه المبعوثُ رحمةً للعالمين، فصلواتُ اللهِ عليه وعلى آله الطاهرين من يومنا هذا إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: يقول الله تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

فالدنيا لها من اسمِها قسمٌ فهي دنيئةٌ وضيعةٌ، عمرُها قصيرٌ وخيرُها يسيرٌ وعيشُها حقيرٌ وصاحبُها فقيرٌ، لا يشبعُ طالبُها ولا يقنعُ مالكُها، لم يمتدحها اللهُ في آيةٍ ولم يثنِ على أحدٍ من أهلها، بل ذمها وذم خطابها في كثير من الآيات، فهي غرارة مكارة، هلك كثير من الخلق على أبوابها وفُتنوا بزينتها، فكم من عاشق لها قتلته، وكم من خاطب لها فتنته، وكم من مطمئن إليها أردته، يقول عنها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: ((حب الدنيا رأس كل خطيئة)) فكل معصية والدنيا سببها، وكل فتنة وحب الدنيا أصلها.

ولو لا حبُّ الدنيا ما اقتتلَ الناسُ ولولا طمعُ الدنيا ما تحاسدَ الإخوةُ، وما تقطعت الرحامةُ، ولا قامت بين الأممِ العداوةُ والبغضاءُ، ومع علم الله تعالى

بحقارتها ودناءتها فقد حَرَمَها أحبابَه ومنعها عن أنبيائِه ورسلِه، وأفضلِ الخلقِ عندَه، ولم يؤتِهم منها شيئاً، ولو كان فيها خيرٌ لما منعها عنهم، ولنا في أنبياءِ الله خيرُ أسوةٍ وأعظمَ قدوةٍ، ويكفينا أن نرضى بما رضيَ اللهَ لهم، وأن نعيش كما عاشوا أسوة بهم، واقتداء بحالهم، فقد رسموا لنا أوضح طريق يوصلنا إلى الجنة، وهذا نبينا نبي الرحمة ﷺ قبضت عنه أطراف الدنيا ووطئت لغيره أكنافها.

وفطم عن رضاعها وزوي عن زخارفها بل لقد نهاه الله تعالى أن يمد نظره إليها قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ فكان صلوات الله عليه وعلى آله يربطُ على بطنه الحجر والحجرين من الجوع وتمضي عليه أيام لا يشعل في بيته نار وهو اشرف خلق الله وأحبهم إليه.

وهذا نبي الله موسى كليمُ اللهِ صلواتُ اللهِ عليه كان يقولُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وواللهِ ما سألَ ربَّه إلا خبزاً يأكله فقد كان يأكلُ من بقلةِ الأرضِ حتى لقد كانت تُرى حضرةُ البقلِ من شفيفِ صفاقِ بطنهِ لضعفِه وهزالِه تشذبَ لحمُه.

وهذا عيسى كلمةُ اللهِ التي ألقاها إلى مريمَ سلامُ الله عليهما كان يبرئُ الأكمهَ والأبرصَ ويحي الموتى بإذنِ الله .وكان يقولُ للترابِ كن ذهباً بإذن الله فيكون، ثم يعيدُه تراباً كما كان لا يأخذ منه شيئاً، بل لقد بلغَ من زهدِه وتقشُّفِه في هذه الدنيا ما يحيرُ العقولَ، فقد كان يتوسدُ الحجرَ ويلبسُ الخشنَ ويأكل الجشبَ وكان إدامُه الجوعَ وسراجُه بالليلِ القمرَ، وظِلالُه في الشتاءِ مشارقَ الأرضِ ومغاربَها، كان طعامُه وفاكهتُه ما أنبتت الأرضُ من الأعشابِ والبقولِ، ولم يكن له من زوجةٍ تفتنُه ولا ولدٍ يُحزنه ولا مالٍ يلهيه ولا طمعٍ يُذله، دابتُه رجلاه وخادمُه يداه، كان يفترشُ الأرضَ ويلتحفُ السماء.

عبادَ الله: هكذا كانت حياةُ أحبابِ اللهِ وهكذا أمضى أنبيا الله فترة حياتهم في

هذه الدنيا، ولم يكن ذلك منهم اضطرارا بل لقد كان بِوُسعِهم أن يشيدوا القصورَ ويلبسوا الحريرَ ويأكلوا ما لذَّ وطابَ، ولكنهم عزفوا عنها، بل لقد أقبلت عليهم الدنيا فرفضوها وتزينت لهم فأبوها، وطلقوها طلاقاً لا رجعه فيه

حتى نبي الله سليمان عليه السلام الذي آتاه الله الملك والسلطان ووهبه مالم يؤت أحداً من العالمين ولكنه لم يلتذ بشيء منها، بل لقد كان يأكل الشعير ويتقشف في العيش حتى لقد كان من ضعفه وهزاله تحركه الريح إذا قام للصلاة، وهذا رسولُ اللهِ وأحبُّ خلقِه إليه كان يأكُلُ على الأرضِ ويجلسُ جلسةَ العبدِ ويخصفُ حذائَه بيدِه الشريفةِ، ويرقعُ ثوبَه بنفسِه ويركبُ الحمارَ العاري بلا سرجٍ، وكان من أهضمِ أهلِ الدنيا كشحا وأخمصِهم بطناً، فكان يجوعُ فيها وتلحقُه الحاجةُ هو وأهلُ بيتِه، فهل يا ترى أكرمَ اللهُ محمداً صلوات الله عليه وعلى آله بذلك أم أهانَه؟

فمن قال أهانَه فقد كذبَ وأعظمَ على اللهِ الفريةَ وإن قال أكرمَه فليعلم أن اللهَ أهانَ غيرَه حيثُ بسطَ لهم الدنيا وزواها عنه.

عبادَ الله: إن اللهَ قد أبغضَ الدنيا وذمَّها وحقرها وحذر منها، فكان حقا على أحباب الله و أنبيائه أن يبغضوا ما ابغض الله وأن يحقروا ما حقر، وأن يصغروا ما صغر، ولو لم يكن ذنب أهل الدنيا وخطابها إلا حبهم لما ابغض الله وتعظيمهم لما حقر الله لكفى به شقاقاً لله ومحادّة عن أمر الله تعالى.

عبادَ الله: إن لنا في رُسُلِ اللهِ وأنبيائِه أسوةً حسنةً و عظةً وعبرةً، فإذا كان رسولُ اللهِ قد لحقَه الجوعُ والحاجةُ فأهلاً ومَرْحباً بالجوعِ، ولنا في رسولِ الله سلوةٌ وعزاءٌ على ما فاتنا من هذه الدنيا، فلقد كانت تمر عليه أيام لا يشعل في بيته نار ولا يجد ما يسد به رمقه.

وعلى كل من يحزنُ أن لا يجدَ في طعامِه السمنَ واللحمَ، أن يعلمَ بأن رسولَه الأطهرَ صلواتُ ربي عليه وعلى آله كان لا يجد ما يقتاتُه أحياناً وكان لشدَّةِ جوعِه

يشدُّ على بطنِه الحجرَ، بل لقد روي أنه لم يشبع من طعام قط حتى لقي ربه، وروي بأنه جهز فلذة كبده وقرة عينه فاطمة سلام الله عليها ليلة عرسها بوسادة وفروة كبش، كانت فاطمة عليها السلام تعجن على شقها وتنام على شقها الآخر، ولم يكن لها من فرش في بيتها إلا أنه صلى الله عليه وآله وسلم أمر أن يفرش لها من بطحاء الروحاء بدل الفراش، هذا وهي أحب الناس إليه وأقربهم إلى قلبه وسيدة نساء الأولى والأخرى، وهذا علي عليه السلام أقبلت عليه الدنيا فأبانها ثلاثاً طلاقًا نافذاً لا رجعت فيها وكان له مدرعة يقول في وصفها (والله لقد رقعت مدرعتي حتى استحيت من رقاعها) .

فقيل له ألا تنبذها وتستبدلها بغيرها فقال له أغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السُرى، وهو القائل سلام الله عليه: (والله لدنياكم هذه أهون عندي من ورقة في فم جرادة تقضمها)، فهؤلاء أحباب الله وأكرم خلقه عليه فهل من معتبر بهم ومستأنس بقصصهم، نسأل الله القبول والسداد وأن يقنعنا من الدنيا بما رزقنا ويرزقنا التقوى والكفاف آمين رب العالمين.

عبادَ الله: إن اللهَ أمرَكم بأمرٍ بدأً فيه بنفسِه وثنّى بملائكتِه المسبحةِ بقدسه وثلّثَ بكم أيها المؤمنون من جنِّه وانسِه: قال عزَّ من قائلٍ كريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾

اللهم فصلِّ وسلمْ على عبدِك ونبيِّك وخيرتِك من خلقِك الطاهرِ الأواه محمدِ بنِ عبدِ الله، وصلِّ اللهمَّ وسلم على أخيهِ وخليفتِه من بعدِه الليثِ الغالبِ مولانا أميرِ المؤمنين علي بنِ أبي طالبِ، وصلِّ اللهمَّ على زوجتِه الحوراءِ وسيدةِ النساء فاطمةَ البتولِ الزهراءِ، وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين الحسن والحسين، وصلى اللهم على مولانا الولي بن الولي الأمام زيد بن علي، وعلى إمام الهدى والدين الهادي إلى الحق القويم يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى سائرِ أهلِ بيتِ نبيِّك المطهرين دعاةً منهم ومقتصدين، وارضَ اللهم عن

الصحابةِ الأخيارِ من الأنصارِ والمهاجرين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين، وارضَ عنا معهم بفضلِك ومنك وكرمِك يا رحيمُ، اللهم لا تجعل الدنيا أكبرَ همِّنا ولا مبلغَ علمِنا ولا غايةَ رغبتِنا وأنزع حبَّها من قلوبِنا، وثبت حبَّ الآخرةِ في صدورِنا، اللهم أجعل آخر كلامنا من هذه الدنيا لا إله إلا الله محمد رسول الله وأمتنا وأنت راض عنا، اللهم لا تمتنا إلا وقد أعنتنا على تخليص ذممنا من كل حق يلزمنا بين يديك، اللهم انصر الإسلام والمسلمين اللهم ووحد صفوف المسلمين، اللهم لمّ شمل المسلمين اللهم قارب فيما بين قلوبهم اللهم أصلح ذات بينهم اللهم أذل الشرك والمشركين وأخذ الكفرة والملحدين ودمر اليهود والنصارى وعملائهم آمين رب العالمين.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.



[٢٤]- الحياة الدنيا في صورتها الحقيقية

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله سابغِ النعمِ، ودافعِ النقمِ، نحمدُه في السراءِ والضراءِ، وعلى الشدةِ والبلاءِ ونعوذُ به من شرِّ الأشرارِ، ومن نوائبِ الأقدارِ ومن شرِّ طوارقِ الليلِ والنهارِ، إلا طارقاً يطرقُ بخيرٍ، اللهم أنت عدتنا إن حزنا، وملجأنا إن حُرمنا وأنت كهف كل مظلوم، ومأوى كل مهضوم وملاذ كل مغموم، وفرَجَ كل مهموم، نسألك العفو فيما مضى، والسلامة فيما بقي، ونشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا شبيه ولا مثيل، تعالى عن فعل القبيح، وتنزه عن ظلم العباد. وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه وخيرتُه من خلقِه، وصفوتُه في أرضِه، بلغَ الرسالةَ وأدى الأمانةَ، ونصح الأمةَ، وكشفَ اللهُ به الظلمةَ وأزالَ به الغمةَ، فصلوات الله تغشاه دائما أبداً من يومنا هذا إلى يوم الدين، وعلى آله وعترته الأنجبين وسلم تسليماً كثيراً.

وبعدُ:

عبادَ الله: إن اللهَ لم يوجدنا في هذِه الدنيا للّهوِ والراحةِ والهناءِ، ولا للضحكِ واللعبِ، وإنما أوجدنا للكدح والتعب والعمل كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ صدق الله العظيم.

فالحياة بطبعها جُبلت على العَناءِ والمشقةِ والبلاءِ، فلا غرابةَ فيما يطرئ عليها وما يعتورها من المتاعب والصعاب والآلام.

كيف وقد تدرعت لكل مهمة وملمة، وصارت مسرحاً للبلاء، وميداناً للتمحيص، وميزاناً دقيقاً للاختبار دبلجها خالقها وفطرها تحت عنوان بارز، ومشهد جلي، يوضح الغاية منها ويبين الهدف من ورائها.

حيث قال عز من قائلٍ: ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾، وما دام الحالُ على هذا المنوالِ فلا ينبغي لمخلوقٍ أن يأمنَ مكرَها، أو ينخدعَ بزخرفِها وغرورِها.

بل عليه أن يكونَ على قمةِ الحذرِ منها، وأن يدَّرَّع الصبرَ ويتجلببَ الجلدَ، وأن لا يبني على راحةٍ على ظهرها، فالعاقلُ هو من عرفَ حقيقةَ الشيءِ وصارَ على بصيرةٍ منه، ليتعاملَ معه على مقتضى طبعه وجبلته، وأن لا يرغب في معدوم، وألا يحزن على مالا يوجد.

فالعاقلُ هو العارفُ بحقيقةِ الحياةِ والمدركُ لِكُنْهِها والغايةِ من وجودِها،

وأنها ليست إلا دارَ عناءٍ ومشقةٍ ومقرَ بلاءٍ واختبارٍ مصداقاً لما أخبرَ به تعالى في كتابِه حيثُ قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِى كَبَدٍ﴾، وقوله لآدم عليه السلام عندما حذره من كيد الشيطان: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ أي أن خروجَكَ من الجنةِ إلى الدنيا هو خروجٌ من دارِ الراحةِ والهناءِ إلى دارِ المحنةِ والشقاء، ولكن الإنسانَ بعنادِه، يحاولُ دائماً أن يقلب الحقائق، وأن يسير بعكس اتجاه الريح ﴿وَكَانَ الْأِنْسَانُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلاً﴾ ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً﴾ فتراه دائماً يسعى في طلب المستحيل، وفي نيل المحال ولا يثنيه رادع، ولا يرده زاجر.

يحاول البحث عن المسك في الوحل ويطلب الدر في التراب.

ولو أنه عرف الحياة، وما خلقت لأجله، لوفر على نفسه التعب، ولكفي مؤونة البحث عن المسرة والراحة التي لا وجود لها على ظهر هذه الحياة الدنيا

فالحياةُ الدنيا هي ضدُّ الآخرةِ، وإذا كانت الآخرةُ هي دارُ النعيمِ المقيمِ والسرورِ الدائم، فالحياةُ الدنيا هي دارُ البلاءِ ومقرُّ الوحشةِ، ومهما طرأَ على هذه الحياةِ من مسراتٍ عاجلةٍ ولذاتٍ عابرةٍ، فإن العاقلَ لا يلتفتُ إليها ولا ينخدعُ بها ولا يُلقي لها بالاً، لأنها حالات نادرة، وأحداث شاذة، وقعت على غير المألوف، لله من ورائها مآرب أخرى.

إما تنعيم واستدراج للعصاة كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ۝٤٤ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وكما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلَادِ۝١٩٦ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ بل إن الله يصور لنا الحياة الدنيا بكامل حالها، بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ صدق الله العظيم.

ولأجل هذا نرى الصالحين من المؤمنين، يخافون في النعمةِ أشدَّ من خوفِهم في حالِ الشدةِ والبلاءِ، وما ذلك إلا لمعرفتِهم بحقيقةِ الدنيا وطبعها في الغدر وأنها ليست بدار نعمة ولا محل راحة.

يا من يعانقُ دنيا لا بقاءَ لها ... يمسي ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركتَ لذي الدنيا معانقه ... حتى تعانقَ في الفردوسِ أبكارا
إن كنتَ تبغي جنانَ الخلدِ تسكنها ... فينبغي لك ألا تأمنَ النارَ

فعلى العاقلِ أن يكونَ منها على حذرٍ، إن أُعطي فيها خيراً شكرَ وذكرَ، وكان من أمرِه على حذر، وإن حُرِمَها ومُنِعَ نعيمَها صبرَ وأحتسبَ، وأيقن أنها أتت على أصلها وأن هذا هو طبعها، فيستسلم للواقع ويذعن راضي البال قرير العين،

بما قسمه الله له، واختاره له إنه بعبادة خبير بصير وأنه لم يظلمه منها شيء .

عبادَ الله: الحياةُ الدنيا خيرُها زيادةَ، وشرُّها بقاء على حالها، وثبات على أصلِها فليس في ذلك ظلم ولا هضم.

ولكن الإنسان كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ۝٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

عبادَ الله: حذار أن تظهرَ منا بادرةَ استياءٍ أو عتبٍ، على ما فاتَ في هذه الحياة فلا نُحاولَ أن نجنيَ من الشوكِ العنبَ، ومن الصَّبِرِ الْمَنَّ، فليس في هذه الدنيا راحةٌ أو هناءٌ، لأن اللهَ لم يملكها إلا التعب والعناء ولم يودع فيها إلا البلاءَ والشقاءَ، وليست روضةَ غناء، مورقةً بالمسرةِ، باسقة بالهناءِ، وارفة بالراحة، ودانية بالسعادة ويانعة بالبهجة، فلا تطلبوا من هذه الدنيا ما ليس فيها، وما لم يملكها خالقها، فيذهب تعبكم سدى، كمن يبحث عن الماء في قاع الصحراء فلا يرى إلا السراب يحسبه ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

لكنها طبيعةُ البشرِ، العنادُ والشقاقُ، دائماً يقتحمُ غمار هذه الحياة، بلا روية ولا نظر ولا اعتبار، رغم نداءات العقل وزواجر الفطرة، تراه يصر مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا، ولو أنه استجاب لنداء عقله، وحكم كتاب الله فيما أشكل عليه من أمره، وسار على دربه واستضاء بنوره، لما مسه تعب ولا لغوب ولعاش مطمئن البال قرير العين قانع النفس.

عبادَ الله: يكفي العاقل وصف الله للدنيا في محكم الذكر المبين حيث قال عزمن قائل ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ

وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

فكلُّ حياةٍ مهما طابَ نعيمُها، وصفاء أديمُها، ورقَّ نسيمُها، وبعدَها موتٌ وفناءٌ فليست بدارِ راحةٍ، ولا ينبغي لعاقلٍ أن يطمئنَّ إليها أو أن يركنَ إلى غرورِها وزخرفِها.

قال تعالى: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾ ولنجعل من أنفسِنا ضيوفاً وعابري سبيلٍ في هذه الحياةِ، كما علمنا المربي الفاضلُ محمدُ بنُ عبدِ الله صلواتُ اللهِ عليه وعلى آلِه، وأن نشكرَ ما أُعْطِيناه ونصبرَ على ما حُرِمْنَاه، ولله عاقبةُ الأمورِ وإليه النشورُ، فبئس عبدٌ ركنَ إلى الدنيا واطمأنَّ إليها، والتذَّ بعيشِها ونامَ قريرَ العينِ ناعمَ البالِ ناسياً لآخرتِه، بئس العبدُ عبداً سهى ولهى ونسيَ المبدأَ والمنتهى، بئسَ العبدُ عبداً طغى وبغى ونسيَ العليَّ الأعلى، ووراءَه ما وراءَه من مصائبَ وأهوالٍ، وأولها الموت المحكوم به على الرقاب والذي قد خبئ في رحم الغيب لا يعلم وقت مخاضه إلا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

بارك الله لي ولكم في القران العظيم ونفعنا وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم وأستغفر الله العلي العظيم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وليِّ النعماءِ، وكاشفِ الضرِّ والبلاءِ، الذي لا يُرجى إلا خيرُه، ولا يُخشى إلا ضيرُه، ولا إله غيرَه، نحمدُه تعالى ونشكرُه على كلِّ حالٍ، ونستعينُ به ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه، وهو خيرُ مستعانٍ على أمورِنا في دنيانا والدينِ، وأشهدُ ألّا أله إلا الله القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسبت، الذي لا يخفى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ وهو بكل شيء عليم، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه أرسلَه اللهُ رحمةً للعالمين، فأنارَ به العقولَ، وشرحَ به الصدورَ وفتحَ به أعيناً عُمياً وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، صلى الله عليه وعلى آله الولاة وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

عبادَ الله:

إن الله قد أنعمَ علينا بنعمٍ جسيمةٍ وعظيمةٍ، نِعَمٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ، لا حصرَ لها ولا عدَّ ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ﴾ ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾

كيف لا؟! وفضلُ اللهِ على عبادِه متوالٍ، ليلاً ونهاراً، ومع ذلك نُقرُّ به ولا نقدر ثمنه والله يقول ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، فالتارك لشكر النعمة جاحد لفضل الله، كافر بنعمته، إن الإنسان لظلوم كفار.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ۝٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ۝٥٤ لِيَكْفُرُواْ بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

عبادَ الله: ليست النعمةُ مقصورةً على المأكلِ والمشربِ وسائرِ الملذاتِ بل هناك نعم أعظمُ منها وأكبرُ فائدةً فان الصحةَ والعافيةَ مثلاً من أجلِّ النعم التي

ينساها الناس، ولا يذكرونها إلا وقت العلة والمرض كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً﴾.

وكذا نعمةُ الأمنِ والأمانِ فإنها من أعظمِ النعم التي نعيشُ في ظلها لسنواتٍ طويلةٍ، ونسرحُ ونمرحُ حيثما نشاءُ، وفي أيِّ وقتٍ نُريد من ساعاتِ الليلِ والنهارِ، دون رقيبٍ أو حسيبٍ سوى الله. ومع كل ذلك لم نشكر تلك النعمة، ولا قدّرنا فضل السلم والسلام، الذي من الله به علينا، وحُرم فضله كثير من الناس.

عبادَ الله: مَن مِنا يُحسُّ بتلكَ النعمةِ ويقدرُ ثمنَها، ومن الذي يشكرُ اللهَ على تلك المنةِ، وذلك الفضلُ الذي لا يعدله نعمةٌ، ولعظيمِ فضلِها فإن اللهَ سبحانَه قدم ذكرَ بلوى الخوفِ في القرآنِ، قبلَ كلِّ بليةٍ، وابتدئَ بذكرِه قبل بلوى الجوعِ والموتِ، وغير ذلك حيث قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ فبدأ بذكرِ الخوفِ قبلَ الجوعِ والموتِ وهلاكِ الأموالِ والأنفسِ وما ذلك إلا لشدةِ بلوى الخوفِ، ولفضلِ نعمةِ الأمنِ وعظيمِ قدرِها خصها الله بالذكر في كتابه في سورة كاملة وأمتن بها على قريش قال تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿لِإِيلافِ قُرَيْشٍ * إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ فجعلَ تأمينَهم من الخوفِ وإطعامَهم من الجوعِ نعمةً يجبُ أن يُشكرَ اللهُ عليها ويُعبدَ لأجلها.

عبادَ الله: إنَّ فتنَ هذا الزمانِ تُعَرِّفُنا قيمةَ الأمنِ، وتجعلُنا نحسُّ بلذةِ العافيةِ والنعمةِ والسلامةِ، ومن هذه المواقفِ يظهرُ لنا ضعفَ يقينِنا باللهِ وانقطاعِ صلتِنا بمالِكِ الملوكِ، الذي بيدِه مقاليدُ السماواتِ والأرضِ يقلبُها كيفَ يشاءُ، وكل هذه الفتنِ والمحنِ إنما أراد الله أن يؤدب بها عباده، ليفيقوا من غفلتهم ويعودوا إلى رشدهم قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فهذه كلها اختبارات وامتحانات يبتلي بها الله

عباده، ليُعرف صادق الإيمان من الكاذب، ليميز الله الخبيث من الطيب كما قال تعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

ابتلاءاتٌ واختباراتٌ وشدائدُ، لابدَّ أن يذوقَ مرارتَها المؤمنُ، ويتجرعُ غصصَها كلُّ من أرادَ الجنةَ والنعيمَ كما قال تعالىٰ: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾.

هذه هي سنةُ اللهِ في الحياةِ، وهذا حالُ الدنيا في تقلبها بأهلها.

عبادَ الله: نحن في زمنِ فتنٍ وصفها الرسول ﷺ وشبَّهَها بِقِطَعِ الليلِ المظلمِ، تذر الحليم فيها حيراناً، وقانا الله وإياكم شرها وضرها وبلاءها، وليس لنا من ملجأ نلجأ إليه، ولا كهف نأوي إليه، إلا إلىٰ ركنِ الله الوثيقِ والتمسكِ بحبلِه المتينِ، فهو مدبرُ الأمورِ ومصرفُ الأحوالِ، إنه خيرٌ حافظاً وهو أرحمُ الرحمين.

فهو وحدَه الذي لا يخيبُ مَنْ سألَه، ولا يَردُّ من دعاه ولا يخفىٰ عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، يدعوه الكافرُ بينَ الماءِ، وفي عرضِ المحيطِ الهائجِ والأمواجِ المتلاطمةِ، فيجيبُه، وبلطفِه يحميه وينجيه كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾

يا من يجيبُ دعا المضطرِّ في الظُّلُـم ... يا كاشفَ الضرِّ والبلـوىٰ مـع السـقمِ
إن كان أهلُ التقىٰ فازوا بـما فعلـوا ... فمـن يجـودُ عـلىٰ العاصـين بـالكرمِ

عبادَ الله: يقولُ اللهُ تبارك وتعالىٰ في الحديث القدسي: ((عبدي أذكرْني في الرخاء أذكرْك في الشدة)).

فاذكروا الله يذكرْكم، واشكروه علىٰ نعمه يزدكم، وارجوا منه الفضلَ والخيرَ

يبدل خوفكم بالأمنِ، والشدةَ بالفرجِ والعسرَ باليسرِ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً﴾ وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً﴾.

اللهم إنا نسألك في هذه الساعة المباركة ومن هذا المكان الطاهر أن تديم علينا نعمك، وأن تحفظنا بحفظك، وتلطف بنا في جميع الأحوال، اللهم أحفظنا بكنفك الذي لا يضام، واحرسنا بعينك التي لا تنام برحمتك يا أرحم الراحمين .

عبادَ الله: أكثروا في هذا اليومِ وأمثالِه من الدعاءِ والأعمالِ الصالحةِ، والصلاةِ والسلام على نبيكم الكريمِ، فإنه يومٌ تضاعفُ فيه الأعمالُ، اللهم فصل وسلم وبارك على عبدك ونبيك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وصل اللهم على أخيه وابن عمه مولانا الإمام علي بن أبي طالب، وصل اللهم على زوجته الحوراء فاطمة البتول الزهراء.

وعلى ولديهما الإمامين الأعظمين الحسن والحسين، وعلى الولي بن الولي الإمام زيد بن علي، وعلى الهادي إلى الحق القويم يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم، وعلى سائر أهل البيت المطهرين دعاة منهم ومقتصدين، وارض عنا معهم بفضلك ومنِّك يا كريمُ، اللهم اغفر لنا وأقبلنا، وتقبل منا يا عزيزُ يا غفار، اللهم ارحمنا رحمة الأبرار، وولنا الأخيار، واكتب لنا براءةً من النارِ، وقنا شرَّ الأشرارِ، وشرَّ طوارقِ الليلِ والنهارِ، إلا طارقاً يطرقُ بخيرٍ، اللهم اكفنا المحن، وجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وآمنا في ديارِنا وأوطانِنا، وفي سفرِنا وحضرِنا وحيثما كنا واجعل بلدنا هذا آمنا وسائر بلاد المسلمين ووحد صف المؤمنين، وأعلى رايتهم، واجمع كلمتهم، وأنزل عليهم السكينةَ وأثبهم فتحاً قريباً يا كريمُ.

اللهم وأهلك الكفرة والملحدين، والمفرقين بين المسلمين، والصادين عن ذكرك والمعادين لأوليائك أينما كان كائنهم يا قوي يا عزيز، اللهم مزق شملهم،

واكسر شوكتهم وفرق جمعهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم الظالمين آمين رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ﴿وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.



[٢٥]- نعم الله على الخلق

الخطبة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المتفضلِ بالإنعامِ، والموصوفِ بالإحسانِ، والمحمودِ بكل لسانٍ، الذي لا يحصي نعماؤَه العادون، ولا يؤدي حقَّه المجتهدون، نحمده على سوابغِ نعمائِه، وترادفِ آلائه، ونؤمنُ به أولاً بادياً ونستهديه قريباً هادياً.

ونشهد ألّا إله إلا الله شهادةَ عبدٍ معترفٍ له بالوحدانيةِ، مقرٍ له بالربوبيةِ، منـزهٍ له عن الشبيه والمثالِ، وشاهدٍ له بالعظمة والكمال.

ونشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المختارُ، ونبيُه الأواه، من اختارَه لرسالتِه واصطفاه لدينِه، صلى الله عليه وعلى آله الولاة، سفن النجاة، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعدُ:

عبادَ الله: إن الله خلقَ الخلقَ حين خلقَهم غنيّاً عنهم لا تنفعُه طاعةُ من أطاعَه، ولا تضرُّه معصيةُ من عصاه، لم يأمر تجبُّراً، ولم ينهَ تكبراً، بل أمره ونهيه لمنفعة ومصلحة للعباد.

فما أمرَ اللهُ بأمرٍ إلا وفيه رحمةٌ ومصلحةٌ، وما نهى عن شيءٍ إلا وفيه مفسدةٌ ومضرةٌ، فالله سبحانه وتعالى حكيم خبير، يعلم بأن أكثر الخلق غافل عن مصلحته جاهل لما فيه منفعته.

يسعى دائما لإشباع ملذاته وشهواته، ولو كان فيها هلاكه ودماره إنه كان ظلوماً جهولا.

ومن رحمته تعالى لم يكلفْ أحداً فوقَ وسعِه وطاقتِه، بل حصرَ التكليفَ على حسبِ القدرةِ والإمكانِ، كما صرحَ بذلك في القرآنِ حيثُ قال عز من قائل: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا**﴾، وقوله تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا**﴾ وقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ**﴾ أي على قدر وسعكم وتمكنكم.

فالله حكيمٌ في نهيِه، رحيمٌ في أمرِه، خبيرٌ بعبادِه بصيرٌ بما فيه مصالحهم، عليمٌ بعواقبِ أمورِهم وخواتمِ أعمالِهم، فهو اللهُ العدلُ الحكيمُ قائمٌ بالقسطِ عدلٌ في الحكم رؤوفٌ بالعباد. قال وقوله الحق المبين: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

عبادَ الله: إن العبدَ مربوبٌ لمن رباه، ومملوكٌ لخالقه الذي سواه، ومن ماءٍ مهين ابتداه، ليس له مع سيده أمرٌ، ولا يناقش في حُكْمِه، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.

إن كلَّ عاقلٍ يحكمُ جازما بوجوبِ طاعةِ العبدِ لسيدِه، والمملوك لمالكه، ولا يرضى أحد منا أن يتمرد العبد عن خدمة سيده ولا يجيز لمملوك أن ينازع مالكه في أمره.

ونحكم على من تمرد بالعقاب، واستحقاق العذاب وهذا حق وصواب. ولكن العجب العجاب. أننا نذم عبدا أبق وتمرد في هذه الدنيا، ونحكم بعقوبته وننسى أنفسنا، نرى القذى في أعين الآخرين ولا نرى الجذع في أعيننا.

ألا نعلم بأننا عبيد مملوكين لرب السموات والأرض، ومالكنا ومن له مطلق التصرف فينا، والذي له كل فضل ومنَّة علينا، ونعمه سابغة في كل لحظة إلينا، أوجدنا من العدم وأنشأ فينا الحياة ولم نكن شيئا مذكورا قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾ فليس لنا على أنفسنا فضل بل كلنا لله الواحد القهار.

عبادَ الله: هل يعلمُ ابن آدم بأنه عبدٌ مربوبٌ، رباه مالكُ السمواتِ والأرضِ ورعاه وكلاه، وبرحمتِه حفظه ورباه، ينقلُه أطواراً حالاً بعدَ حال في ظلماتِ الأرحامِ، وهو لا يعلمُ شيئاً عن نفسِه، ولو أوكله إلى نفسِه لعجزَ عما فيه مصلحتها ولعزب عنه نفعها.

ونراه عز وجل ينبهُ العقولَ إلى ذلك ويذكّرُ العبدَ بتلك النعمِ والمننِ الجزيلةِ بقولِه عز من قائل: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ عليه أن يفكر من أي شيء خلقناه، ومن أي عنصر ابتدأناه ﴿خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ۝٦ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً۝١ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾.

ألا يعلمُ ابنُ آدم ذلك؟ هل عصى فنسا؟ أم طغى واستغنى؟ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ إن اللهَ سبحانَه بما آتانا من البيناتِ والهدى في محكمِ آياتِ الذكرِ المبينِ يوبخُنا ويؤنبُنا على نعمِه التي قابلناها بالأعراضِ والتولي والكفران كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ خلق اللهُ الإنسانَ من نطفةٍ إذا تمنى، من علقةٍ حقيرةٍ صغيرةٍ، فأنشأه وعلَّمه، وسواه فعدَّله، حتى إذا بلغَ أشده واستوى، تولى كِبْرَهُ وبارز الله بالعداوة وظاهره بالعصيان، وقابل نعيمه بالكفران، حتى إذا ذُكِّر بنعمة ربه أو وعظ بما فيه نفعه ومصلحته أنف واستكبر وأعرض وتجبر، ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ۝٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

عبادَ الله: أهذا جزاءُ نعمِ اللهِ فهل جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسان، هل أنصفنا من أنفسِنا، وهل أعطينا الحقَّ لها وعليها امتثالاً لأمرِ اللهِ القائلِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ هذا خيرُ اللهِ في كلِّ وقتٍ إلينا نازلٌ، وشرُّنا إليه صاعدٌ، نأكلُ من نعمتِه لنتقوى بها على معصيته، ونتزودُ من رزقِه لنستعينَ به على ظلمِ خلقه ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾.

لقد غطَّى على القلوبِ الرانُ، وعلى الأعينِ غشاوةٌ، وفي الآذانِ وقرٌ، ومن

بينها وبين القرآن حجابا ساترا من الآثام والذنوب والإجرام، قد حجبها عن الهدىٰ، ومنعها عن التقوىٰ.

عبادَ الله: بالله عليكم أهذا جزاءُ النعمِ الجسامِ، والمننِ العظامِ المتواليةِ بالغدوِّ والآصال، وهل من فطرت العقول وإلهام النفوس أن نقابل الإحسان بالكفران، والنعم بالعصيان.

تعصي الإلهَ وأنتَ تزعمُ حبَّه ... هذا لعمري في القياسِ بديع
لو كان حبُّكَ صادقا لأطعتَه ... إن المحبَّ لمن يُحبُّ مطيعُ

ألا إنه الغرورُ والفجورُ إذا خالطَ القلوبَ أعماها عن الهدىٰ، وسلَك بها سبلَ الردىٰ، حتىٰ تعمي صاحبها فيرىٰ أنه هو الذي يحفظ نفسه ويغذيها، ولولاه لهلكت، ينكر نعم الله ويجحد آلاءه ويكفر بما آتاه من خير وفضل ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ لعن الإنسان ما أنساه وأطغاه، وأنكره لنعم الله.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً﴾، هذا هو طبعُ السوءِ في الإنسانِ الذي أورثه التولي والخذلان، يبكي إن احتاج، ويئنُّ ويشتكي إن ابتلاه الله.

فإذا آتاه اللهُ من فضلِه، ومنَّ عليه وأغناه، تولىٰ مستكبراً وأعرضَ وتجبَّر، وعبسَ وبسرَ، وقابلَ نعمَه بالكفرانِ، وعلىٰ نعيمِه بالعصيانِ.

ابنَ آدم يريدُ من اللهِ كلَّ شيء وكلما أعطاه نسيَ شكرَه وطلبَ المزيدَ، ونعم الله عليه لا تحصىٰ بِعدّ ولا تُحصر بِحدّ ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾.

قلبُه ينبضُ في كلِّ ثانيةٍ بالحياة، ولو توقفَ لدقائقَ لفارقتْ روحُه جنبيه، فمن الذي يرعاه ومن يغذيه ويراقبُ نبضاتِه في كلِّ لحظةٍ غيرُ اللهِ، نَفَسُهُ مَنْ أجراه ومَن برحمتِه يرعاه غير الله، نظرُه من يُغذيه ويحميه وبالرموشِ يقيه، من آفاتِ

الغبارِ والترابِ غيرُ اللهِ، سمعه من يحرسه في وقت نومه وغفلته وهو جحر مفتوح عرضة للحشرات العمياء والغبار والماء. ذلكم الله هو خير حافظا وهو أرحم الراحمين.

لسانُه من يقيه وقتَ الأكلِ والكلامِ من عضّةِ الأسنانِ، وهو لا يتوقفُ عن الحركةِ من مكانٍ إلىٰ مكانٍ، إنه الله وحده.

من يحميه من خطر الشرغةِ وقتَ أكلِه وشربِه، أو أن يغصَّ بلقمة في حال الضحك والكلام ولولا الله الحافظ لمات بحبة قمح أو قطرة ماء أو لغصّ بريقه.

من يُصفِّ الطعامَ والماءَ من السمومِ، ومن يجري الدمَ في كلِّ عرقٍ وشريان، ومن يحمي الكلىٰ والكبد والطحال وغير ذلك من أجهزة الإنسان ذلكم هو ﴿اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ القائم علىٰ كل نفس بما يصلحها، لا يغفل عنها ولا تغيب عنه.

ابن آدم يؤتيه اللهُ كلَّ شيء ويرعاه ويحفظه في كلِّ وقتٍ وفي كلِّ مكانٍ. وكلما زادت عليه نعمةُ اللهِ أعرضَ وتجبرَ، واللهُ يحلمُ عنه، يرعاه ويرزقُه ويواسيه ويقومُ بما يصلحُه في نفسِه ومالِه، وجميعِ حواسه وكل عضو فيه يرقبه علىٰ مدار الساعة، لا يغفل عنه لحظة واحدة ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ كل هذا ولا يزال عبده يعصيه ويعاديه، وغافل عما يرضيه، والله حليم عفو يمهله ولا يعاجله، حتىٰ أن هناك كثيراً من الناس يبخل علىٰ نفسه بغرفات من الماء يطهر بها أعضاءه، ودقائق يقف بها بين يدي الله يؤدي فرض الله الذي افترضه عليه من الصلاة وذلك أضعف الإيمان.

سبحان الله ما أحلمه، سبحان الله ما أكرمه، سبحان الله ما أغناه، يسبغ نعمه علىٰ عبده ليلا ونهارا لا يغفل عنه لحظة، وعبده عنه غافل ليله ونهاره لا يذكره قال تعالىٰ: ﴿نَسُواْ اللَّه فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

نعوذ بالله من الغفلةِ والحرمانِ، ونستجيرُ به من الجحودِ والنكران إنه هو الكريمُ المنان.

ألا وإن أشرفَ الكلامِ وأشرفَ ما جرت به الأقلامُ كلامُ ربِّنا العلام القائل ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾، أقول ما تسمعون وأستغفر الله العظيم لي ولكم وللمؤمنين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الخطبة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي لا يحصي نعماءَه العادون، ولا يؤدي حقَّه المجتهدون، أسبغَ علينا نعمَه، وأتمَّ علينا رحمتَه، الذي لا يُرجى إلا خيرُه، ولا يُخشى إلا ضيرُه، ولا إله غيره، نحمده على نعمه الظاهرة والخفية، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

ونشهد ألّا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، صاحبُ النعمِ العظيمةِ والفضائلِ الجسيمةِ، نحمدُه على ما آتانا ونشكره على ما أولانا من الفضل والإنعام.

ونشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه وخيرتُه من خلقِه صلى الله عليه وعلى آله الأبرار المنتجبين الأخيار.

أما بعد:

عبادَ الله: ليس هناك من فضلٍ هو أعظمُ من فضلِ الله علينا، ولا أجلُّ مما أسداه إلينا. أوجدَك من العدمِ وأجراكَ ماءً دافقاً من بينِ صلب أبيكَ وترائبِ أمِّك، فانحدر الماءانِ بقدرتِه تعالى ليجتمعا في الرحمِ محل النشأةِ الأولى. ليبدأ مشوار التكوين في ظلمات ثلاث، ترعاك عناية الله وحده، وتحوطك رحمته الإلهية دون سواه، يربيك ويغذيك، ويصورك ويسويك، وأهلك ووالديك اللذان جعلا مسرحا لحياتك وتكوينك غافلان عن ذلك لا يعلمان عنك خبراً، ولا يملكان لك حياة ولا نشوراً.

حتى أنت لا تعلم عن نفسك شيئا ولا تقدر على نفعها ولو بمثقال ذرة. إن الله يريد أن تكون له وحده عليك المنة، ويريد أن يتفرد بإبداع صنعك وتسوية خلقك وحده لا يشرك في ذلك أحدا حتى تكون العبادة له وحده لا شريك له.

يريدُ اللهُ أن يُلزمك حجة النعمة لتقابله بما هو أهله من التقدير والإجلال والتعظيم، ولكن الإنسانَ ويا لَلحسرةِ. ينسى كلَّ ذلك، والقرآنُ ينبهُهُ إليه في كل حين بقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً

مَّذْكُوراً ۝ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾.

عبادَ الله: لقد سمى اللهُ سبحانَه نفسَه رباً ونصَّ على ذلك في كثيرٍ من الآياتِ تصريحاً وتلميحاً. وما أكثرُ ما تمر عليها الألسنُ وهي معرضةٌ عنها، إن صدقت انحصرت على التعبدِ باللفظِ وهجرتْ المعنى متمسكةً بالقشورِ، نابذةً للبِّ غافلةً عن كنه الحقيقةِ والمراد منها.

إن كلمةَ ربٍّ مع اختلافِ مواضعِها وتنوعِ إضافاتِها هي اسمُ الله تعالى المطلقُ التصرفُ في خلقِه مالكُ التدبيرِ في ملكِه، والتربية: هي إنشاءُ الشيءِ حالاً بعد حالٍ إلى التمام، والمربي: هو المتولي لهذا الإنشاء والقائم عليه من بدايته إلى نهايته، والمتولي لمراحل نموه بالعناية والرعاية والمدبر له طورا بعد طور بحفظه وكلاءته.

ووالله لو أدركَ العبدُ معنى الربوبيةِ، وأحاطَ علماً بما تضمنت في طياتها من معاني العظمة والجلال الذي يحيطه الله بالخلق من الرعاية والعناية واللطف والرحمة لذهل عقله عن إدراكها وكلَّ لسانه عن وصفها ولوقفت الألباب مبهورة إجلالاً وإعظاماً وهيبةً ووقاراً لمالكها ومربيها. وانقادت النفوس راضية مرضية خاشعة ذليلة لمالكها الذي اشتراها، وخلقها فسواها وألهمها فجورها وتقواها، ومن إليه مردها ومثواها. ولتطأطأت الرؤوس الشامخة، والأنوف المستكبرة، خاشعة لله ساجدة لخالقها معترفة لربها بالربوبية والعزة خانعة بالعبودية والذلة.

عبادَ الله: إلى متى هذه الغفلةُ والذهولُ أيقضوا العقولَ ونبهو النفوسَ وأفيقوا من نومِ الغفلاتِ وموتِ الجهالاتِ، ولنفكرَ بجدٍّ وبصيرةٍ فيما حوالينا كما يأمرُنا اللهُ بالتفكرِ في الأنفسِ وفي مبدإِها ومنشإِها في قوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ فكرْ من أنتَ؟ ومن أين أتيتَ؟ ومن أي شيء أتيت؟ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

إن العقلَ يحتمُ علينا طاعةَ الوالدين ويحرمُ عصيانَهما، والكتابُ الكريمُ قد أتي مقراً لذلك حيث قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ كما نهانا عن أدنى سببٍ في إيذائِهما بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾ فلماذا أوجب اللهُ علينا ذلك؟ لأنهما السببُ في وجودِك ولأنهما محلُّ نشأتِك، فأوجبَ اللهُ طاعةَ الأبِ لأنه المنفقُ عليكَ، وأوجبَ اللهُ طاعةَ الأمِّ لأنها حملتْكَ تسعةَ أشهرٍ، ولأجل رعايتهما وحضانتهما وما يتصل بذلك خلال مراحل الصبا والطفولة. فالله تعالى له أعظم المنة عليك وفضل الله عليك أجلّ منهما فمن لولاه رعاك وغذاك وعطف قلوبهما عليك وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.

وكذا فإن العقلَ يحكمُ بقبحِ عصيانِ المعلمِ لتعليمه، وقبح عصيان الولي لرعايته، وقبح عصيان السيد لملك يمينه. فإن كل واحد من هؤلاء يحكم العقل له بالفضل والمنة على صاحبه، لأجل ما بذلَه من الإحسانِ إليه، فعلينا أن نتذكرَ أن الله المربي والمنعمُ بذلك كلِّه، وله من وراء كل ذلك أعظم المنة والفضل، فلا ينبغي أن نتناسى فضله أو أن ننكر جميله، ونجحد معروفه وعظيم إحسانه، وهو المنعمُ بالنعمِ الجسامِ المتفضلُ بالإحسانِ.

فهو المربي الحقُّ للبشريةِ، والمعيشُ لهم، والحافظُ لهم، واللهُ سبحانه وتعالى لم يذكر مراحلَ الخلقِ وابتداء الإنشاء وتقلبنا في الأرحام طورا بعد طور، نطفة فعلقة فمضغة، إلا تمنناً على الإنسانِ وتذكيراً له بالإحسانِ، ليعرف عظمة منة الله عليه في خلقه وإبداعه كما حكى الله تعالى ذلك بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً﴾.

فإذا تأملَ الإنسانُ ذلك أذعنَ لربِّه وخالقِه وأجلّه ووقره وعظمه، كما قال تعالىٰ مصرِّحاً بذلك ومعاتبا لنا علىٰ نسيانِه بقوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً* وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ أي مالكم لا توقرون الله سبحانه وتهابونه، وقد خلقكم أطوارا يقلبكم من حال إلىٰ حال، أطوارا متوالية في أبدع نظام وأكمل صورة . لا إله إلا الله ما أكثر الآيات البينات وما أقل العقول المعتبرات ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ من أنت يا مسكين؟ ومن أي شيء أنت؟ ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.

عبادَ الله: ما أبعدَ الإنسانَ وأشدَّ جراءتَه علىٰ خالقِه ومربيه، ما أغفلَه عما فيه مصلحته، وما أجرأه علىٰ هلاكِ نفسِه بيده ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

إن الجاهلَ بنفسِه أجهلُ بربه، ولا يعرف الخالق إلا بمعرفة المخلوقِ، بل لقد جعل اللهُ من النفسِ وسيلةً إلىٰ معرفتِه وطريقاً للعلم به بما تحمل في طياتها من آيات بينات وعبر نيرات تشهد بوحدانيته وتقر بجلاله كما ورد في الأثر: (أعرف نفسك تعرف ربك)، والجاهل بنفسه أجهل بربه.

ولكن ومع أبلغ الأسف ما أقل من نظر واعتبر وعرف نفسه وعرف قدرها وعرف حق خالقها ومبديها، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.

أحداث عجيبة، وتدبيرات بديعة، تجرى في علم الغيب خلف حجب المشيمة، وظلمات الأرحام، والعبد الذي هو تلك النطفة الحقيرة غافل لا يعلم شيئاً، يتقلب بين يدي الأقدار تحرسه العناية الربانية، وتحوطه وترعاه الرحمة الإلهية. مَنْ غير الله يغذيه ويربيه؟ ومن لولاه يكلأُه ويحميه؟ من لولا الله يسوق له الهواء في بطن أمه؟ ويطعمه من حبل سرته، ومَنْ لولا الله يصرف فضلاته من الغائط والبول؟ إنه الله المتولي لكل ذلك والقائم على كل نفس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولكن أكثرهم لا يشكرون.

فهل بعد هذه المنة من منة؟ وهل بعد هذا من فضل هل كفى بهذا زاجراً للعصاة ورادعا للغواة؟ ليثيبوا إلى رشدهم ويرجعوا إلى ربهم وفاطرهم ويعترفوا بفضله ويعظموه ويوقروه، وينبذون الشيطان وحزبه الذين يحولون بين العبد وربه ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ۝٦ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ۝٨ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾. ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ وأن يجيبوا داعي الله الذي يوبخ به عباده في أكثر الآيات، ويذكرهم بنعمه عليهم وفضائله التي غمرهم بها وأسبغها عليهم ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ ما الذي دهاك وأرداك ما الذي أغفلكَ عن ربِّك؟ من الذي أغواك وأغراك؟ وأبعدك عن مولاك ﴿الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ۝٧ فِى أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ﴾ ماذا أعطاك من أغواك؟ وماذا أهداك من أغراك؟

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ إن اللهَ وحدَه هو المتفضلُ بخلقِك وتسويتِك وتصويرِك ولم يشركْ في ذلك أحداً فلماذا البعدُ عنِ اللهِ والنسيانُ لفضلِه وإنعامه؟

عبادَ الله: أين الضمائرُ التي يهزُّها التأنيبُ أين القلوبَ التي يؤثرُ فيها الإحسانُ ويأسرها الجميل؟ هل من ضميرٍ يؤنبُنا، وهل من دافعٍ يزجرُنا؟ وعرقٍ

حياءٍ يشعرُنا بالمسؤوليةِ نحو خالقِنا؟ لماذا نقدر أدنى خدمة يقدمها لنا البشر؟ ونعترف لهم بالجميل ونشكر صنيعهم إلينا؟ ثم نكفر بما وراء ذلك وهو الحق؟ نكفر بنعم الله وننكر فضله، وهو المهيئ لكل ذلك والمسخر للقلوب لتحن إلى بعضها البعض. فلو لم يجعل اللهُ الرحمةَ في القلوب، لعدمت الشفقةُ وانقطعت النفقةُ وقطعت الأرحام، وهجر الأخُ أخاه وعقَّ الابنُ أباه.

عبادَ الله: كيف لعبدٍ أن يتناسى تسعةَ أشهرٍ قضاها في ظلماتِ الأرحامِ، ليس له إلا اللهُ يكلأُه ويرعاه ويحفظُه في مأواه، يغذيه من (بطنه) من غذاءِ أمِّه وشرابِها، ويصرفُ بولَه وفضلاتِه، وأولاه كاملَ الرعايةِ والعنايةِ، يقلِّبُه في الأرحامِ كيف يشاءُ، فأوجدَ له الماءَ والهواءَ، يتحركُ كيف يشاءُ، ولا يشكو غماً ولا ضيقاً، يُبرّد له مكانَه صيفاً، ويدفئه في الشتاء، لا يعرفُ حزنا ولا بكاءً، ثم أخرجه إلى هذه الدنيا ويسَّر له السبيلَ وسهلَه، وادرَّ له حليباً سائغاً لذةً للشاربين من ثدي أمِهِ بارداً صيفاً دافئاً شتاًء. وألقى له في قلوبِ والديه وأهله الرحمةَ والمحبةَ ليحنوا عليه بالعطفِ والحنانِ، ويولونَه كاملَ الرعايةِ والعناية ولولاها لتركاه هملا .

وهكذا رباه اللهُ ورعاه ينقلُه طوراً بعد طورٍ حتى تمَّ خلقَه، واستقام عوده، وقوى ساعده فلما أن بلغ اشده، واستوى نسي خالقه وتنكر لمعروفه ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ۝١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّه أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

عبادَ الله: هذا هو فضلُ الله عليكم ونعمتُه المسداةُ إليكم، وإن تعدوا نعمةَ الله لا تحصوها. فاتقِ اللهَ عبدَ الله، وأحسن كما أحسنَ اللهُ إليك فهل جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسان.

عبادَ الله: إنكم في يومٍ عظيمٍ ويومِ عيدٍ كريمٍ شرفَه اللهُ وكرمَه على سائرِ الليالي والأيامِ. فأكثروا فيه من الصلاةِ والسلامِ على نبيكم خيرِ الأنامِ امتثالا لأمر الله القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهم فصلِّ وسلمْ وباركْ وترحم على عبدِك ونبيِّكَ وخيرتِك من خلقِك أبي الطيبِ والطاهرِ والقاسمِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ.

وصلِّ اللهمَّ وسلم على أخيه وابنِ عمهِ وبابِ مدينةِ علمِه أشجعِ طاعنٍ وضاربٍ علي بنِ أبي طالب، وعلى زوجتِه الحوراءِ خامسةِ أهلِ الكساءِ فاطمةَ البتولِ الزهراءِ.

وصلِّ اللهمَّ وسلم على ولديهما الإمامين الأعظمينِ أبي محمدٍ الحسنِ وأبي عبدِ اللهِ الحسينِ، وصلِّ اللهمَّ وسلم على الولي بنِ الولي الإمامِ زيدِ بنِ علي.

وصلِّ اللهمَّ وسلم على الإمام الهادي إلى الحقِّ القويمِ يحيى بنِ الحسين بن القاسمِ بنِ إبراهيم.

وصلِّ اللهم وسلم على سائرِ أهلِ بيتِ نبيئِك المطهرين دعاةً منهم ومقتصدين.

وارضَ اللهم عن الصحابةِ الأخيارِ من الأنصارِ والمهاجرين وعنَّا معهم بفضلِك ومنِّك يا كريم.

اللهم وأوزعنا شكرَ نعمتِك وألهمنا ذكرَك وشكرَك في كلِّ وقتٍ وحين.

اللهم لك الحمدُ على نعمِك الظاهرةِ والخفيةِ.

اللهم أتمم لنا عافيتَك، وارزقنا عافيتَكَ، ولا تفرقْ بينَنا وبينَ عافيتِك.

اللهم انصر الإسلامَ والمسلمين، وأذلَّ الشركَ والمشركين، ودمر أعداءَك أعداءَ الدين، واجعلهم غنيمةً للمسلمين، واكفنا شرَّ كلِّ دابةٍ أنت آخذ بناصيتها، إنكَ قريبٌ مجيبٌ، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

عبادَ الله: ﴿إِنَّ اللَّه يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.





الفهرس


السكينة والوقار الزيدية
www.zidyah.blogspot.com